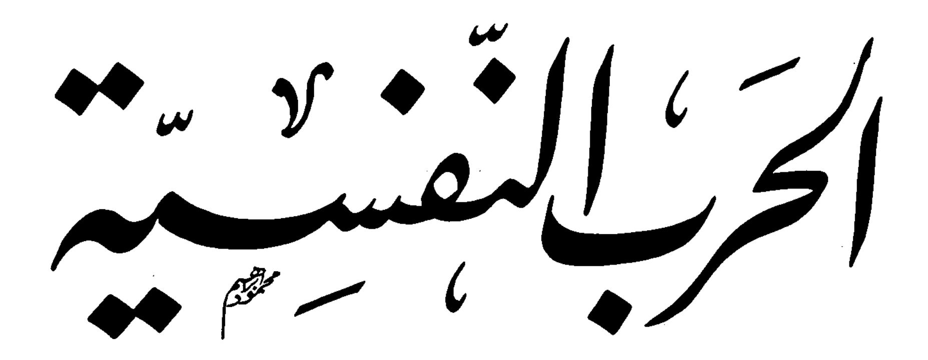


دكتورة حميدة سميسم

الدار الثقافية للنشر



* تأصيل ظاهرة الحرب النفسية
* أساليب الحرب النفسية
* دراسة نماذج (الحرب النفسية الأمريكية والإسرائيلية والإيرانية)

الدكتورة حميدة مهدي سميسم

عميد كلية الإعلام — جامعة بغداد

الدار الثقافية للنشر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد أضحت السمة الأساسية للمجتمعات المعاصرة اهتمامها بظاهرة التعامل النفسى، وإلى الحد الذى ما عاد بإمكان أى دولة أن تستغنى عن التعامل النفسى فى تعاملها الداخلى والخارجى سواء أكان ذلك فى تكتيل المجتمع السياسى وتحقيق التكامل الوطنى والقومى أو فى عدّ هذا التعامل أداة أساسية من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية.

وتعد الحرب النفسية من أبرز مفاهيم وأدوات ظاهرة التعامل النفسى، وإن كانت أداة مرتبطة بالقتال المسلح، إذ تعدله، وترافقه، ولكنها لا تستقل عنه، فقد أضحت الآن فى عالمنا المعاصر، بديلاً عن هذا القتال مع التقدم الرهيب فى أدوات التعامل مع النفس البشرية، الذى قاد ليس إلى التلاعب بالنفس الفردية وإعادة تشكيلها فحسب وإنما إلى التلاعب بالنفسية الجماعية والشخصية القومية كما هو الحال مع الاختراق والتخريب الفكرى والتضليل الإعلامى من خلال نماذج عديدة شهدها القرن العشرين.

وإن كان الإطار والتأصيل الفكرى لظاهرة الحرب النفسية بأساليبها المتعددة، مازال بحاجة إلى وضوح أكثر، إذ مازال هناك خلط رهيب وغريب بين الظاهرة بمفهومها الكلى وأساليبها، كما هو الحال مع الخلط بين الداعية والحرب النفسية على سبيل المثال. فإن هذا الكتاب يمثل محاولة لتأصيل جذور ظاهرة الحرب النفسية ومستوياتها المتعددة، من أجل تقديم وضوح فكرى، نظرى وتطبيقى للباحثين فى الحقل الإعلامى على المستوى الأكاديمى. وذلك من خلال ثلاثة فصول تناول فى الفصل الأول مفهوم الحرب النفسية وتطورها بوصفها اصطلاحًا ودراسة جذورها فى أعمق الحضارات الإنسانية وهى حضارة بلاد ما بين النهرين حيث كان العراقى القديم سباقًا فى التعبير عن مفهوم هذه الحرب وتطبيقاتها.

أما الفصل الثانى فقد كان دراسة لأساليب الحرب النفسية والتعريف بإطارها وموقعها من ظاهرة التعامل النفسى فى إطار الحرب النفسية، فى حين حرصنا فى الفصل الثالث على تقديم دراسات تطبيقية لثلاثة نماذج أساسية فى الحرب النفسية، تعرض لها العراق

والأمـة العـربية، ومـن أجل تقديم صورة واضحة لأهم صفحات القتال النفسى التى خضناها خـلال العقـود الماضـية، كانـت دراسـات الحـرب النفـسية الأمـريكية بتقالـيدها ونماذجهـا المعروفة ثم الحرب النفسية (الصهيونية ـ الإسرائيلية) التى تلتقى بأهدافها بالحرب النفسية الأمريكية وأخيرًا الأنموذج الإيرانى للحرب النفسية خلال الحرب العراقية الإيرانية.

آملـين أن يقـدم هـذا الكـتاب وضـوحًا فكـريًا للباحـثين الإعلامـيين وهم يستعدون لأداء دورهم فى خدمة العراق والأمة العربية.. والله الموفق.

الدكتورة حميدة مهدى سميسم

بغداد فى ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٤

الفصل الأول
تأصيل ظاهرة الحرب النفسية

المبحث الأول

- الحرب النفسية ـ المفاهيم ووظيفة الدولة الاتصالية
- مستويات الحرب النفسية
- الحرب النفسية الوقائية والمضادة



الحرب النفسية
المفاهيم ووظيفة الدولة الاتصالية

فـي أيـة عملـية تحديد دقيقة لتعريف مفهوم الحرب النفسية من خلال أغلب الأدبيات الدعائـية، يطالعـنا مفهوم شائع مثقل بالأخطاء يعكس الفهم الذى ساد الفكر السياسى، عن هـذه الظاهـرة قبل الحرب العالمية الثانية وامتد بعدها بوصفها عملاً دعائيًا محضًا ليس إلا، وممـا سـاعد فـى شيوع هذا المفهوم المهم والخاطئ، النظرة التى سادت الفكر السياسى حتى منتـصف الـستينيات والقائمـة على الفصل الحاد بين مستويات التعامل النفسى (كالإعلام، والدعايـة، وغـسيل المخ، والتحويل العقائدى والتثقيف والتعليم ... إلخ)[1] إذ ركزت أغلب هـذه التعـريفات علـى عـدّ الحـرب النفـسية فـى مفهـومها الواسـع كل ما يوجه إلى العدو ـ باسـتثناء القـوة الماديـة ـ لغـرض الإسـهام بـصورة فاعلة فى قهره أو التأثير فى سلوكه مثلما عـرفها (Little) أو هـى (الحملة الشاملة التى تستخدم فيها كل الأجهزة والأدوات المتاحة للـتأثير فـى عقـول ومـشاعر جماعة محددة بقصد تغيير مواقف معينة وإحلال مواقف أخرى تـؤدى إلى سـلوك يـتفق مع مصالح الطرف الذى يشن هذه الحرب)[2] ، أو كما عرفها صلاح نـصر[3] بأنهـا: (الاسـتخدام المعنـى بـه لأى نـوع من وسائل الإعلام بقصد التأثير فى عقول وعواطـف جماعـة معنـية معاديـة، أو جماعـة محايـدة، أو جماعات صديقة أجنبية لغرض اسـتراتيجى أو تكتيكى معين)، فى حين عرفها آخرون بقولهم هى: (الاستخدام المخطط من قبل دولة أو مجموعة دول للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية التى تستهدف جماعات معادية أو محايدة أو صديقة للتأثير فى آرائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها بطريقة تساعد على تحقيق سياسة وأهداف تلك الدولة أو الدولة المستخدمة لها)[4] .

---

(١) نقلاً عن مركز البحوث والمعلومات، نماذج تطبيقية للدعاية والحرب النفسية فى حربنا ضد العدو الإيرانى، بغداد، ٥٨٩١، ص٧.

(٢) ماركو ميلوش، الحرب النفسية، ترجمة لبيب لهيطة، دار الثقافة الجديدة، القاهر ٣٧٩١، ص ١٦.

(٣) صلاح نصر، الحرب النفسية، ج ١، ط٢، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة ، ص ٤٣٦.

(٤) د. فخرى الدباغ، الحرب النفسية، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم (٣٨)، بغداد ١٩٧٩، ص ٣.

والعيب فى مفهوم الحرب النفسية كما تمثل بهذه التعريفات أو ما يشابهها يكمن فى حصر الحرب النفسية على الدعاية والإجراءات الإعلامية- أو فى وسائل غير فتاكة، والصحيح هو أن الحرب النفسية تتوخى إحداث تغيير فى السلوك العام للعدو بطريقة تتناسب وأهداف مستخدمها، مستعملة وسائل يتجاوز تأثيرها النفسى التأثير الجسمانى ويغالبه. ويمكن لهذه الوسائل أن تتضمن أدوات عسكرية معروفة مثل الغارات الجوية والقصف المدفعى أيضًا، فضلاً عن إثارة الفوضى والتخريب... إلخ.

وليس الوسائل (غير الفتاكة فحسب)، ويعطينا (الفكر الإسرائيلى)، بهذا الصدد نماذج واضحة، تبرزها أحداث الستينيات فى سلسلة العمليات الإرهابية ضد العلماء الألمان فى مصر، ثم بضرب الأهداف المدنية فى (بحر البقر وأبو زعبل) فى أثناء النكسة وبعدها، وأخيرًا حصار بيروت فى أثناء غزو لبنان عام [1]١٩٨٢، وقد أظهرت تجارب الحرب العربية - الإسرائيلية، والحرب العراقية- الإيرانية بشكل خاص أن فاعلية الوسائل غير الفتاكة فى غياب استعمال القوى الحقيقة أو الوهمية تحدث تعبيرًا فى سلوك العدو يكون ضئيلاً ومحدودًا. وعلى سبيل المثال فإن توجيه برامج إذاعية تدعو جنود العدو إلى الاستسلام، لن يحقق هدفا من دون استعراض للقوة، يقف خلف هذه البرامج لهذا فإنه لابد لأى تعريف جامع للحرب النفسية أن يؤكد الترابط المبرمج لمجموعة الوسائل التى هى تحت تصرف الأمة والدولة التى تمثلها، وفقًا لمبادئ صحيحة للحرب النفسية من أجل إحداث تغيير فى مواقف ووجهات النظر وفى سلوك العدو وبالشكل المطلوب.

وطبقًا لهذا المفهوم الشامل فإن الوسائل العسكرية التقليدية، وكذلك الوسائل غير العسكرية كالإجراءات الاقتصادية والدبلوماسية والتجسس والطابور الخامس، تعدّ جزءًا لا يتجزأ من الحرب النفسية،أما مهمة الرسائل اللفظية الموجهة بصورة مباشرة إلى العدو، فهى لتأكيد وتعزيز التأثير النفسى للوسائل الأخرى فقط[2] . وتبعًا لهذا فالمفهوم الشمولى لمعنى الحرب النفسية وفى ضوء التطورات التى شهدها العالم، خلال العقدين الآخرين فإن العالم اليوم يشهد معنى جديدًا للحرب النفسية، فهى لم تعد مجرد أداة يستخدمها القائد

---

(١) انظر عن المفهوم الإسرائيلى للحرب النفسية، أريائيل مرارى، مجلة ضباط (الجيش الإسرائيلى) سكيرا حودا شيت، ترجمة مركز البحوث والمعلومات. بغداد ١٩٨٢، ص ٣.

(٢) م . ن ، ص ٤.

العسكرى، بل تجاوزت الصراع المسلح بحيث أضحى هذا الأخير عنصرًا من عناصرها، والفكر السياسى اليوم يرى فيها صورة من صور القتال السياسى تارة، وتعبيرًا عن الحرب الكلية تارة أخرى، وبالتأكيد فإن كل هذا يعكس تصورًا حقيقيًا فى مفهوم الحرب النفسية وفى وظيفتها، وذلك بفضل أربعة عوامل فرضت مفهومًا جديدًا ووظيفة جديدة لها، أولها الإلغاء التدريجى للتفرقة التقليدية بين مفهومى الحرب والسلام، إذ أضحت الحرب النفسية إحدى مظاهر المجتمع المتمدن فى حالة السلام، فلم تعد مرتبطة بالقتال المسلح، لتعدله أو لتنهى نتائجة وثانيها الالتجاء إلى فكرة الطابور الخامس وثالثها ظهور فكرة إعادة تثقيف العدو المهزوم (reeducation)، وأخيرًا استغلال عملية غسل الدماغ على نطاق واسع على الرغم مما يثيره ذلك من اعتراضات أخلاقية[1]، وكل هذا عمل على تقريبنا من وضع صورة واضحة ومقننة لمفهوم الحرب النفسية التى تلخص عناصرها فى ثلاثة منطلقات أساسية هى [2]:

١- أن الحرب النفسية تنطوى تحت ما يمكن أن نسميه وظيفة الدولة الاتصالية بمعناها الواسع بوصفها إحدى وظائف الدولة المعاصرة والتى تعنى أن من واجب الدولة أو السلطات الحاكمة أن تنقل إلى الأفراد قسطًا معينًا من المعلومات، أى خلفية من الوقائع التى يجب معرفتها، قبل اتخاذ القرار السياسى، أى أن محورها الحقيقى هو خلق العلاقة المعنوية والفكرية الثابتة بين الفرد والدولة، هذه العلاقة التى تنبع منها خمس وظائف متداخلة ولكنها متميزة:

(أ) ترتيب نظام القيم الجماعية.

(ب) تدعيم مفهوم التماسك السياسى.

(جـ) خلق الرضى القومى.

(د) الوظيفة الدعائية.

(هـ) الاستعداد للحرب النفسية العكسية.

---

(١) د. حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، محاضرات كلية الاقتصاد والعلوم الاقتصادية، مطبوع بالرونيو ١٩٧٢، ص ١٩٣.

(٢) د. حامد ربيع مقدمة فى العلوم السلوكية، دار الفكر العربى، القاهرة، بلا تاريخ، ص ٢١٧.

٢- أن الحرب النفسية هى إحدى مستويات التعامل النفسى فى علاقة السلطة بالمواطن وذلك من خلال الوظيفة الاتصالية للدولة، والتى تحدد بأربعة مستويات كل منها له خصائصة المتميزة وهى (الإعلام، الدعاية، الدعوة، الحرب النفسية).

٣- أنها أضحت اليوم ظاهرة معتادة ترتبط بالوجود الإنسانى، فلا تستقل ولا تنفصل عن أية مرحلة من مراحل التطور البشرى.

٤- إن الحرب النفسية نوع من القتال ومن ثم تخضع لجميع القواعد التى تسيطر على مفهوم الصراع القومى، أى أنها قتال تنطبق عليه جميع قواعد فن الصراع المادى بين طرف معين يسعى للقضاء على طرف آخر بأقل الوسائل كلفة ونقله من حالة التماسك والقوى إلى حالة مهلهلة رخوة لا قدرة له معها على المقاومة، ومن ثم فرض التبعية عليه.

وهكذا ومن خلال ما طرحناه، يمكننا تعريف مصطلح الحرب النفسية وتحديد مدلوله الفنى علميًا بأنه "نوع من القتال النفسى لا يتجه إلا للعدو ولا يسعى إلا لتحطيم النواحى المعنوية له بجميع الوسائل، للقضاء على أية صورة من صور الثقة بالنفس، التى قد تولد فيه المقاومة أو عدم الإذعان والاستسلام" [1]. وبعبارة أخرى أنها لا تسعى إلى الإقناع وإنما تهدف إلى تحطيم الإرادة الفردية، وتحطيم الثقة فى الذات القومية أى فقدان المواطن ثقته بذاته، فى مواجهته لعدو يسعى للحصول على بعض التنازلات، إن لم يكن القضاء على المجتمع الذى ينتمى إليه المواطن واحتواؤه كليا بما يعنيه ذلك من فرض التبعية على ذلك الكيان.

إن أهم ما يستوقفنا فى هذا التعريف، هو وصف الحرب النفسية بأنها نوع من القتال النفسى، ولم يصفه بالقتال المعنوى وفى الحقيقة فإن لكلا المفهومين خصائصه المميزة التى لابد من تحديدها للتفريق بينهما بشكل واضح.

---

(١) انظر حامد ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، سلسلة دراسات فلسطينية. رقم (٧٢)، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٥١ وما بعدها وأيضا للمؤلف نفسه الحرب النفسية فى المنطقة العربية، ص ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧١، ص ٧٣.

وعلـى الـرغم مـن أنه لم يقدر لمفهوم القتال المعنوى التأصيل النظرى الكافى الذى يوضح مـضمونه ومقاصـده، فيبدو لأول وهلة وكأنه مرادف لاصطلاح الحرب النفسية وهذا التداخل فـى المعنـى والمفهـوم يبدو صحيحًا وغير صحيح فى آن واحد فالقتال المعنوى صورة من صور الحـرب النفـسية ولكـنه أكثـر اتـساعًا فى دلالته منها إذ يضم فضلاً عنها اصطلاح (التسميم السياسى)[1]، الذى يعنى إعادة تشكيل القيم بالتقديم والتأخير أو بالتضخيم والتحقير لبعض القـيم التـى يعتمد عليها النظام الكلى للعدو الأمر الذى لابد وأن يؤدى إلى تغيير كلى وشامل فـى نظـام الاسـتجابة الفـردى والجماعـى للمواقف السياسية عند الطرف المراد قهره كما قد يأخـذ صـورة القـتال مـن خـلال التطاحن الفكرى والجماعى بقصد إكراه الطرف الآخر على الاستـسلام لمفاهـيم أو قـيم معينة فرضها عليه الطرف الغازى، فهو بهذا الاعتبار سعى نحو الاسـتحواذ المباشـر أو غير المباشر هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن الحرب النفسية، لما كانـت تفـترض الـصراع بقـصد تحطـيم الخـصم مـع استعمال جميع الوسائل المشروعة وغير المـشروعة فـى سـبيل تحقـيق الهـدف، فالقـتال المعـنوى هو حركة الصراع وهو بهذا المعنى قـتال، ولكـنه صـراع فكـرى يدور حول المفاهيم والأفكار ومن ثم فإن القتال المعنوى قد يأخذ صـورة الحـرب النفـسية فـتغدو عملـية يقـصد بهـا تحطـيم الخصم، وذلك عن طريق تحطيم معنوياته، بوصفها نتيجة للقضاء على التماسك الفكرى لقيمه ومعتقداته.

إذن فـأن الحـرب النفسية هى التعامل مع المجتمع القومى، إذ تستعمل جميع الأدوات والمـسالك بقـصد تحقيق هدف واحد هو تحطيم الثقة بالذات القومية وتنبع من ذلك مجموعة نتائج وتنتج من طبيعة الحرب النفسية، وهى:

١ــ إنها تعامل مع موقف، فهى ليست تعاملا مع فرد وليست مجرد تعامل يتميز أصلا بالـصلابة، فتـسعى الحـرب النفسية إلى اختراق تلك الصلابة وإحالة الجسد بهذا المعنى إلى حالـة الـرخاوة، وبهذا الاعتبار فإن الأدوات والوسائل التى تسمح بتحقيق هذا الهدف تكون مقبولة ومطبقة.

٢ ـ وهـى قـتال وصـراع مـن أجـل الـبقاء إذ أن أحـد الطرفين يسعى لاستئصال الطرف الآخر أو النيل منه بحيث يقضى على وجوده.

---

(١) د. حامد ربيع الدعاية الصهيونية معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٦٤ ــ ١٦٥.

٣ــ وكـذلك هـى عملـية نامـية ومـتطورة تـتجه إلى تثبيت دعائم تعامل معين يسعى إلى الديمـومة من حيث نتائجه ولابد أن يجتاز مراحل عديدة، كل واحدة منها تتحدد بأهدافها وتـسعى إلى تثبـيت نـتائج محـددة فـى جمـيع تطبـيقاتها كحـرب نفـسية تتمثل بـ (حركة هجومية، وتعامل دفاعى وسياسة وقائية)[1].

مستويات الحرب النفسية

لـما كانـت الحـرب النفـسية، تعنـى مفهومًا شاملاً لوصف وتشخيص سياقات تستهدف الـتأثير فـى سـلوك العدو بشكل يتجاوز التأثير المباشر للوسائل الجسمانية، لذا فإن تطبيقها يـتم فـى أوضـاع عديـدة ومتـنوعة ومـستويات مخـتلفة، بـدءًا من المستوى التكتيكى المحدد كإخـضاع سرية محاصرة للعدو، وانتهاء بالمستوى القومى الشامل، كتفويض معنويات العدو إلى حـد انهـيار جيـشه، ولكن على العموم هناك مستويات لابد أن نتوقف عندها فى عملية تطبيق الحرب النفسية وهى:

١ـ الحرب النفسية كاستراتيجية:

وتأتـى فـى مقدمـة مـستويات الحـرب النفـسية، مـن خـلال معالجـتها للـتأثير الشامل للإسـتراتيجية بأوسـع معانـيها، فـى الوضـع النفـسى للعـدو واستعداده للمقاومة، وقد أشار العديـد مـن كـبار المنظـرين الاسـتراتيجيين فـى العالم إلى الأهمية البالغة، والحاسمة للتأثير النفسي للاستراتيجية على الرغم من أنهم لم يستخدموا اصطلاح الحرب النفسية.

فقـد أشـار (كلاوز فيتز) المنظر الألمانى المعروف إلى هذه الحقيقة عند الحديث عن أهمية (الاشـتباك المحـتمل) فى القضاء على طاقة العدو بقوله: (إن مجرد ترتيب القوات المسلحة فـى نقطة معينة، يجعل الاشتباك ممكنًا ومحتملاً، بدون أن يكون هنا دومًا مجال للاشتباك فهـل ينبغـى اعتـبار هـذا الإمكـان حقـيقة أو كشىء حقيقى؟ والجواب هو أن هذه الإمكانية بـدون شـك تـصبح حقـيقة من جراء نتائجها، ولا تلبث هذه التأثيرات المختلفة والنتائج أن تظهـر، لـذا ينبغـى أن نعتبر الاشتباكات المختلفة اشتباكات حقيقية نظرًا لنتائجها، فعندما

---

(١) د. حامد ربيع إعادة كتابة التاريخ ونظرية الحرب النفسية (حول تحليل ظاهرة الصراع القومى فى العالم العربى)، بحث غير منشور، بغداد ١٩٨٧، ص ١١ ــ ١٥.

تقوم إحدى المفارز بقطع طريق التراجع على عدو فار، ثم نجد أن هذا العدو يستسلم بدون مقاومة، فإن سبب هذا الاستسلام هو الاشتباك المحتمل الذى تمثله المفرزة)[١]، ومن ثم ينتقل هذا المستوى التكتيكى البسيط بوصفه حالة عامة إلى صراع الجيوش وعلى مستوى قومى شامل إذ (أن تدمير قوة القتال المعادية والقضاء على طاقة الخصم لا تتم إلا بفضل نتائج الاشتباك وآثاره، سواء أحدث هذا الاشتباك فعلاً أو كان مطروحًا فى ساحة المعركة بدون أن يقبله أحد الأطراف)[٢].

وكذلك أكد ذلك (ليدل هارت) فى مذكراته عند تناوله لطبيعة الإستراتيجية الهجومية ضمن النهج غير المباشر أن (دحر العدو فى المجال النفسى ما هو إلا نتيجة للضغوط المادية التى نستخدمها لتترك أثرها على تفكير القيادة، ويبرز هذا الأثر بقوة عندما يتحقق العدو من خسارته لميزاته بصورة مباغته، وعندما يشعر أنه فى حالة عجز من مجابهة حركات خصمه بحركات مضادة، وفى النهاية فإن دحر العدو نفسيا وقهره إنما يتبع بصورة أساسية من الشعور بالوقوع بالشرك أو المصيدة)[٣]. وفى كتابه (استراتيجية النهج غير المباشر) يقول أيضًا: (عندما نستعرض المعارك الحاسمة فى التاريخ، نجد أن المنتصر فى جميع هذه المعارك تقريبًا فرض على المنكسر شروط نفسية أثرت فى رأيه حتى قبل وقوع الصدام) [٤].

وتتجلى أهمية التأثير السيكولوجى للاستراتيجية لعدّة عنصرًا حاسمًا فى خلق الانطباع فى ذهن قادة العدو وجنوده، أو عند معظم السكان المدنيين بل وعند هذه الأطراف جميعا بشكل عام، وإيهامهم بأن الحرب خاسرة وبأن المقاومة المنظمة هى عمل بلا جدوى، وفى مثل هذه الحالة فإن الدافع المسيطر على معظم الأفراد هو أن يهتم كل بنفسه، فتكون النتيجة الاستسلام المنظم أو انهيار الأطر السلطوية والعسكرية، لذا فإن جوهر الحرب النفسية كاستراتيجية، هو بلوغ هذا الوضع، من دون برهان جسدى لانعدام الأمل فى

---

(١) كارل فون كلاوزفيتز، الوجيز فى الحرب، ترجمة أكرم ديرى والهيثم الأيوبى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وبيروت، ١٩٧٤، ص ١٧٣، ١٧٤.

(٢) م . ن . ص ١٧٥.

(٣) مذكرات ليدل هارت: ترجمة بسام العسلى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٨ ص ٢١٠ — ٢١١.

(٤) ليدل هارت، استراتيجيى النهج غير المباشر، ١٥٤، نقلا عن اريائيل مرارى م . س. ذ. ص٦.

القتال، أى قبل أن يستنفد العدو بشكل عملى قدرته على المقاومة. وفى الحالات الأكثر تأثيرًا ووقعًا لا تستخدم الاستراتيجية السيكولوجية، فالشعور بعدم الجدوى من المقاومة لا يعكس علاقات القوى الحقيقية، ولولا الوهن النفسى الذى أصابه، لكان من شأن العدو أن يمنع الهزيمة، ولكن أين يكمن سر سيكولوجية الاستراتيجية؟ هل فى تحقيق انهيار العدو المفاجىء؟ إن مفاجأة العدو، تكاد تكون أكثر المتغيرات وراء ذلك، وتجربة الحرب العالمية الثانية تقدم لنا أكثر من دليل على ذلك، والانتصار الألمانى الصاعق على جيكوسلوفاكيا ثم على فرنسا فى ربيع ١٩٤٠، إذ التقت عوامل الزمان والمكان والأسلوب لتحقيق صدمة كبرى، كانت وراء هذا النصر الساحق.

كذلك الحروب العربية (الإسرائيلية) تقدم أنموذجًا آخر مازلنا نعانى من آثاره فى هذا الصدد حتى الأن؟! (والفكر الإسرائيلى)[1] واضح فى هذا الاتجاه والتى يلخصها (موارى) بقوله[2]: (إن الشخص القتيل هو فقط شخص ناقص، أما الشخص الذى انهارت أعصابه فهو محور الخوف الذى يستشرى كالمرض المعدى بسهولة والقادر على نشر وباء الهلع).

والحق فإن عنصر المفاجأة والمباغته هذا، ليس بالجديد على الفكر العسكرى، (فكلاوز فيتز) أشار إلى أهميته القصوى، عندما أكد أن مفاجأة العدو بشكل أو بآخر، هى أساس كل المشاريع العسكرية وبدونها لا يمكن فهم التفوق فى نقطة حاسمة.

وعندما تنجح المفاجأة فإنها تنشر الإرباك وتحطم شجاعة الخصم والأمثلة على ذلك كثيرة، وتظهر كلها سواء أكانت أمثلة صغيرة أم كبيرة إلى أى مدى يمكن للمفاجأة أن تضاعف النجاح[1].

أما (لينين) فإنه على الرغم من إهماله لعنصر المباغتة فى الحرب النفسية الاستراتيجية إلا أن مفهومه عن التأثير السيكولوجى للاستراتيجية لا بخرج عن إطار ما ذكرناه، فهو يرى (أن أصح استراتيجية فى الحرب هى التى تؤجل العمليات حتى يصل الانحلال المعنوى لدى العدو إلى حد يجعل الضربة القاضية ممكنة وسهلة) [2].

---

(١) م . ن .

(٢) م . ن .

(٣) كلاوزفيتز، م . س. ذ ص ١٩٧.

(٤) منير شفيق، علم الحرب، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٢.

وهكذا ينصح لنا أن الحرب النفسية من حيث كونها استراتيجية إنما تستهدف تحقيق الانتصار على العدو عن طريق تقويض الروح القتالية لجيشه وسكانه المدنيين وحكومته بصورة مجتمعة.

٢ـ الحرب النفسية الاستراتيجية:

وتوصف بأنها الحرب التى تتميز بالشمول والامتداد لأنها توجه إلى جمهور كبير، وعلى مساحة شاسعة، وغير محددة بزمان أو مكان وتوجه عادة إلى شعب العدو وقواته والمناطق الموجودة تحت سيطرته لإضعاف معنوياته، فهى فى الوقت الذى تشمل منطقة محيطة بالهدف فإنها تشمل أيضًا الجسد القومى المعادى بأكمله، وهدفها الأساس هو التأثير فى الآراء ووجهات النظر، والسلوك لمساعدة السياسة الخارجية على تحقيق أهدافها، لذا فهى تسعى لاستغلال النكسات العسكرية والانحطاط السياسى والاجتماعى والتدهور الاقتصادى والعجز فى المواد الغذائية والاستهلاكية لعدّها مرتكزات لعملها... إلخ، وعلى أساس ذلك فإن أهدافها أكثر تواضعًا مما تسعى إليه الحرب النفسية بالاستراتيجية وتكاد تقترب بشكل تام من الحرب النفسية التكتيكية، إذ لا تستهدف تحقيق انتصار شامل، وإنما خلخلة وتقويض مقاومة العدو [1].

٣ـ الحرب النفسية التكتيكية:

وهى حرب الصدام المباشر مع العدو، وتوجه عادة ضد جيوش العدو فى ميدان القتال أو فى قواعده أو ضد رعاية المتواجدين فى منطقة القتال، وتكون العمليات النفسية فى هذه الحالة عمليات تستهدف أضعاف مقاومة قوات العدو أو مطالبة الشعب بالتعاون مع القوات المسلحة المتقدمة وضع العدو فى حالة نفسية هى حالة الهزيمة والاستسلام، ولكنها أحيانا تخرج عن هذا الإطار، حينما تكون موجهة إلى فئة معينة (أقليات عرقية ودينية) أو مجموعات معينة فى مراكز السلطة داخل قيادة العدو ومراكزه السلطوية لتحقيق أهداف

---

(١) انظر المزيد عن ذلك، على سبيل المثال، محمد عبد القادر حاتم ــ الإعلام والدعاية (نظريات وتجلوب) مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢ ص ١٨٥ وما بعدها، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، سلسلة الثقافة الثورية رقم ٢٩، بيروت ، بلا تأريخ ص ٧ ــ ٨ وحامد ربيع، الدعاية الخارجية م. س. ذ ص ١٩٨ وما بعدها، ووهيب مجيد الكبيسى وأخرون (الحرب النفسية وأساليب مواجهتها، مجلة حوليات الإعلام العدد (٣) بغداد ١٩٨٣ ١٥٦ــ ١٥٨.

معينة محددة ومن ثم تخرج من منطقة القتال الفعلى، وتختلط بالحرب النفسية الاستراتيجية بشكل واضح، ولكن القارق بين الحرب النفسية الاستراتيجية والحرب التكتيكية، يظل محصورًا فى مسألة الحجم فالحرب النفسية الاستراتيجية تهدف إلى التأثير فى قطاعات أوسع من السكان وفى منطقة جغرافية أوسع ولمدة زمنية أطول بشكل عام، وهكذا فأن الغارات الاستراتيجي الموجهة للأضرار بمعنويات السكان المدنيين وضرب المراكز المدنية الكبرى، هى حرب نفسية استراتيجية بينما يعد القصف المدفعى لغرض الإزعاج وإقلاق الراحة المصحوبة ببعض أنواع (تكتيكات الفزع) من قبيل الحرب النفسية التكتيكية ولما كان التميز كما وليس نوعًا، فأنه لا يبدو واضحًا على الدوام[1] .

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الحرب النفسية، م . س. ذ، ص ٨٦، ص ٨.

الحـــرب النفسية
الوقــائية والمضادة

إن عملية مواجهة الحرب النفسية عمومًا تتحدد فى إطارين واضحين هما:

١ ـ الحـرب النفـسية الوقائـية: ومفهـوم هـذا الـنوع مـن الحرب يعنى أن دولة معينة تـتوقع حـربًا نفـسية تـشنها علـيها دولـة أخـرى، وتقـوم بعملية إعداد مسبقة لمواجهة تلك الحـرب. وبعـبارة أخـرى إنها تمثل البعد النفسي لسياسة الأمن القومى فى أوسع مفاهيمه، وتقـوم علـى التثقـيف الـسياسى المكثف أولا وتعميق الكراهية للعدو المحتمل ثانيًا. وفى هذا الـنوع مـن الحرب النفسية نفسها أى أن التثقيف السياسى هو أداتها الأساسية، انطلاقا من مـبدأ (الـوقاية خـير مـن العـلاج)، فهـى تعنى عملية التحصين الذاتى للمواطن فى مواجهة الحرب النفسية المعادية.

٢ ـ الحـرب النفـسية المضادة: إن كل هجوم لابد أن نتوقع له رد فعل وكما أن الهجوم لابـد أن يخضع لتخطيط محكم لو أريد له النجاح فكذلك الهجوم العكسى يجب أن يخضع للمـبادئ نفـسها لـو أريد له أن يضع حدًا للهجوم الذى يخضع له، وبقدر الضربة يجب أن يكـون رد الفعل. وكذلك فى الحرب النفسية، فإن ما يسمى بالحرب النفسية المضادة ينطلق من المبادئ نفسها التى يجب أن تسود عملية التخطيط للحرب النفسية المضادة، هى :

١ ـ أنهـا تـسير فـى حـركاتها الدفاعـية فى إطار حركة الدولة المعادية بحيث تنبع من مراحل الحرب النفسية التى تخضع لها.

٢ ـ الهـدف الأساسـى الـذى يجب أن يسيطر على من يخطط للحرب النفسية العكسية هو إيقاف الفيضان قبل الانتقال من الدفاع إلى الهجوم.

٣ ـ الحـرب النفـسية المـضادة لا يجـوز أن تكتفى بإيقاف الهجوم المعادى بل يجب أن تحطم الخصم من موقعه وأن تستأصل جميع عناصر المساندة فى صعيدها الداخلى.

ومـن خـلال ذلـك يتـضح أن الحـرب النفـسية الوقائية تدخل فى نطاق الحرب النفسية المضادة والتى تعنى أن هناك هجومًا قد تحدد، بحيث تصير الحرب النفسية رد فعل لموقف

واضح من حيث عناصره. وهى فى أهم خصائصها تعنى عملية اتصال نفسى داخلى وخارجى فى آن واحد. فهى إعداد للداخل ليستطيع أن يقف فى مواجهة إعلام خارجى بقوة وصلابة.

أما عملية شن الحرب النفسية المضادة فتستند إلى مجموعة من المبادئ الأساسية:

١ ـ مرحلة الإعداد : وتتضمن عملية القيام بالتحصين الذاتى والذى يعنى العملية التى من الممكن أن تتسع فتشمل كل ما يمكن أن ينطوى تحت مفهوم السياسة الوقائية أو الاحترازية، ومن الممكن أن تضيق كذلك فإذا بها مجرد القيام بدراسات عملية تسمح بالمواجهة الحقيقة من منطلق المعرفة وليس التحرك الهوجائى.

٢ ـ مرحلة التعامل الأولى: وهى من أخطر مراحل التصدى للحرب النفسية المعادية لأنها وحدها تسمح بأن يقف المجتمع موضوع الهجوم صفاً متراصًا لا يتضمن أى ثغرة تسمح بالاختراق، وفى هذه المرحلة يصل التخطيط للإعلام الداخلى وللتثقيف السياسى أقصى مرحلة من حيث القوة والفاعلية.

٣ ـ مرحلة الهجوم المباشر: ففى المرحلة الثالثة يصبح الهجوم سافرًا والحرب علنية ويجب أن تسير الجهود فى مسارين:

(أ) التدعيم المستمر لمفهوم التماسك القومى إذ يرفع شعار الأمة المحاربة إلى أقصى درجاته.

(ب) التحليل العلمى لاكتشاف عناصر التناقض فى منطق الغزو النفسى.

٤ ـ مراحلة متابعة الهجوم: فالحرب النفسية كأى قتال فى حاجة إلى مبدأ (أخذ النفس) لذلك لا يمكن أن تظل على اندفاعها فى خطوات متتالية من حين لآخر، ولابد أن تخفف من وطأة هجومها. أن من يخضع للحرب النفسية فى حرب مضادة لابد وأن يدخل هذا فى الحسبان.

وفى هذه العملية يتحكم عنصران هما:

(أ) اكتشاف عناصر التناقض فى المنطق المعادى.

(ب) رد الإعلام المعادى على المجتمع الذى صدرت منه الحرب النفسية ذاتها.

٥ ـ مراحلة تصفية الموقف: وهنا يجب أن تستغل القيادة فى المجتمع الذى خضع للحرب النفسية، هذه المرحلة من أجل القيام بالاستئصال ولو نفسيًا لجميع المصادر المساندة للغزو النفسى والتى أثبتت خلال المدد السابقة عمالتها أو عدم قدرته على التماسك أو الضعف فى صلابتها.

إن هذه المراحل تنبع من طبيعة التعامل فى بعده الديناميكى. ففى المرحلة الأولى يعد للهجوم ثم التجسس الجزئى للخصم الذى قد يطول أو يقصر تبعًا لقدرة المهاجم للقضاء على أكبر قدر ممكن من المقاومة أو القدرة على الهجوم مهما كان صاعقًا فإنه فى حاجة إلى خطة معينة لاسترداد النفس وإعادة الموقف قبل متابعة الهجوم الذى قد يأخذ دورة واحدة أو أكثر. وعندما يصل إلى نقطة معينة لابد أن يصفى الموقف ولو مؤقتًا. وهكذا فالحرب النفسية المضادة يجب أن تنطلق من الفهم الدقيق لحقيقة الحرب النفسية التى نواجهها وموقفها فى هذه المراحل ومن ثم يجرى التخطيط على أساس ذلك.

المبحث الثانى

الحرب النفسية فى الحضارات القديمة

الحرب النفسية فى العراق القديم (أنموذجًا)

- الحرب النفسية فى بلاد ما بين النهرين
- أشكال الحرب النفسية وأساليبها القديمة
- وسائل الحرب النفسية الآشورية

الحرب النفسية فى الحضارات القديمة
الحرب النفسية فى العراق (أنموذجًا)

قد يبدو البحث فى موضوع "الحرب النفسية فى الحضارات القديمة" موضوعًا غريبًا، نظرًا للاعتقاد السائد بأن هذه الحرب من مستجدات أو من إفرازات الحضارة الغربية الحديثة.

ولكن.. هل هى حقًا كذلك أم ثمة بوادر لمثل هذه الحرب سبق للبشرية أن عرفتها عبر تاريخها الطويل؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف توصلت البشرية إليها، ومتى وأين وكيف كانت تتعامل معها فى تلك العصور الغابرة التى كانت تفتقر إلى أبسط ما عرفه العصر الحديث من وسائل الإعلام أو غيرها من الوسائط والأدوات التنفيذية التى تعتمد عليها الحرب النفسية إلى حد بعيد؟ للرد على هذه الأسئلة وغيرها مما يرتبط بهذا الموضوع لابد من العودة إلى تاريخ الحضارات القديمة. إن ظاهرة التعامل النفسى ارتبطت بالوجود البشرى ذاته على كوكبنا ولكن الحرب النفسية بأساليبها المتعددة، وبمفهومها العام لم تظهر إلا مع التقدم الحضارى وكانت تعبيرًا عن هذا التطور فى حالته الصراعية، إذ لم تعش البشرية إلا أقل من قرن من تاريخها الطويل، من دون حروب وصراعات دامية مثلما بين ذلك المؤرخ المعروف "توينبى" فى دراسته للتاريخ الإنسانى.

فالعلاقة بين الحرب النفسية والصراع الجسدى واعتماد التعامل النفسى واحدًا من أدوات التعامل مع القوى الاجتماعية، بقدر ما هى قديمة من حيث الممارسة. والمفهوم، فإنها ظاهرة حديثة نسبيا فى الوقت نفسه من حيث التأصيل والنظير والعلمية.

وهذا ما يقودنا فى عملية التأصيل لجذور الظاهرة إلى أن ننظر إلى تطورها عبر مراحلها المتعددة على أنها انعكاس للحقيقة الحضارية وامتداد لها.

وفضلا عن ذلك فإن عملية الغوص فى التاريخ القديم بل الموغل فى القدم، لدراسة ظاهرة الحرب النفسية يجب أن تنبع من النظر إليها من خلال ثلاثة عناصر أساسية هى:

١ — إنها عملية اتصالية.

٢ _ ويحتاج تنفيذها إلى قدرات معينة على مستوى التخطيط والإعداد والتنفيذ.

٣ ـــ وهى تعبير عن الحقيقة الحضارية.

أى إن فهـم التأثير الاتصالى وأهميته من جانب وتقنيات استعماله من جانب آخر، كانا العـاملين المهمـين والأساسيين فى بروز هذه الظاهرة ولكن ذلك لم يكن وحده وإنما كان لابد مـن ظهور النظام السياسى فى الحضارات القديمة، وتبلور مفاهيم الصراع السياسى والإدراك الـسلطوى لأبعـاده، كـى تـصبح الحـرب النفـسية ممارسـة حقيقـية واقعة، وما كان هذا أن يحـدث مـن دون إمكانـيات نظـام سياسـى ودولـة قائمة بحد ذاتها غير أن هذين العنصرين يظـلان يعـبران عـن حقـيقة حـضارية معيـنة سـواء مـن حـيث التفكير والممارسة، أم التقدم التكنولوجـى الـذى تـشهده الحـضارة نفـسها والـذى يتمـثل أصدق تمثيل فى تطور استعمال أدوات الحـرب وأسلحتها المختلفة، وهو ما سنبينه بوضوح عند دراستنا الحرب النفسية فى تـاريخ الحـضارات التـى نـشأت فى العالم القديم والتى تعد حضارة وادى الرافدين أقدمها، بل هى أول حضارة ناضجة عرفها تأريخ البشرية بأسره.

إذا لـيس ثمـة مجـال للحـديث عـن تـأريخ الحـرب النفـسية، من دون وجود الكيانات الـسياسية، فالصراع السياسى لم يكن إلا نتاجًا لها، أما تطورها أى الحرب النفسية فيرتبط بـتطور الاستراتيجية العسكرية واختراع أدوات القتال وتطورها عبر التاريخ القديم ونقصد هنا تقنـية هـذه الأدوات التـى حـتمت نـوعًا معيـنًا مـن التعبـئة العسكرية، وأساليب القتال فى الهجـوم والـدفاع، فاستعمال الآشوريين فى العراق القديم على سبيل المثال، أسلوب الصدمة المفاجـئة من خلال استعمال العربات الحربية، دفع أعداءهم إلى اعتماد مبدأ التحصن داخل أسـوار المـدن والقـلاع والامتناع عن مجابهتهم فى قتال مكشوف، الأمر الذى دفع الآشوريين إلى اسـتعمال المقـلاع وأدوات الهدم فى الحرب، وقد أدى هذا إلى ابتكار أساليب جديدة فى القـتال الجـسدى ثم القتال النفسى إذ أصبح (المدك) الآشورى ليس سلاحًا لهدم الأسوار فقط إنمـا وسـيلة لمجابهة الأعداء عن كثب أيضًا والتأثير النفسى فيهم مثلما تبين ذلك من خلال الرسوم الآشورية.

وقـبل أن نـستعرض الـتطور التاريخـى للحـرب النفـسية لابد لنا من تأكيد مجموعة من الحقائق بهذا الخصوص:

أولاً: أن الحـرب النفـسية فى العصور القديمة، لم تكن إلا أداة مساندة للقتال العسكرى أى أنها كانت نوعًا من القتال النفسى ليس إلا، وإن اتخذت أشكالا وأساليب معينة.

ثانـيًا: علـى الـرغم من أن ظهورها فعلاً سياسيًا ارتبط منذ البداية بظهور الدولة وقيامها بوصـفها كيانًا سياسيًا قائمًا، إلا أنها ظلت لا أهمية لها عند المؤسسات السياسية، ولم تكن أكثـر مـن ظاهـرة تتـصف بكـونها منعـزلة جـزئية غـير مـستقلة، لم تـرتفع إلى مرتبة الأداة الـسياسية فـى الـتعامل بـين دويـلات المـدن أو الإمبراطوريات على السواء، لتحقيق أهداف سياستها الخارجية.

ثالـثًا : والعمـل النفـسي هـذا مـا كـان ليهتم بالرأى العام المعادى، من حيث كونه رأيًا يمكـن تغييره من خلال تغيير قناعاته، أو كسب صداقته ومن ثم تطويعه واحتوائه وإنما كان ينـصب بـصورة أساسـية علـى كـونه رأى العـدو الـذى لابـد مـن تحطـيم إرادتـه، تمهـيدًا لاستئصالة جسديًا.

رابعـاً: أن العمـل النفـسى لم يكـن يعكـس حـركة مـستقرة ومنتظمة، وإنما كان يخضع للملابـسات والظـروف الأنـية القائمـة فـى حقـبة ويتحدد طبقًا لذلك، فهو يظهر فى أوقات معيـنة ولكـنه سـرعان مـا يختفـى كليًا فى أوقات أخرى وفضلاً عن ذلك فإنه كان ينبع من إيمـان قائـد سياسـى أو عسكرى مدرك لأهميته، بينما نجد قائدًا أخر لا يوليه أى عناية أو أهمية[1].

مـن خـلال هـذه الحقائـق، نجـد أن العمـل الاتصالى قد انتقل فى مستوياته من الوظيفة الإعلامـية بمعنـى الأخبار لدى المجتمعات وتلبية لمعتقداتها الدينية آنذاك إلى وظيفة التأثير النفسى المحدد الأهداف والأبعاد مع ظهور الأنظمة السياسية وامتداد نفوذ دويلات المدن إلى أقالـيم جديـدة[2] إذ أن الـصراع الجـسدى كـان لابـد أن يفـرض مدركاته على الملوك والقادة باعتمادهم ظاهرة التعامل النفسى مع المجتمع المغاير، أى الذى لا ينطوى تحت راية الدولة المعنية والذى يمثل العداوة بكل معانيها وبعبارة أخرى أن الظاهرة انتقلت من وظيفة الإعلام والإخـبار إلى وظـيفة تدمير الذات الأخرى أى العدو الذى يمثل جميع الشرور، والخارج عن سلطة الآلهـة.

---

(١) د. حامد ربيع، الدعاية الصهيونية، م . س . ذ. ص ٦٤.

(٢) د. خليل صابات، وسائل الإعلام نشأتها وتطورها، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة ١٩٧٦، ص ٥.

ولم يكن هذا ممكنا بالطبع، من دون تطور تقني واقتصادى مواكب للتطور السياسى والاجتماعى والعسكرى الذى يعكس التطور الحضارى نفسه، ولما كانت الحرب النفسية ظاهرة تابعة ومرتبطة بالقتال بين الجيوش فقد كانت توصف بأنها (سلاح تابع) يعنى بالجانب المعنوى من القتال بين الشعوب ولم تشهد الاستقلالية حتى أعقاب الحرب الكونية الثانية وظهور الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقى والغربى آنذاك.

الحرب النفسية فى بلاد ما بين النهرين

قدر لحضارة وادى الرافدين، التى شهدت أول حرف للكتابة وطلائع النظام السياسى فى تاريخ البشرية أن تضع أول أصول تطبيق ظاهرة التعامل النفسى والحرب النفسية بالذات، ولكن على الرغم من ذلك فقد عانت هذه الحضارة من التجاهل ومازالت تواجهه، قد يكون متعمدًا ـ والإغفال الواضح وبشكل خاص فى الأدبيات الإعلامية العربية إذ لا يتجاوز ما كتب عنها فى هذا المجال بضعة أسطر!! وإنه لأمر غريب حقًا.

إن أقدم النصوص والشواهد المتوافرة حاليا عن استعمال الحرب النفسية فى العراق القديم، تعود إلى ما قبل خمسة آلاف عام تقريبًا إذ يرد ذلك فى لوح مسمارى كتب باللغة السومرية ويتضمن كما يقول "صموئيل كريمر" فى كتابه "من ألواح سومر"[1]: "قصيدة تدون لنا حدثة سياسية تنطوى على استعمال الأساليب السياسية من أجل الغلبة والقوة التى يتبعها أهل عصرنا ويومنا الراهن".

وفى هذه القصيدة المعنوية باسم "اينمر كار وسيد إرتا" يروى لنا الكاتب السومرى الذى دونها، أنه كان يعيش بطل سومرى مشهور أسمه "اينمر كار" ويحكم فى مدينة أرك "الوركاء" أو (أوروك) وإلى الشرق منها بمسافات بعيدة فى بلاد فارس كانت تقع مدينة "أرتا" التى يفصلها عن أرك سبع سلاسل من الجبال وهى فوق قمة شاهقة يصعب إدراكها وبلوغها. ولكن "اينمر كار" بعد نشوب الحرب بين المدينتين صمم على جعل أهلها وحاكمها تابعين له. وشرع لتحقيق ذلك بشن حرب نفسية على حاكم "أرتا" وعلى

---

(١) ترجمة طه باقر، مطبعة مصر، بلا تاريخ، ص ٦١ ــ ٧٨، وأيضًا S.N. Kramer Enmerkar Kar and the lord ofAratta Philadelphia. 1952.

سكانها، " فأفلح فى كسر روحهم المعنوية وتثبيط هممهم حتى وصل بهم الأمر إلى أن يتخلوا عن استقلالهم ويصيروا أتباعًا لمدينة "أرك" وملكها "اينمر كار"[(1)] وذلك من خلال مراحل متعددة تبث الرعب تدريجيًا فى قلب الحاكم "أرتا" والتى وصلت فى المرحلة الأخيرة إلى أن ينذر البطل السومرى بالتدمير الشامل إذا لم يقدم حاكم المدينة وسكانها "أحجار الجبل ويبنوا له معبد مدينة أريدو ويزينوه" [(2)].

ويبدو واضحا من الوقائع التى أوردتها القصيدة، أن ما حدث كان تدرجا فى المنطق الدعائى وصولا إلى استخدام "استراتيجية الرعب" تجاه العدو، ومن خلال ما نعرفه اليوم " بالحرب النفسية بالاستراتيجية".

لقد شهدت الحرب النفسية فى حضارة وادى الرافدين تطورا ملموسًا بدأ منذ عصر دويلات المدن فى جنوب العراق، ومرورا بالإمبراطورية ألا كادية وسلالة أور الثالثة ثم الدولة البابلية لتبلغ خلال الألف الأول (ق. م) ذروة التقدم فى الفكر العسكرى الآشورى إذ فاقت الأساليب التى استعملها الآشوريون، كل أساليب الحرب النفسية المعروفة قبلهم أو المعاصرة لهم، ولا عجب فى ذلك لأنهم أرادوا إشاعة الأمن والرخاء فى أرجاء إمبراطورية مترامية الأطراف، ومع كل الاستعدادات التى كانت تستحضر للمعركة على صعيد الإعداد والتخطيط والتجهيزات كان الإيمان عميقًا بأن النصر من صنع الألهة ولأجلها، فأرض الأعداء عدوة للإلة وملك الأعداء حنث بقسم الإله ولذلك وجب تأديبه، والنصر حليف من يأخذ بيد الإله ويعمل على كسب رضاه[(3)].

---

(١) إن أهـــم ما يلاحظ فى هذه القصيدة بخصوص الحرب النفسية أن "اينمر كار" قد أخذ رأى آلهة مدينته وهى الآلهة (ينانا ــ عشتار) الذى نصحته بإرسال مندوب يعبر الجبال وطمأنته باستسلام جيش "أرتا" وقد قام المندوب بأخبار "سيد ارتا" وكيف وعدته بالنصر وهى محالة نفسية واضحة لكسر معنويات "سيد ارتا" أنظر عن ذلك:

R.R jestin Le poem "Enmorkar, Revue de histiorire de religions, vol, 151 (1957) PP. 145 FF.

(٢) م. س. ذ. ص ٦٧، وانظر أيضًا عن استخدام السحرة الذين أرسلهم سيد أرتا إلى (ارك) للتأثير فى ملكها وسكانها من خلال السحر وكيف أن (اينمر كار) قابل ذلك بفعل مماثل أفشل الأعمال الـــسحرية لعدوه د. سامى سعيد الأحمد، العراق القديم، جـــ ١، بغداد، ١٩٨٢، ص ٣٨٩ ــــ ٣٩٠.

(٣) د. فاروق ناصر الراوى، التعبئة وأساليب القتال فى الجيش الآشورى، كتاب الجيش والسلاح، ج ٢ دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٤٥.

هـذا الـتطور فـى حـضارة وادى الـرافدين، ارتـبط بمتغيرين مهمين أولهما: نشوء النظام السياسى فى بلاد سومر التى تشكل القسم الجنوبي من العراق عند حدود الألف الثالث قبل الميلاد بظهـور "دول المـدن" " states–City " فـى عـصر فجـر الـسلالات وثانيهما تطور استعمال السلاح الذى فرض هو الآخر على الحرب النفسية أساليب وتقنيات معينة.

وفـيما يـتعلق بالمـتغير الأول فإنـه قبل ظهور نظام دولة المدينة فى عصر فجر السلالات شـهد الـسهل الرسوبى منذ الألف الخامس (ق، م) ظهور أول مراكز الاستيطان البشرى ومن ثـم تطـور المراكـز الزراعية هذه إلى مدن فى العصر الشبيه بالكتابى فى منتصف الألف الرابع (ق.م) وإن كانـت هـذه المـستوطنات قد عرفت أشكالاً من السلطة إلا أنها لم تعبر عن شكل سياسـى للحكم، حتى ظهور نظام دولة المدينة إذ انفردت حضارة وادى الرافدين بنشوء أول شـكل مـن أشـكال الحكم فى التاريخ البشرى. وكان نظام دولة المدينة نظامًا متطورًا لا يشبه مـا ظهر فى حضارة وادى النيل قبيل قيام المملكة الموحدة فى عهد الأسر الأولى. ولعل أقرب شـىء يـضاهيه هـو نظـام دولة المدينة فى الحضارة الإغريقية (Polis)، إذ كان ذلك النظام فـى كلـتا الحـضارتين نظامًـا أنموذجا للوحدة السياسية والدولة، نمت من ظله فكرة المواطن والمواطنة (citizenship).

هـذا الـتطور الهائـل متمثلاً بمفهوم النظام السياسى، القائم على فكرة المواطنة فى "دولة المدينة" قد قاد ولأول مرة إلى ظهور الحروب المنظمة بين دويلات المدن فى بلاد سومر، ومن ثـم ظهـور الحـرب النفـسية أداة مهمـة متصلة بالحرب الجسدية بين هذه الدويلات، الأمر الـذى يوضـح بكل جلاء أنه ليس هناك استعماله مقنن ومدروس للحرب النفسية، قبل نشوء الحـروب المـنظمة التـى كانـت ولـيدة الصراع بين دول المدن الناشئة ونظرة سريعة إلى صراع هذه الدويلات خلال عصر فجر السلالات توضح لنا أبعاد ذلك[1].

ولكـن مـا كـان للحـرب النفسية، ولا للحرب الجسدية نفسها أن تشهد تطورًا كبيرًا من حـيث الاسـتعمال والممارسـة لـولا تطـور خطـير أعقـب عصر فجر السلالات، ألا وهو ظهور

---

(١) فيما يخص عصر فجر السلالات، وظهور فكرة المواطنة فى العراق القديم، انظر طه باقر، مقدمة فى تـــاريخ الحضارات القديمة، (مقدمة فى تاريخ حضارة وادى الرافدين) ج١، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ١٩٨٦، ص ٢٥٥ وما بعدها.

اتجـاه تاريخى رافض لوجود دولة المدينة من خلال سعيه إلى فرض نظام دولة القطر الواحد أو المملكـة الـواحدة التى تضم دويلات المدن هذه فى دولة واحدة، ونظام سياسى واحد ولقد بـدأ هـذا الـتطور الخطـير فـى عهـد "لـوكال زاكيـزى" حاكم مدينة "أوما" الذى اتجه نحو الـسيطرة علـى المـدن المجاورة، وكان ذلك العامل الرئيسى الذى مهد الطريق أمام "سرجون الآكدى" فى إقامة دولة القطر الموحدة.

وهكـذا شهد تاريخ البشرية ظهور أول إمبراطورية نعرفها حتى الآن وكان ظهورها إيذانا بدخـول الـصراع الجـسدى والنفـسى مرحلد جديدة مازالت سائدة بمفاهيمها الأساسية حتى عصرنا الراهن.

لقـد دفعـت الـسياسة الخارجـية الـدويلات المتـصارعة المتنافـسة إلى صـنع شـروئها ومـسلتزماتها الخاصـة التـى دفعـت الملـوك والقـادة العسكريين إلى استنباط واستعمال جميع الوسـائل التـى تكفـل لهـم إخـضاع إرادة الطـرف المعادى من جانب، وتعزيز الروح المعنوية لمواطنـى هـذه الـدويلات مـن جانـب أخـر وكـان هؤلاء المواطنون يمارسون نوعًا من المشاركة الـسياسية فى الحكم من خلال المسمى دائرة الشعب (أونكين) ومجلس شيبة المدينة "شبوت الم" " Shibot Alim" [1].

وقـد جـاء تطور النظام السياسى فى الإمبراطورية الآكدية ثم البابلية فالآشورية، ليضفى علـى الحـرب النفسية والجسدية أبعادًا جديدة، فيما بعد فلم يعد العدو كائنًا سياسيًا يمكن أن يـصبح جـزءًا مـن الكـيان الـسياسى العـام القـائم، وإنمـا غـدا عـدوًا لابـد مـن تحطـيمه وإخـضاعه، وذلـك بـع انـتقال الـصراع اخـارج حـدود الـدول، وبـروز مفاهـيم أمنية جديدة تستوجب تطبيقات مماثلة لذلك الصراع، إذ كان الامتداد الشائع بين الخليج العربى والبحر المتوسط يفرض استراتيجية لابد منها لكل حكام العراق القديم لضمان أمن دولهم وسلامتها.

أمـا المـتغير الثانـى ونعنـى بـه تطـور اسـتعمال السلاح، فمما لا ريب فيه أن أول سلاح صـنعه الإنـسان لم ينجـز إلا بعـد أن تطور الإنـسان تطـورًا حياتـيًا مـن حيث حجم الدماغ والقـدرة علـى تحـريك أعـضاء الجـسم ، وذلـك لأن صـنع الـسلاح على وفق أسلوب خاص يحـتاج إلى قـدر مـن الـتفكير وهـذا هو الذى دفع علماء (الانثروبولوجيا) ـ علم الإنسان ـ إلى

(١) م. ن. ص ٣٢٦ عن المشاركة السياسية والتمثيل النيابى من خلال مجلس الشيوخ والنواب، أنظر صموئيل نوح كريمر، من ألواح سومر م. س. ذ، ص ٨١ وما بعدها.

تعـريف الإنسان وتميزه من المخلوقات الأخرى بأنه الكائن الحى الذى يستطيع صنع الآلة، وتـاريخ أقـدم إنـسان علـى الأرض يرتبط ارتباطا مباشرًا بأقدم آلة أو أقدم سلاح [١]. لذا فإن الـتطور فـى ابتكار الأسلحة واستعمالها إنما يعبر عن تطور معين فى استنباط أساليب قتالية جديـدة مـن ثـم لابـد أن تـترك هـذه آثارها فى الحرب النفسية نفسها، فظهور الصراع بين دويـلات المـدن الـذى كان على أشده بين مدينتى "أوما" و"لكش" قد دفع إلى تشييد الأسوار حـول المـدن، بعد أن ظل القتال يجرى خارج المدينة مدة معينة، ويستوجب نوعًا معينًا من التعبـئة العـسكرية، ولكـن بدخـول الحـرب عالمهـا المـنظم والدائم، ومن أجل تحقيق الدفاع الذاتـى بوسـائل أخـرى، نـشأت الحاجـة إلى ظهـور الأسـوار حول المدن، وقد كانت مدينة "الـوركاء" كمـا تخـبرنا النـصوص المسمارية من المدن القديمة التى أحيطت بسور دفاعى فى عهـد ملكهـا كلكـامش فـى حدود (٢٧٠٠) ق. م، وكان طوله تسعة كيلو مترات ومن خلاله كـان كلكـامش يتـصيد الأعـداء كمـا تـصـطاد الطـيور طـبقًا لما جاء من بعض كتابات مدينة الوركاء [٢].

وفـى هـذا الـصدد لابـد أن نذكـر واحـدًا مـن أهـم الأحـداث التـى تمثل فهم"كلكامش" لأسـاليب الحـرب النفـسية واسـتعماله لهـا فى مواجهة عدوه "ملك كيش" فى أثناء الصراع الـذى احـتدم بـين "أوروك" و"كـيش" فـى العـصر الـسومرى القـديم، فقد أرسل "أكا" ملك "كـيش" إنـذارا إلى كلكـامش يطلـب مـنه الاستـسلام ودفـع الجـزية وهدده بالحرب فعرض

---

(١) د. تقى الدباغ ، (السلاح فى عصر ما قبل التاريخ)، الجيش والسلاح، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٨، ص ٢٠.

(١) أقـــدم سور وخندق دفاعى اختط حول مستوطن من مطلع القرن السادس ق. م وربما قبل ذلك بقلـــيل هما سور وخندق تل الصوان قرب سامراء على الضفة الشرقية من نهر دجلة قرب نصب القائم. د. بهنام أبو الصوف مقابلة شخصية بتاريخ ١٥/٥/ ١٩٩٦. أما د. سامى سعيد الأحمدى فيرى أن الأسوار قد ظهرت أول مرة فى عصر حلف (نحو ٥٥٠ ق. م) وأول سور دفاعى نجده فى موقع (اريجية) من حقبة (حلف) قرب الموصل، أى قبل عر فجر السلالات نحو (٣٠٠٠) سنة، إذ أنه عندما تتجمع جماعة ما فى مستوطن معين فإن من الطبيعى أن تفكر فى بناء سور دفاعى، وهذا ما حدث فى أريـــجـــية، د. سامى سعيد الأحمد، مقابلة شخصية بتاريخ ٢٥/٦/ ١٩٩٢.

د. مؤيد سعيد، (العمارة العسكرية فى العراق القديم) القلاع والأسوار وأنواع المعسكرات، الجيش والسلاح ج٢، م . س. ذ، ص ١٩١.

"كلكامش" الإنذار على مجلس كبار السن فى المدينة، فوافق على طلب "أكا". ولكن كلكامش عرض الأمر مجددًا على مجلس الشباب القادرين على حمل السلاح والذى كان كما يبدو أكثر أهمية، فرفض هذا المجلس إنذار "أكا"، وفعلا رفض (كلكامش) إنذار "أكا" الذى تقدم بجيش حملته السفن وهاجم "أوروك". ولكن (كلكامش) لم يحاربه بل أرسل له رسالة مع أحد أعوانه، وفعلاً حمل الأخير الرسالة وخرج من سور (أوروك)، ولكن جند "كيش" أمسكوه وضربوه ضربًا مبرحًا وأحضروه أمام "أكا" وبعد أن فشلت هذه المحاولة صعد على سور (أوروك) ضابط أوروكى اسمه (زاياد ويبونو جاشم) ثم تبعه "كلكامش" ليقدر قوة العدو المهاجم للمدينة، ولكن ما أن رأى أهل "أوروك" (كلكامش) وقد اعتلى السور حتى أخذوا يغمرون أنفسهم بالتراب مهتاجين خوفًا عليه من الهلاك ليندفعوا معتلين السور هم أيضًا إن العمل الذى قام به كلكامش بتسلقه السور والذى ربما كان بتدبير مقصود منه للتأثير فى معنويات سكان أوروك، كان له أثر حاسم فى أكا ملك "كيش" إذ قام هذا بعد أن رأى أهل أوروك على السور بقطع صوارى سفنه التى تقل جنده وانسحب، وهنا انتقل كلكامش، على ما يبدو إلى مرحلة ثانية لبلوغ غاية ما كان يطمع إليه، فقد أخذ يكيل المديح إلى "أكا" إذ أخذ يثنى عليه جزافًا قائلاً:

ـ " يا أكا" أنت ناظرى ـ أيها المسؤول

يا أكا.. أنت قائد شعبى.

ياأكا .. أنت الذى أشبعت الطير الذى يحلق فى الجو

يا أكا .. أنت الذى أعطيتنى الهواء الذى استنشقه

لقد منحتنى أنت الحياة..

ياأكا لقد أخذت الدخيل إلى حضنك

وبعد ذلك خاطب "أكا" كلكامش ونعته بالملك والبطل.. إلخ ثم انسحب بجيشه[1].

وإذا ما حللنا تفاصيل هذه الحالة، نجد أن (كلكامش) حينما رأى قوة عدوه عمد كما يبدو إلى مسرحية صعوده إلى الأسوار ليلهب حماسة أهل "أوروك" فى دفاعهم عن مدينتهم،

---

(١) انظــر بشأن الصراع بين (أوروك) و(الجيش)، S.N. Klamp the Sumerians, Chicago) 1964- 96- 100.

وأن (أكـا) حيـنما رأى ذلـك وجد أن من الصعب عليه اقتحام المدينة بعد أن وقع الكثير من جنوده تحت تأثير كلكامش برؤيتهم له بعد ارتقائه السور كما تروى الملحمة:

(وخرج "أنكيدوا" من بوابة المدينة

وأطل "كلكامش" من على السور...

لقد شعر الأجانب، الكثير منهم بوقوعهم تحت تأثيره)

وربمـا وقعوا أيضًا تحت تأثير أنكيدوا الذى تصفه الأساطير السومرية بالضخامة والقوة، الأمر الذى حدا بالملك "أكا" إلى الانسحاب.

وهـنا تـبرز بـراعة "كلكـامش" مـن خلال معرفته نفسية خصمه إذ نلاحظ أولاً أنه على الـرغم مـن أن شـيوخ "أوروك" فـضلوا الاستـسلام علـى خـوض الحـرب، إلا أن "كلكامش" مـسلحًا بموقـف شـباب المديـنة الذين عارضوا الاستسلام، لجأ بادئ الأمر إلى إظهار القوة، مـدركًا لمـا فـى ذلك من أثر فى جموع الجند المعادين المحتشدين خارج أسوار المدينة وهكذا بعـد أن تحقق ما أراد بانسحاب ملك كيش نراه ينتقل من موقع القوة إلى موقف يتسم بالمودة والإجـلال إزاء "أكـا" محـاولاً اسـتمالته نفـسيًا وإرضاء غروره من خلال النعوت التى أطلقها علـى خصمه والتى دفعه فيها إلى مرتبة "الآلهة" إذ أن خطابه كان أشبه بخطاب موجه إلى إلـه مـنه إلى ملـك، وعـندها نجـد الـتأثير المعـاكس الحاصل فى نفس (أكا) ذاته وذلك من خلال النعوت المقابلة التى أطلقها على "كلكامش" فقد خاطب "أكا" "كلكامش" قائلاً:

الوركاء صنع يد الآلهة

الأسوار الشاهقة التى تلامس السماء

السكن الشامخ الذى أسسه "آن"

أنت قد عنيت بها، أنت الملك البطل

والفاتح، والأمير الذى يحبه الإله "آن"

لقـد أخلـى "أكـا" سـراحك مـن أجـل "كيش" وفى حضرة الإله "آوتو" أعاد إليك فضل الأيام السالفة يا"كلكامش" ياسيد "كولاب". إن الحمد لك حسن!

وهكـذا يتـضح أن مـا جـرى كـان مـناورة حـربية وسياسـية بارعـة، كـان لها أثرها فى انـسحاب ملـك "كـيش" وتحقـيق النـصر المـبين "لكلكامش" والذى كان وراء شهرته الكبيرة المعروفة.

إن أهـم مـا تجـب ملاحظـته فى هذا النص الملحمى الذى يتألف من مائة وخمسة عشر سطرًا، أنها تتعامل مع أفراد من البشر فقط، من دون تدخل من الآلهة، وهى بذلك تخالف القصص الملحمية السومرية الأخرى التى تقدم موضوعات ميثولوجية تمس الآلهة السومرية.

لـذا فـإن الـتدرج فـى الإقناع الدعائى من جانب، ومحاولة ردع إرادة الخصم من جانب آخـر، إنمـا يمثل إرادة بشرية هى التى تتحكم بالصراع وتقوم بإدارته، لذى فهى تمثل أقدم أنموذج يحكى عن التعبئة النفسية داخليًا ومواجهة الخصم الخارجى.

إن خـروج أحـد أعـوان "كلكـامش" خارج أسوار"اوروك" وذهابه إلى "أكا" وإلقاء القبض علـيه، يمكن تشبيهه بـ "جرثومة نفسية" كان الهدف منها تفتيت إرادة ملك "لكش" "أكا" ومن خلال مراحل عدة.

المـرحلة الأولى: خلـق وسـيلة أو قـناة اتـصالية، قـادرة علـى نقـل الرسـائل النفسية إلى الخـصم، والـتلاعب بمدركاتـه، وهـذا مـا حـدث للرجل الذى بعث به "كلكامش" إذ تذكر الملحمة ما يأتى:

- "قال كلكامش سيد "كولاب" لأبطاله:

يا أبطالى ذوى الرؤوس السوداء؟

من له قلب ليقم أريد أن أبعثه إلى "أكا"

"بيرخورتورى" الزعيم ـ لملكه

لملكه نطق بالحمد:

سأذهب إلى"أكا"

وسيدحض حكمه)

- "فكلكـامش" كـان فـى حاجـةإلى رجـل ذى قلـب أى ذى مقـدرة وشجاعة ودهاء، تجعلـه قـادرًا علـى دحـض "حكـم أكـا وتهديـد خطته" لغزو الوركاء. أى أنه كان بحاجة إلى قناعة دعائية يستطيع من خلالها التلاعب بالمدركات القيادية لخصمه.
- المـرحلة الثانـية تمـثلت بالـتدرج الإقناعـى مـن أن كل شىء يحدث فجأة من على الـسور، كانـت إطلالـة "زايـاد ديـبونجا" تمهـيدًا لخلـق "نـبوءة" ومعجـزة سـتغير الأوضاع وهو ما حدث، إذ تذكر الملحمة:
- وأطل "كلكامش" من على السور. فرآه"أكا" وقال:

– "أيها العبد ذلك الرجل ملكك.

حقًا إن ذلك الرجل ملكى

ولم يكد ينطق بهذا

حتى نهضت الجموع وغادرت الجموع

وتمرغت الجموع فى الرغام..

لقد شعر الأجانب، الكثير منهم بوقوعهم تحت تأثيره

والتهم المواطون التراب.

وقطعت قياديم السفن الطويلة"

وهكذا بلغ "كلكامش" التأثير الكبير بتطويع إرادة "أكا" وجيشه وقبولهم بما أراد "كلكامش" تحقيقه.

إن نشوء الأِوار دفع إلى بروز الحاجة إلى اختراع راجمات الأحجار، واستعمال القوس والنشاب فى القتال بعد أن كان مقصورًا على اليد، وهذا بدوره أدى إلى جعل المواجهة بين القوات المتحاربة لا تتم وجهًا لوجه. وإنما بشكل غير مباشر الأمر الذى استدعى أن تكون وسائل الحرب النفسية وأدواتها وسائل غير مباشرة أيضًا، وفى سبيل المثال استخدام الاستعراضات العسكرية فى هذا المجال بوصفها نوعًا من الحرب النفسية بالاستراتيجية وهو ما سنفصل الحديث عنه فيما بعد بل وحتى هذه الاستعراضات استوجبت استعمال السيوف لإشاعة الهيبة والانضباط فى هذه الاستعراضات على الرغم من أنها لا تستعمل فى أى قتال نظرًا إلى أنها كانت مصنوعة من البرونز القليل الصلابة[1]. كما أن استعمال العربات الحربية استلزم تعبئة محددة للجنود فى ساحة المعركة لدى الخصم لمواجهة الصدمة النفسية العنيفة التى تعدتها عند تركيز هجومها على قطعة معينة من قطعات الجيش.

وهكذا يبدو واضحًا أن هذين المتغيرين قد مارسا دورًا حاسمًا وخطيرًا فى تاريخ الحرب النفسية فى العراق القديم.

---

(١) د. سامى سعيد الاحمد، كلكامش، دار شؤون الثقافة، بغداد ، ١٩٩٠، ص ٤٣، وأيضًا م. ن.

أشكال الحرب النفسية وأساليبها فى العراق القديم

عـندما نـتحدث عـن أشـكال الحـرب النفسية وأساليبها فى حضارة وادى الرافدين فإنه من الـصعوبة بمكـان حـصر هـذه الأشكال والأساليب لاختلاط المفاهيم وتداخل الأشكال. وإذا كان ما يـصطلح علـيه حالـيًا دعايـة المـيدان والإشـاعة واضـع الشكل والمفهوم والاستخدام، فإن الإعلام بمعنـى الإخـبار، والحـرب النفـسية لايـبدوان واضـحين تمـام الوضـوح ناهـيك عن اختلاط ذلك بأشـكال وأسـاليب التعبـئة العـسكرية، إذا أن ذلـك كلـه لا يمـنع من تحديد شكلين مهمين من الحـرب النفسية هما ما نسميه الحرب النفسية الاستراتيجية، والحرب النفسية التكتيكية اللتين تـسيطران علـى مجمـل العمـل النفـسى ولعل مرد ذلك إلى أن الحرب النفسية حتى تلك اللحظة ظلت لصيقة بالقتال الجسدى وتابعة له ولم يكتب لها أن تستقل بنفسها.

١ـ الحرب النفسية بالاستراتيجية

ويكمـن جوهـرها فـى معالجـتها التأثير الشامل للاستراتيجية بأوسع معانيها فى الوضع النفـسى للعـدو واسـتعداده للمقاومـة مـن خـلال الـتأثير السيكولوجى للاستراتيجية والمتمثل بخلـق الانطـباع فى ذهن قادة وجنود العدو أو لدى معظم السكان المدنيين (أو لدى الجانبين معـا بشكل عام) بأن الحرب خاسرة فيما يتعلق بالطرف المعادى وأن المقاومة المنظمة هى بلا جـدوى، وفـى مـثل هـذه الحالـة يـصبح الدافـع المسيطر لدى معظم الأفراد هو أن يهتم كل شـخص بنفـسه، فـتكون النتيجة الاستسلام المنظم أو انهيار الأطر السلطوية والعسكرية [١]، وفـى هـذا الـصدد يـشير (لـيدل هـارت) فـى كتابه "استراتيجية النهج غير المباشر" إلى أنه عـندما نـستعرض المعارك الحاسمة فى التاريخ، نجد أن فى جميع هذه المعارك تقريبًا فرض المنتـصر على المنكسر شروط نفسية أثرت فى رأيه حتى قبل وقوع الصدام، ويورد (٢٩) مثالاً مـن معركة الماراثـــون بين الفرس واليونانيين وحتى معركة (ســيدان) التى دارت فى عام (١٨٧٠) بين قوات الألمانية والفرنسية وأسفرت عن هزيمة منكرة لفرنسا"[٢].

---

(١) أريائيل مرارى، الحرب النفسية، م . س. ذ، ص ٦.

(٢) انظـر عـن أفكار ونظريات ليدل هارت العسكرية، مذكرات "ليدل هارت، ط ١ ترجمة بسام العسلى المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص ٥ وما بعدها وبخصوص معركة

والعراقيون القدامى قد مارسوا هذا الشكل من الحرب وطبقوه مفهومًا، ببراعة كبيرة، أدت إلى حسم العديد من المعارك حتى قبل أن يبدأ الصدام المباشر مع أعدائهم، ففى الحملة التى جردها الملك الآشورى "سرجون الثانى" فى ربيع عام (٧١٤) ق . م ضد "الميديين والآوراتيين" قد أدت الانتصارات التى أحرزها الجيش الآشورى أثناء زحفه نحو "موصاصير" عاصمة الآوراتيين إلى فزع سكان العاصمة واضطرابهم حينما وصلهم نبأ وصوله إلى أطراف المدينة، فتخلوا عن مدينتهم وعن ملكهم "روسا الثانى" الذى انتحر عند رؤيته القوات الآشورية المطبقة على المدينة المحصنة "كعش النسر" كما أخبرنا نص حملته الثامنة [1].

وقد اتخذت عملية تطبيق مفهوم الحرب النفسية بالاستراتيجية أشكالا متعددة أهمها:

أولاً : الاستعراضات العسكرية

سواء أكانت قبل بدء المعارك أم فى أثناء دخول المدن، بعد اقتحامها، وكان الهدف الأساسى منها إشعار الأعداء بضخامة الجيوش فى العراق القديم وقوتها وعدم قدرة العدو على مواجهة الجيوش الجرارة بآلات الحرب المرعبة التى تمتلكها. ولعلنا نجد أقدم إشارة إلى أول استعراض عسكرى فى تاريخ جيوش العالم، فى ملحمة كلكامش ملك أوروك الذى أقام استعراضًا عسكريًا فى المدينة لقواته قبل أن يتوجه إلى حرب الأعداء. وكان الهدف منها واضحًا هو إظهار قوة جيش "أوروك" وعزمه على الانتصار فى الحرب. وقد سار على هذا المنوال العديد من ملوك المدن السومرية، وجاء سرجون الآكدى مؤسس الإمبراطورية الآكدية ليجعل من الاستعراضات العسكرية وإقامة المسلات والنصب وإرسال الأسرى واستعراضهم فى العاصمة "آكد" جزءًا أساسيا من أعماله الحربية الواسعة، وسار حكام "آكد" على النهج نفسه إذ حرص الملوك الأكديون ـ كما تبين لنا المنحوتات الآكدية ـ على إحصاء عدد الأسرى وجلبهم مكبلين بالقيود إلى البلاد "أكد" بعد تحقيق الانتصار عليهم دليلاً ماديًا على تلك الانتصارات ووسيلة من وسائل الحرب النفسية التى مازالت تستعمل

سيدان التى أسفرت عن هزيمة منكرة لفرنسا على أيدى ألمانيا، فأنظر منير بعلبكى، موسوعة المورد، ج٩، ط١ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣، ص ١٧.

(١) انظر د. فاروق ناصر الراوى (من مشاهير القادة الآشوريين) الجيش والسلاح، ج١، م. س. ذ. ص ٨٩. وطه باقر أيضًا، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، م . س. ذ. ص ٥٣٢ وما بعدها.

حتى الآن من أجل رفع الروح المعنوية للمقاتلين ومن ورائهم بقية المواطنين، لذا فقد كان من المألوف أن يرسل الأسرى مقيدين بالأغلال إلى المدن المقدسة وإلى العاصمة كما كانت ترسل الغنائم من الأموال والمسلات والتماثيل الخاصة بالأعداء إلى العاصمة دليلاً آخر على الانتصارات، وقد تباهى الملك "ريموش" بأنه جلب (٥٩٨٥) رجلاً أسيرًا من مدن الأعداء ووضعهم فى المعسكرات فى حين يذكر فى نص آخر، أنه فى أعقاب انتصاراته على العيلاميين أحصى (١٧) ألفًا من القتلى وأسر أربعة آلاف رجل والرقم كما يبدو مبالغًا فيه وفى تخليد إحدى الانتصارات الآكدية، هناك مشهد يحصى الأسرى الذين يظهرون بحسب العرف الذى كان سائدًا آنذاك عراة وهم يمرون أمام الملك واحدًا إثر الآخر مقيدين بحبال لمنعهم من الهروب وتشدهم سلسلة غليظة تعوقهم من أى حركة تتخطى نطاق سيرهم الحثيث[1].

كذلك فإن الملك البابلى "نبوخذ نصر الأول" منتصرًا فى حربه ضد العيلاميين واسترجاع تمثال الإله "مر دوخ" كبير الآلهة البابلية الذى كان قد سرقه العيلاميون، والاحتفالات التى أقيمت فى بابل فى أثناء استعراض عودة الجيش البابلى المنتصر تمثل أنموذجًا آخر للأهمية الكبرى التى يعيرها ملوك العراق القديم للاستعراضات العسكرية التى تبرز مدى عظمة البلاد وقوتها[2].

وقد جاء الآشوريون بعد ذلك، ليقدموا أكثر النماذج نضجًا بهذا الخصوص، إذ كانت ذروة استخدام مفهوم الحرب النفسية بالاستراتيجية من خلال استعراض القوة، إذ انتقل مفهوم التطبيق من داخل أسوار المدن إلى خارجها ولم تعد استعراضات القوة العسكرية تقام قبل بدء الحملات العسكرية أو بعد إحراز النصر، وإنما أصبحت هناك حملات كبرى

---

(١) بخصوص المنحوتات الآكدية فى عصر سرجون وخلفائه والتى خلدت بطولات الملوك الآكديين انظر، أنطوان ورتكان، الفن فى العراق القديم، ترجمة الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتى، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٧٥، ص ١٥٦ وما بعدها، وحول انتصارات الملك ايموش انظر د. عامر سلمان، (الجيش والسلاح فى العصر الآكدى)، الجيش والسلاح ج١، م . س. ذ ص ١٣٣ ــ ١٣٤، وأيضًا طه باقر، م . س. ذ ص ٣٦١ وما بعدها.

(٢) د. سميحة خليل إسماعيل، (سلالة ايسن الثانية)، الجيش والسلاح، ج ١، س. م. ذ، ص ٢٤٤ــ وأيضًا مجموعة من الباحثين العراقيين، العراق فى التاريخ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٣، ص ٨٣، وما بعدها.

تجـرد لا للقضاء على تمرد معين أو مواجهة عدو فى معركة، وإنما لتنقل الجيوش من مدينة إلى أخـرى، وتـزحف مـن مكـان إلى آخـر من دون أن تدخل فى صدام أو قتال فعلى، وكان الهـدف سيكولوجيًا بحتًا، وهو إثارة الخوف والرعب فى نفوس الأعداء، واستبعاد أى فكرة لديهم فى المواجهة وبذلك فإنها كانت تمثل نوعًا من الاستراتيجية الوقائية.

وتـبرز هـنا بـشكل خـاص الأعمـال التـى قام الملك الآشورى "سنحاريب" بها فقد أدت المـناورة التـى قـام بهـا واسـتعراض قواته ضد عيلام إلى موت الملك العيلامى "خوفًا" ونصب مكانـه ملـك آخـر قليل الخبرة، وهو ما قصد إليه سنحاريب، وكذلك لا يفوتنا أن نذكر هنا المـناورات العـسكرية التـى قـام بها الملك الآشورى "آشور بانيبال" من خلال استعراض قوته أمـام "المـيديين" عـند الحـدود الشمالية الشرقية للعراق، إذ أدى ذلك كما تخبرنا الحوليات الآشـورية إلى إصـابتهم بالذعـر والفـزع فقامـوا بقـتل ملكهـم ونـصبوا آخـر بـدلاً مـنه مواليًا للآشـوريين . وقد تجلى تطبيق هذا المفهوم فى العراق القديم[1]، فى أروع نماذجه. مع الملك البابلى "نبوخذ نصر الثانى" الذى غطى فى سنة حكمه الأولى (٦٠٥) ق، م، بجيشه سوريا متـنقلاً بـين مـدنها مـن دون أيـة مقاومـة، إذ بقـى فـى المـنطقة ستة أشهر قدم فيها حكام الـدويلات الصغيرة فى سوريا وفلسطين إليه فروض الطاعة وكميات كبيرة من الأموال، وكان الهدف من هذه الحملة ثم الحملات اللاحقة التى استمرت أكثر من عشرة أعوام تلت تسلمه العـرش، إظهـار القـوة البابلية وتوطيد الأمن فى ربوع المقاطعات الغربية. وكذلك ما فعله فى عـام (٥٩٥ ق. م) وهى السنة التاسعة من حكمه، إذ قاد "نبو خذ نصر" حملة بابلية باتجاه الحـدود الجنوبـية الـشرقية للدولـة وعـبر نهـر دجلـة لوضع حد للاضطرابات التى حاولت "عـيلام" إثارتهـا علـى حـدود الإمـبراطورية البابلـية فـى تلـك الجهـة، غير أن العيلاميين تـراجعوا إلى داخـل مـناطقهم بعـد أن أصبح "نبو خذ نصر" على مسيرة يوم واحد من أماكن تجمعهم خوفًا من الاشتباك بمعركة خاسرة مع الجيش البابلى[2].

---

(١) ريـــاض عـــبد الرحمن الدورى، آشور بانيبال، (سيرته ومنجزاته) رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٠ وما بعدها.

(٢) بخصوص حروب (نبوخذ نصر الثانى) واستعمال الحرب النفسية بالاستراتيجية بأوضح تطبيقاتها، انظر بشكل خاص، د.بهنام أبو الصوف (الكلديون ودور نبوخذ نصر القيادى)، (الجيش والسلاح) ج ١ م. س. ذ ص ٣٣٧ ـــ ٣٥٠ وأيضًا العراق فى التاريخ م . س. ذ ص ١٠٨ ـــ ١٨٨.

ثانيًا : استعمال "استراتيجية الرعب"[(١)]

حيـنما نتحدث عن استعمال العراقيين القدماء لاستراتيجية معينة تقوم على أساس إثارة الذعـر والـرعب فـى نفـوس الأعـداء، فـإن المقـصود بـذلك قـد لا يكون دقيقًا من خلال هذا المـصطلح كمـا نعـرفه فى عالمنا المعاصر والذى جعل من عملية إثارة "الرعب الجماعى" عملاً مـستقلاً بحـد ذاته فى ظاهرة التعامل النفسى، وإنما قد يكون بالإمكان استجلاء هذا المفهوم مـن خـلال اسـتقراء الوقائع التارخية فى حضارة وادى الرافدين التى تقوم على أساس إثارة الـرعب مـن خـلال اللجـوء إلى سـلوك يخـتلف عن الأنماط السلوكية المعتادة بحيث يحدث صـدمة عنـيفة لـدى أفـراد العدو، تدفعهم من خلال منعكس فطرى وأساسى هو الخوف من الموت أو فناء الذات الفردية، إلى الخضوع أو الهرب.

وهـذا مـا يـبرر ظاهرة استعمال ملوك بابل وآشور بشكل خاص القسوة والعنف من قبل، ضـد القـوى المعادية لهم، بحيث أصبح وجود الجيش الآشورى فى سبيل المثال، عند أسوار أيـة مديـنة كافـيًا لإسـقاطها حتـى مـن دون أن يقوم بأى فعل عسكرى، وهذا ما مكنهم من تحقـيق الأمـن فـى بلادهـم مـدة طـويلة، بحـيث يمكـن القـول أن اسـتعمال "إثارة الرعب" اسـتراتيجية عامـة فـى الحـروب الآشورية كان نوعًا من "استراتيجية الردع" لأى من القوى المعاديـة لآشـور. والـشواهد التـى حفلـت بهـا الحولـيات الآشورية كثيرة وعديدة جدًا بهذا الخصوص.

ومـن أجـل تطبـيق "اسـتراتيجية الذعـر" فقـد اعـتمد الآشوريون مبدأ مهمًا وأساسيًا فى حـروبهم وهـو نقـل المعـركة إلى سـاحة العـدو، وكـان الهدف واضحًا وهو التأثير السيئ فى معـنويات أفراد العدو فى المنطقة التى تجرى فيها المعركة، إذ أن القتال لابد أن يتسبب فى دمارهـا وتخريبها، فى حين أن الآشوريين إذا خسروا المعركة فليس عليهم سوى الانسحاب إلى مـناطق خلفـية. ومهمـا كـان حجـم الخـسائر فإنهـا لا تؤثـر كـثيرًا فى معنويات الشعب الآشورى الذى لم يشهد ساحة المعركة بطبيعة الحال، وربما لم يسمع بنتائجها، لكن سقوط المـنطقة التـى أصـبحت سـاحة القـتال تحـت أقدام الآشوريين، سيؤدى بلا شك إلى تهاوى الكـثير مـن المـناطق المجـاورة بسبب ما تحدثه هذه الهزيمة من ردة فعل فى نفس السكان،

---

(١) عن استراتيجية الرعب وتطبيقاتها ينظر، أحمد طاهر، الإذاعة والسياسة الدولية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ص ٢٠٩ ــ ٢١١.

مـن عـدم جـدوى المقاومـة، فـضلاً عما يشيعه الجنود من الرعب والخوف، بما يعملونه فى السكان من تقتيل ونهب وحرائق وآثار تدميرية أخرى ترتبط بطبيعة الحرب نفسها.

إن الحملـة الأولى للملـك الآشـورى "سنحا ريب" ضد بابل وملكها الثائر على الآشوريين "مـر دوخ بلادن" توضح إلى أى حد نجح الآشوريون فى إثارة الرعب فى نفوس أعدائهم، إذ يذكـر فـى إحـدى الألـواح التـى خلدت هذه الحملة "لقد غضبت كالأسد وهجمت كالزوبعة بجـنودى القـساة ووليـت وجهـى نحـو (مـر دوخ بـلادن) الذى كان فى (كيش) ذلك صانع الظلـم، رأى تقدمـى مـن بعيد فأصابه الرعب وترك جميع جيوشه وهرب إلى بلاد (كوزمانو) وحققت النصر" [١].

وقـد انعكـس فهـم الآشـوريين لأهمية "استراتيجية الرعب" فى حروبهم على جداريات قـصورهم والمـنحوتات المـوزعة فـى المـدن التابعة لهم ولاسيما فى زمن "سنحاريب" و"آشور بانيـبال" إذ طغـى الغـرص النفـسى على بقية الأغراض فى هذه المنحوتات، وهذا ما يشاهد بوضـوح فـى كثـرة المعـارك العـسكرية المـصورة التـى يـشاهد فـيها تساقط الكثير من الأعداء واقـتحام المـدن المحـصنة وهدم الأسوار، ويلاحظ أن هذه الصور أصبحت خلال هذه الحقبة تحـتوى علـى تفاصـيل كـثيرة تـبدو غـير واقعـة ومـبالغًا فيها كثيرًا، وقد قصدا ذلك الفنان الآشـورى الـذى أولى مـشاهد القتل ومعاملة الجنود الأعداء بقسوة اهتمامًا بالغاً أكثر مما كان فـى الـسابق ومقابـل ذلـك فقد أظهر الأعداء ضعفاء وأسلحتهم مكسورة للدلالة على تخاذلهم واستـسلامهم. وكانـت أكثـر الـصور شـيوعًا مـشاهد الأسـرى ومعاملـتهم القاسـية أحـيانًا، وإظهـارهم مكـبلين بالأصـفاد والـسلاسل، وقـد كانـت هـذه المـشاهد التى تضمنتها المسلات الآشـورية والتـى جـاءت علـى غـرار مسلة (إأناتم) (مسلة العقبان ـ العصر السومرى القديم) ومـسلات النـصر الآكديـة، توضـع فـى مـناطق الفـتوحات التى خضعت لسيطرة الملك الذى تمجـده المسلة لإحداث تأثير نفسى سيئ فى معنويات سكان تلك المنطقة وإدخال اليأس فى قلـوبهم فـى حـين كانـت النماذج نفسها التى تعرض فى عاصمة الملوك المنتصرين لها فعلها فى رفع المعنويات[٢] .

---

(١) يوســـف خلف عبد الله، الجيش والسلاح فى العد الآشورى الحديث(٩١١ ــ ٦١٢ ق. م) ، الدار العربية للطباعة بغداد ١٩٧٧ ص ٣٤.

(٢) م . ن . ١٧٦ ــ ١٧٧.

وسائل الحرب النفسية الآشورية

أمـا الوسـائل التـى استعملها الآشوريون الذين برعوا فى استخدام هذه الاستراتيجية من دون سكان بلاد الرافدين الآخرين، فهى عديدة ومتنوعة وأهمها:

(أ) استخدام حرب الإشاعات:

قـد يـبدو غـريبًا أن فهـم الآشوريين لأهمية الإشاعة بوصفها أسلوبا من أساليب الحرب النفـسية قـد بلـغ إلى حـد تخـصيص أفـراد معيـنين للقـيام ببث الإشاعات ويطلق على ذلك بالآشـورية تـسمية "Tukkim. Lu. MES" ويمكن أن نرى نجاح هؤلاء فى مهمتهم هذه مـن خـلال تهـويل حجـم الجيش الآشورى وأساليب بطشه بالأعداء، وفى هذا الصدد يقول الملـك "شمـش ـ ادد الأول" فى إحدى رسائله إلى ولده فى "مارى": أعط التعليمات الخاصة بالهجـوم إلى الـشخص الأول الـذى اسـتؤجر لك واجعله يذهب إلى وسط البلاد، واجعل كل أهـالى مديـنة زلـاقم يقـولن الأتـى: (سـيدنا الملـك ـ هـو شيخنا .. سوف لن ينهبنا) هذا ما سـيفهمونه وسيـصغون إلـيه، وعـندما أتوجه بحملتى إلى تلك البلاد، سيقومون بالثورة كلهم بوقت واحد، تصرف بموجب ذلك" [(١)].

ويـبدو واضحًا من خلال هذا النص أن النهب الذى كانت تقوم به القوات الآشورية كان ذا هـدف نفـسى، بدلـيل تطـيمن سـكان مديـنة (زلـاقم) بعـدم نهـب مديـنـتهم، فـى حالة خـضوعهم للملـك (شمـش ـ أدد الأول) وتهويل عدد القتلى ونهب المدن أو تدميرها كان قد بلغ حدودًا كبيرة من خلال إطلاق هذه الإشاعات.

ولم يكـتف الآشـوريون بـذلك، بل عمدوا إلى نشر الإشاعات بإطلاق سراح بعض الأسرى مـن جـنود الأعـداء، أو تركهم يهربون ويتوجهون إلى أهاليهم وبلادهم ليقصوا عليهم ما حل مـن دمـار وخـراب بجيوشهم وجيوش حلفائهم. وفى هذا الصدد يذكر "سرجون الثانى" فى إحـدى انتـصاراته أنه ترك ما تبقى من سكان الأعداء الذين هربوا لينقذوا أنفسهم: "تركتهم أحرارا من أجل تمجيد نصر سيدى الإله آشور" [(٢)].

---

(١) د. فاروق ناصر الراوى، (التعبئة وأساليب القتال فى الجيش الآشورى)، الجيش والسلاح، ج٢ م. س. ذ، ص ١٢٦ ــ ١٢٧.

(٢) يوسف خلف عبد الله ، م . س. ذ ص ٣١٢.

(ب) استعمال "دعاية الفعل"

لقد كانت دعاية الفعل أو العمل "propaganda of deed" التي تعني الدعاية المقترنة بأفعال ووقائع تعمل على تثبيت دلالة الفعل الدعائى وتعميقها، هى جوهر استعمال "استراتيجية الرعب" لدى الآشوريين بشكل خاص، وهذا ما انعكس على مهاجمة المدن المعادية أو معاملة أسرى الأعداء، وفيما يخص معاملة هؤلاء الأسرى فقد اتصفت معاملة الآشوريين لفهم بالقسوة والشدة وحفلت المنحوتات الآشورية بمشاهد تعذيب الأسرى أو قتلهم، كما جاء فى حوليات (آشور ناصر بال الثانى) على سبيل المثال، بأنه قد أسر الكثير من الرجال وقام بقطع أيدى بعضهم وأصابعهم فى حين قام بقطع أنوف وآذان بعضهم الآخر أو سمل عيونهم أما الملك "اسرحدون" فيقول فى إحدى هذه الحوليات "طرحت ملك سوهى، ووضعت الأصفاد فى رجليه وجلبته إلى العاصمة آشور" ويذكر أنه قام بقطع رأس "أيدى ملكوتى" ملك صيدا أيضًا وبحسب مشيئة سيده الإله آشور عرضه بمصاحبة الموسيقى فى الساحة الشعبية للعاصمة نينوى [1].

ومن أجل استكمال تأثير هذا النوع من العمل الدعائى، قام الملوك الآشوريون بتزيين قاعة العرش المخصصة للمقابلات الرسمية والاحتفالات بالمنحوتات المتضمنة صور الأسرى وأسلوب معاملتهم المتسمة بالقسوة البالغة، وكان الهدف من ذلك أن يشاهدها من يفدون إلى القصر للزيارة أو لتقديم الجزية، للتأثير النفسى فيهم، وجعلهم يفكرون أكثر من مرة عند القيام بالتمرد أو الخروج على السيادة الآشورية، والدليل على ذلك أن غرف القصر وقاعاته الأخرى قد عرضت فيها مشاهد دينية أو مشاهد تمثل حياة البلاط الآشورى[2] .

إلا أن استعمال هذه القسوة ضد الأسرى، يجب أن لا يبعدنا عن حقيقة مهمة هى أن هدفها كان نفسيًا بالدرجة الأولى وكان ينصب على الأقوام المتمردة ورؤوس العصيان والتمرد فى حين نجد أن معاملة الأقوام المغلوبة الأخرى تتصف بكونها معاملة جيدة، بدليل انخراط العديد من هذه الأقوام فى الجيش الآشورى نفسه أو العمل فى مشاريع الدولة العامة.

---

(١) م . ن . ذ، ص ٣١٠ ـــ ٣١٢.

(٢) عن المنحوتات الآشورية وأغراضها الدعائية، انظر، د. شمس الدين فارس، ودسلمان عيسى الخطاب تاريخ الفن القديم وزارة التعليم العالى والبحث والعلمى، بغداد، ١٩٨٠، ص ٧٥ـــ ٨١.

أمـا فيما يتعلق بحصار المدن، فقد اعتمد الآشوريون على ما حققوه فى معارك سابقة من تـدمير للمدن والمواقع التى وقفت بوجه جيوشهم لإثارة الرعب فى أية مدينة معادية جديدة أو متمـردة تقـف فى وجوههم إذ كان سكان المدينة التى تستسلم نتيجة اندحار فى المعركة، يعاملـون معاملـة قاسـية، إذ يـذهب الكـثير منهم أسرى وقتلى، أما المدينة فتحرق أو تدمر. بينما تعامل المدينة التى تستسلم من دون قتال معاملة مختلفة [١].

لـذا فقـد لجـأ الآشوريون اعتمادًا على ذلك إلى عدم الإقدام على فتح بعض المدن والقلاع بالقـوة، وإنمـا يتركـون المديـنة مـشددين الحـصار علـيها لدرجـة تـثير نقمـة الـسكان علـى حكـامهم، وهـذا مـا جـاء فـى بعـض كـتابات الملوك الآشوريين مثل "اسرحدون"، إذ كانوا يحاصـرون مـدن الأعـداء الـذين كانـوا خـائفين ويـراقبون طوال الليل والنهار عرباته الملكية ورسـله وحرسه الملكى، وكان ضباط المدينة فى القصر والحاشية خائفين وكذلك الملك، الذى كـان يفكر ماذا سيأكل هو! وماذا سيشرب! ويخاف قيام ثورة ضده فى المدينة إذ أن اندلاع الثورة ضده سيكون بسبب ذلك [٢].

أى أنهـم كانـوا يزرعون رعبًا جمعيًا لدى سكان المدن المحاصرة يدفعهم إما إلى الفناء أو التخلص من ملكهم أو حاكمهم أو إعلان الخضوع للملك الآشورى. وخير وصف لحالة سكان المـدن آنـذاك، مـا يذكـره أحـد النصوص الآشورية عن حصار "سنحا ريب" "لحزقيا" حاكم يهـوذا مـن أن "أحـد الأشـخاص خرج من باب المدينة فأعدته إلى تعاسته" [٣]. ويقصد بهذه التعاسة الوضع فى المدينة المحاصرة.

إن "دعايـة الفعـل" هذه أدت دروًا عظيمًا فى انهيار القوى المعادية لآشور حتى قبل بدأ القـتال فـى الكـثير من الأحيان ولعل ما جاءنا فى أحد النصوص من زمن "شلمنصر الثالث" فـى حملـته الثانـية عـن حـصاره لإحدى المدن وأنهم ـ أى الأعداء ـ رموا أنفسهم فى داخل البحـر فـى القـوارب خوفاً من أسلحتى المرعبة، وقد تبعتهم فى القوارب الجلدية وقد جرت معركة عظيمة فى البحر هزمتهم فيها وصبغت البحر بدمائهم مثلما يصبغ الصوف " [٤].

---

(١) Luckenblll, D.D. (2) The Annals of Sennacherib, (Chigago 1924). P. 41.
(٢) lbid. P 45.
(٣) Luckendlll,(2) P33.
(٤) lbid, P.22.

٢ـ الحرب النفسية التكتيكية:

الحـرب النفـسية فـى مـستواها التكتيكى، تعنى الصدام المباشر مع العدو، وتوجه عادة ضد جيوش العدو فى ميدان القتال أو فى قواعده أو ضد رعاياه الموجودين فى منطقة القتال، وتـستهدف العمليات النفسية فى هذه الحالة إضعاف مقاومة قوات العدو أو مطالبة الشعب بالـتعاون مـع القـوات المـسلحة المـتقدمة ووضـع العـدو فـى حالـة نفسية هى حالة الهزيمة والاستـسلام ولكنها تخرج أحيانًا عن هذا الإطار حينما تكون موجهة إلى فئة معينة "أقليات عـرقية أو دينية" أو مجموعات معينة فى مراكز السلطة داخل قيادة العدو ومراكزه السلطوية لتحقـيق أهـداف معيـنة محـددة ومـن ثـم تخرج من منطقة القتال الفعلى، وتختلط بالحرب النفسية الاستراتيجية بشكل واضح [١].

لقد عرفت حضارة وادى الرافدين استعمال الحرب النفسية التكتيكية على نطاق واسع، وعـبر هـذا الاتساع عن فهم دقيق وعميق أيضًا لأكثر أساليب هذه الحرب أهمية وهو أسلوب "دعايـة المـيدان" والتـى تعنـى الإجراءات التى غالبًا ما تقوم بها الجهات العسكرية بهدف الـتأثير المباشر فى قطعات العدو، لزيادة الارتباك وإضعاف المعنويات [٢]. وكانت أهم أشكال هذه الحرب هى:

(أ) دعاية الميدان:

إن دعايـة المـيدان بوصـفها أهـم أشـكال الحرب النفسية التكتيكية ارتبطت فى حضارة العـراق القديم بمتغيرين مهمين أولهما، طبيعة التعبئة العسكرية، وتطوراتها، وثانيهما تطور اسـتعمال الأسـلحة وتنوعها والذى ترك تأثيره الكبير، ليس فى طبيعة التعبئة فقط وإنما فى أساليب دعاية الميدان أيضًا.

فالتعبـئة العـسكرية كمـا أظهـرتها المخلفـات الأثـرية، التـى جاءتـنا من بدايات العصر الـسومرى القـديم أظهـرت أن الجـيوش العـراقية القديمـة كانـت تستعمل نظام الصف أو ما

---

(١) ينظـــر بخصوص الحرب النفسية التكتيكية واختلافها عن الحرب النفسية الاستراتيجية، د. حميدة سميسم، الحرب النفسية الإيرانية، بغداد ١٩٨٨، ص ٢٥ ـــ ٢٦.

(٢) انظر عن مفهوم دعاية الميدان وعلاقتها بالحرب النفسية التكتيكية وتطبيقات هذه الدعاية، رجاء آل هـــيش، الدعاية الإيرانية فى حرب الخليج، معهد البحوث والدراسات العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ١٩٨٨، ص ٤٥٩ وما بعدها.

يدعى بنظام الكراديس، إذ ينتظم الجنود فى أثناء الهجوم وفى أثناء الدفاع فى وضعية لا فرق فيها بين جندى وآخر، وهم يحملون الرماح والدروع ويغطون رؤوسهم بالخوذ الواقية، وهذا ولا شك ما يمنع العدو من اختراق هذا النظام بسهولة، وكانت العربات الحربية تتقدم الجنود المهاجمين مثلما تتقدم الدبابات هجوم المشاة فى الحروب الحديثة (1).

وهذا ما أنعكس بشكل واضح على استعمال الحرب النفسية التكتيكية فقد اعتمد السومريون "أسلوب الصدمة" العنيفة، من خلال استعمال العربات فى اختراق صفوف الأعداء، إذ تؤثر الصدمة الحادة والقوية فى قوات العدو مسببة تشتت قواته من خلال إثارة الذعر والخوف بين جنوده، ومع ظهور الأسوار والتحصينات العسكرية، ظهرت راجمات الحجارة أيضًا، لتحقق "كثافة نارية" بحسب المصطلحات العسكرية الحديثة ضد العدو، والهدف هو بث الذعر والخوف، وتقييد حركة جنود الأعداء. وتذكر لنا النصوص السومرية فى وصف للملحمة الخاصة بالمعركة التى نشبت فى حدود (٢٦٠٠ ق. م) بين مدينة "الوركاء" ومدينة "آرتا" هذه الحقيقة إذ ورد ما يأتى (2):

فى ذلك الوقت تبع سكان سلالة الوركاء الملك "انمير ـ كار" مثل رجل واحد فعبرت جيوشه الجبال المحيطة بمدينة "آرتا" زحفًا كما تزحف الأفعى بين أكوام الحبوب، وعندما وصلت الجيوش منطقة قريبة من مدينة "آرتا" بدأت راجمات الأحجار ترمى أحجارها التى ساوت كميتها قطرات الأمطار التى تسقط خلال سنة كاملة، فسقطت لذلك الأحجار بكثافة على أسوار مدينة "آرتا".

ويبدو بكل جلاء من هذا النص أن استعمال الحجارة المقذوفة بهذا الكم الهائل والذى قد يكون مبالغًا فيه، ليس فى حقيقته إلا نوع من أنواع "تكتيكات الفزع"(3) التى تعد واحدة من أهم أدوات "دعاية الميدان" التى تستعملها الجيوش المعاصرة من خلال الكثافة النارية

---

(١) د. فوزى رشيد، (الجيش والسلاح فى عصر فجر السلالات)، الجيش والسلاح، ج ١، م. س. ذ، ص ٥٨.

(٢) م . ن . ص ٨٧ ــ ٩١.

(٣) يقصد بتكتيكات الفزع مجموعة من الفعاليات العسكرية العنيفة التى تشل تفكير العدو وتجعله يقف مشدوهًا، ومن ثم يرضخ وقيادته لمشيئة خصمه، انظر عن تكتيكات الفزع، أحمد بدر، الإعلام الدولى، دراسات فى الاتصال والدعاية الدولية، مكتبة غريب القاهرة، ١٩٧٧ ــ ص٣٩٣.

العالية التى تركز على إحدى الجبهات والمواقع، وعلى وفق نظريتى "دوهيه وميتشل" المعروفة عسكريًا، إذ أن هدف القصف المركز هو تدمير معنويات السكان والمقاتلين إذن، فالعراقيون القدماء عرفوا هذا المفهوم وطبقوه من خلال استعمال راجمات الحجارة والسهام والرماح بوصفها من الأسلحة السائدة للمشاة، قبل بدء الاشتباك وفى أثنائه.

إن أهم ما يجب ملاحظته بهذا الخصوص أى تأثير التعبئة العسكرية على أساليب ووسائل الحرب النفسية أن تطورات التعبئة العسكرية لدى البابليين ثم الآشوريين، قد خلقت أساليب جديدة اختلفت باختلاف استعمال هذه التعبئة فى الأماكن المكشوفة والمرتفعات الجبلية أولاً ثم القتال فى المناطق السهلية والمفتوحة ثانيًا.

(ب) حصار المدن:

وقد استعمل الآشوريون أساليب عسكرية تعبوية متنوعة فى مواجهة المواقع الحصينة، من خلال استعمال أسلوب حصار المواقع والمدن، إذ عملوا بطرائق متنوعة على إضعاف دفاعات العدو ومحاولة تحطمية عسكريًا ونفسيًا وصولاً إلى إجباره على الاستسلام أو العمل على تدميره ومن تلك الطرائق قطع المدينة عما يحيط بها من كل شىء بما فى ذلك قطع مصادر المياه وموارد العيش، وهذا الحصار قد يستمر مدة أشهر أو سنوات كما حدث فى حصار مدينة - "أورشليم" - أو حصار "السامرة" فى فلسطين [1].

---

(١) حاصر (نبوخذ نصر الثانى) مدينة أورشليم فى كانون الأول عام (٥٨٩) ق.م وبناء على طلب الحاكم اليهودى تقدم فرعون مصر على رأس جيش مصرى، ولكن لم يسفر ذلك عن نتيجة حاسمة للموقف فبعد تراجع القوات المصرية عاد الجيش البابلى ودخل المدينة منتصرًا عام (٥٨٧) ق.م وقد أدى الحصار الذى دام نحو ثمانية عشر شهرًا وهى مدة ليست بالقصيرة إلى إنهاك المحاصرين ودفعهم للاستسلام.

للمزيد عن هذا الحصار انظر، حياة إبراهيم محمد، نبوخذ نصر الثانى، المؤسسة العامة للآثار والتراث بغداد، ١٩٨٣، ص ٧٠ وما بعدها وعما دار فى هذا الحصار من حوار بين قائد الجيش الآشورى واليهودى، وكيف استطاع أن يستخدم بشكل رائع تطبيق استراتيجية إثارة الذعر بشكلها التكتيكى، انظر الكتاب المقدس، (كتاب الحياة ترجمة تفسيرية)، ط٤، بلا دار نشر، ١٩٩١، ص ٥٠٨ ــ ٥٠٩.

كما أدت القوة الرادعة للجيش الأشورى، ولا سيما صنوف الخيالة والعربات التى كانت مشهورة بإحداث صدمات عنيفة فى جسد الجيش المعادى ومعنويات أفراده، أدت إلى إجبار الأقوام الأخرى على تحاشى منازلتهم والتحصن بقلاعهم التى لم تستطع حمايتهم من بطش الآشوريين لابتكارهم أسلحة ومعدات الحصار ولاستعمالهم أساليب جديدة كثيرًا ما كانت تمثل مفاجأة كاملة للأعداء وهذه المفاجئة غالبًا ما تشل تفكير الخصم وتدفعه إلى الاستسلام.

جـ- الإرهاب:

ولكن أكثر ما يثير الإعجاب حتى وقتنا الحالى فى أساليب الحرب النفسية التكتيكية فى العراق القديم، هو عدم توجيه هذه الحرب نحو جنود العدو وسكانه المدنيين فقط وإنما نحو قيادة العدو أيضًا. سواء كانت القيادة موجودة فى ساحة المعركة، أو خارجها بهدف تصفيتها جسديًا أو التلاعب بمدركاتها السياسية والعسكرية، ودفعها إلى اتخاذ قرارات خاطئة لابد أن تسبب لها الدمار والهلاك، وفى هذا الاتجاه لجأ الآشوريون إلى الاغتيال السياسى للملوك والقادة المناوئين، وتشير بعض الرسائل من مدينة "مارى" إلى تحذير الملك الآشورى من التجوال فى المدينة قبل القبض على بعض الرجال المتآمرين وإيداعهم السجن وإلحاق الهزيمة بالمعتدين، ونص آخر تقدم فيه النصيحة للملك بعدم دخول المدينة ثلاثة أو أربعة أيام، ونص يهيب بالملك استعمال كبار موظفيه وحاشيته وخدمه لحراسته وعدم السماح له بالمسير بمفرده، كما توجد إشارات أخرى عن إعدام أو إنهاء روؤس العصابات بطرائق مختلفة منها إخفائهم إلى الأبد أو إعدامهم وكما يبدو فإن النصين الأخيرين يشيران بكل صراحة إلى فهم الآشوريين لإمكانية استعمال هذا السلاح ضدهم، لذلك فقد اتخذوا التدابير الوقائية ضد مثل هذه الأعمال.

ولم يكتف الآشوريون بذلك، وإنما عمدوا إلى بث الصراع بين قادة العدو وإدخال عدم الثقة إلى نفوسهم والعمل على التشكيك بقدرة قادتهم على حمايتهم وصولا إلى العمل المستمر من أجل أن يتخلى الناس عن القادة ويهربوا من الجيش[1].

---

(١) جورج رو، العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٤ ص ٢٨٥.

أم إطـلاق الإشاعات بين جنود الأعداء ومواطنيهم، فقد بلغ تطورًا مذهلاً لدى العراقيين القـدماء، ويكفـى فى هذا الصدد أن نشير إلى أنه كانت هناك إدارة خاصة بإطلاق الإشاعات ونـشرها ويدعى الذين يقومون بهذا العمل "Lv- Mes Tukkim" وأن معرفة مدى نجاح هـؤلاء الـرجال يمكـن استـشفافه مـن خـلال تهـويل حجم الجيش الآشورى وأساليب بطشه بالأعـداء، أو بـتوفير فـرص الهـرب أمـام بعـض الأعداء الذين يؤسرون بالحرب والتوجه إلى بلادهم وذويهم ليقصوا عليهم ما حل من دمار وخراب بجيوشهم وجيوش حلفائهم[١] .

ولم يكـتف الآشـوريون بـذلك وإنمـا كانـوا يقومـون بتـشجيع الـرجال مـن سكان البلاد المعاديـة علـى الهجـرة والهـروب إلى جانـبهم عـن طريق تقديم الهدايا والمكافآت للمحاربين مـنهم، ومـا يلقـونه مـن حفـاوة وتكريم من البلاط الآشورى. وتشير إحدى الرسائل من عهد (سـرجون الثانـى) إلى هروب عدد من الضباط وحامل العلم من القلاع الميدية وتذكر أن هؤلاء سيرسلون لمقابلة ولى العهد[٢] .

٣ ـ استخدام تدوين التأريخ فى العمل الدعائى:

قـد يـبدو غريبًا الحديث عن عملية استعمال تدوين الأحداث التاريخية من حيث كونـها عمـلاً دعائـيًا وأسـلوبًا مـن أسـاليب الحـرب النفسية فى العراق القديم، بوصف هذا المفهوم حديـثًا، لا يرقـى فى تأريخ استعماله إلى عصر الحضارات القديمة ولكن استعمال الآشوريين بـشكل خـاص لهذا الأسلوب لا نعده كشفًا بقدر ما يدفعنا إلى إعادة النظر فى تأصيل الكثير من مفاهيم نظرية الحرب النفسية.

عملـية تـدوين الـتأريخ فـى العمل الدعائى، تعنى فى جوهرها التوظيف الدعائى للمادة التاريخـية وبعـبارة أخـرى أنها عملية استعمال التاريخ أداة أساسية فى التعامل النفسي[٣] . وبعـيدًا عن الخوض فى تفاصيل ذلك، فأن الآشوريين قد استعملوا ذلك أسلوبًا دعائيًا يندرج فـى إطـار (الحـرب النفسية الوقائية) بوصفها عملية الإعداد المسبق لمواجهة الحرب النفسية

---

(١) م . ن . ص ١٢٧.

(٢) يوسف خلف عبد الله، م . س . ذ، ص ٢٥٩.

(٣) انظر عن استعمال عملية كتابة التأريخ بوصفها مسلكًا من مسالك الحرب النفسية د. حامد ربيع، إعادة كتابة التأريخ ونظرية الحرب النفسية ص ٢٤ وما بعدها.

المعاديـة، وهـى هـنا تتـشابه مـع عملية استعمال التأريخ فيما يتعلق (بالدعوة) بوصفها أحد مـستويات ظاهـرة الـتعامل النفـسي والتـى نجـدها بوضـوح من خلال الكتب المقدسة إذ تتم عملية خلق الثقة بالذات من خلال العودة إلى النماذج التاريخية.

الآشـوريون اسـتخدموا هذا المسلك على نطاق واسع وإلى الحد الذى دفع بعض الباحثين إلى أن يعـدوا الولـع اللامتناهـى لهـم فـى تـدوين الأحـداث التاريخـية وبراعتهم الفائقة فى الحـرب، ميـزتين أساسـيتين يتميز بهما الآشوريون، لا سيما فى عصر إمبراطوريتهم المتأخر مـن تأريخهم الطويل (٧٤٧ ـ ٦١٣) ق.م والذى تعرف الحقبة الغالبة فيه بالعصر السرجونى (٧٢٤ ـ ٦١٢) لـذا لا ريـب أن يـذهب بعـضهم إلى الاعـتقاد بـأن الآشوريين يعدون أول من أدخـل فن الكتابة التاريخية متجاوزين بذلك مرحلة الاكتفاء بالكتابات القليلة البسيطة التى تـترك عند تكريس البنايات والمعابد إلى نشر تفصيلات طريفة ومهمة عن حملاتهم العسكرية واستراتيجياتهم الحربية وسياستهم الداخلية والخارجية [١].

إن بـراعة الآشـوريين فى اعتماد هذا الأسلوب تتجلى بوضوح من خلال استعمال شكلين متبايـنين فـى الـتدوين التأريخـى الأول يتـضمن الكـتابات التـى كانـت تعلـن للناس لغرض اطلاعهـم عليها والوقوف على نشاط دولتهم العسكرية وقوة ملوكهم ونتائج الغزوات والحرب وبـسبب غرضـها الدعائـى فهـى مليـئة بالمـبالغات والإطـناب الذى ليس له حدود والتعظيم اللامتناهـى لـشخص الملـك والثانـية الكـتابات التـى يدونها الملوك والآشوريون أنفسهم على شـكل رسـائل إلى الإلـه آشور ولما كان الإله بحسب اعتقادهم لا تخفى عليه صغيرة أو كبيرة من الأمور فلا يمكن الافتراء عليه بأية صورة، فالملك يكون فى هذه الحالة مجبرًا على كتابة التفصيلات الحقيقية للواقعة أو الحملة التى هى موضوع رسالته والصعوبات التى يلاقيها[٢].

فمـثلاً فـى الـوقت الـذى تـنص فيه نصوص (خرسباد) على أن زهاء (٢٠) ألفًا و(١٧٠) شخـصًا قد أسروا من (أورزانا urzana) فى منطقة (مصامير Musasir) فإن رسالة الملك

(١) للمـــزيد انظر د. سامى سعيد الأحمد، (كتابة التأريخ عند الآشوريين فى العصر السرجونى)، مجلة سومر ج١ ـــ ١ المجلد الخامس والعشرون ، بغداد ١٩٦٩.

(٢) عـــن ذلـــك انظر : ادوارد كبيرًا، كتبوا على الطين (رقم الطين البابلية تتحدث اليوم) ترجمة د. محمود حسين الأمين، مكتبة الجوارى، بغداد، ١٩٦٢، ص ١٠٩ ـــ ١١٩.

سـرجون إلى الإلـه آشور، تذكر الرقم ستة آلاف و(١١٠) أشخاص والاختلاف كبير جدًا بين الرقمين فضلاً عن الاختلاف فى إيراد تفاصيل الحملة العسكرية[١] .

ويلاحـظ على الكتابات الدعائية أنها كانت تتضمن أخبار الانتصارات الآشورية فقط من دون أن نقرأ أى خـبر عـن انـدحارات عسكرية منى بها الملوك الآشوريون، كما أنها حافلة بالمبالغات وبالأرقام المبالغ فيها عن خسائر العدو.

ولـما كانـت الوظـيفة الدعائـية هـى التـى تـتحكم بكـتابة هذه النصوص وهى معدة أصلاً لإطـلاع الشعب عليها فإنها كانت تكتب على الجدران فى الشوارع والقصور وعلى الأرصفة، ومدن (آشور وكالح ونينوى) قصورها وشوارعها حافلة بهذا النوع من الكتابات.

إن توظـيف الأحـداث التاريخـية فى العمل الدعائى لم يقتصر على إبراز القوة الآشورية أمـام الأعـداء ولا سـيما الذين تسنح لهم فرصة زيارة القصور الملكية خلال السفارات المتبادلة او تقـوية معـنويات الـشعب وإنمـا تجـاوز ذلك إلى كتابة تاريخ الملوك السابقين وسيرهم مرة أخـرى من الملوك الذين يخلفونهم ومن أجل إبراز عظمة عهدهم وقوته، فإن الملوك اللاحقين لا يـتوانون عـن أن ينسبوا لأنفسهم الغزوات والأعمال البطولية التى قام بها الملوك السابقون لهـم. فمـثلاً فى الوقت الذى يذكر فيه "اسرحدون" أنه هو الذى قتل (ترهاقا) الملك المصرى بخمـس طعـنات مـن رمحـه نجد أن ابنه "آشور بانيبال" يذكر أنه هو نفسه الذى قتل ذلك الملـك، والهدف من وراء ذلك إضافة إنجاز أخر إلى إنجازاته العسكرية بالرغم من أنه لم يقم بـذلك العمـل [٢]، وقـد سـار الملـوك الأشـوريون علـى هـذا المنوال، وهو ما أبرزته الحوليات والرسائل الآشورية المكتشفة حتى الآن.

لقـد ركـزت هـذه النـصوص علـى إضـفاء العظمة والقوة على شخصية الملوك. ولعل الملك الآشـورى "اسـرحدون" كان أكثر أولئك الملوك إظهارًا لعظمته إذ نقرأ فى مدوناته على سبيل المـثال ما نصه: "أنا عظيم الشأن، أنا بطل، أنا هائل، أنا ضخم، أنا معظم، أنا كير" ونقرأ أيـضًا عـند ذكـره لأنـباء سـقوط بلدة فى يده أو استسلام قوم عبارات "سحقت تحت قدمى" و"مسكت رقاب... إلخ" [٣].

---

(١) انظر حول هذه الرسالة: H.W.F. Saggs {The Nimrud Tablest} (1952) Iraq. X.Vl. (Part1) (pp.22)

(٢) M. Streek Assurbanipal und dle Letazten Assyrichen konigo blazum Untergange Nineveh's Leipzig, (1915) P. 216.

(٣) سامى سعيد الأحمد، (كتابة التاريخ عند الآشوريين فى العصر السرجونى)، م . س. ذ، ص ٧٢.

ويـرتبط هـذا التعظـيم بحـب الآلهـة إيـاه وإرشـادها لـه والهـدف مـن وراء هذا التعظيم لشخـصية الملـك، ينـبع من متغير أساسى له أهميته فى الاتصال الدعائى داخليًا وخارجيًا، فعلـى الصعيد الداخلى فإن الملك من خلال ارتباطه بالآلهة يدخل دائرة المقدس، الأمر الذى يمـنحه الهيـبة والاحـترام ويفـرض الطاعة على أبناء الشعب، ومن ثم يضمن عدم خروجهم علـيه وأمـا علـى الـصعيد الخارجـى، فـإن إبراز هذه الصورة عنه بعدّه ملكًا حقق انتصارات كـثيرة ولم يهـزم قـط، لابد أن يعطيه "هيبة" سياسية فى الأقل، لدى أعدائه، وهذه الهيبة تكـاد تقـترب ممـا يطلـق عليه الآن فى السياسة والدعاية الخارجية الهيبة السياسية للدولة فى محيط العلاقات الدولية.

إذن يتـضح مما تقدم أن الهدف الأساسى من عملية كتابة التاريخ لدى الآشوريين كانت أشـبه بعملـية تثبـيت "للـصورة القومية الآشورية" على وفق الأنموذج الآشورى القوى العظيم الـدائم الانتـصار، والـذى لم يهـزم قط، هذه الصورة التى لابد أن تكون لها أهميتها فى زرع الخـوف والـرعب لـدى العـدو. والتـى لابـد أن تدفعه إلى التفكير والتردد فى الوقوف بوجه الجيوش الآشورية.

ويـبدو أن الملوك الآشوريين قد فهموا بوضوح أن استعمال الحرب النفسية بالاستراتيجية لابـد أن يـرتبط بخلـق أسـطورة الدولـة القـوية وجيشها الذى لا يقهر. وهذا هو ما فعلوه من خـلال النـصوص الدعائـية التـى عمدوا من خلالها إلى تدوين الأحداث التاريخية من جديد وتوظـيف التاريخ نفسه كمتغير له تأثيره الكبير على صعيد الدعاية فى الداخل وفى مواجهة الأعداء فى الخارج.

إن مـا فعلـه الآشـوريون فـى هـذا الاتجـاه يذكـرنا بمـا كتـبه الروائى البريطانى "جورج أورويـل" فـى روايـة (١٩٨٤) والتـى كتـبها عـن الـنظم الـشمولية ويقـصد بالـذات الاتحـاد الـسوفيتى الـسابق فى عهد ستالين، عن عملية إعادة كتابة التاريخ ليلائم النظام الشيوعى، وإعـادة تـشكيل الذاكرة خلال لحظات فى الحرب الدائرة بين ثلاث دول أسماها (أورويل) بـ (أوقيانـيا) و(اياسـتايا) و(أوراسـيا) إذ ينـتقل العـداء خـلال لحظات من دولة إلى أخرى وتـصبح الدولـة العـدوة الدولـة الصديقة، والدولة الصديقة الدولة العدو رقم واحد، وقد أطلق (أورويـل) علـى ذلك تسمية طريفة وهى "الميثولوجيا الرسمية" التى يؤمن بها من دون النظر

إلى الفرق بين الحقيقة والكذب، لأن هذه الميثولوجيا تمثل المقدس الذى لا يستطيع أحد تجاوزه [1]. وما فعله الملوك الآشوريون كان عملية استخدام ذكى "للميثولوجيا الرسمية" فى صراعاتهم الداخلية والخارجية على سواء.

وهكذا يتضح من خلال تأصيل الحرب النفسية فى العراق القديم أن الكثير من القواعد الأساسية المتبعة فى القتال النفسى الآن، قد عرفها العراقى القديم ملكًا وقائدًا ومحاربًا، إذ ارتبطت بالحرب الجسدية أداة تعدلها وتصاحبها، وهدفها الأساسى هو تحطيم الثقة فى ذات العدو، ولم يكن السعى إلى استمالة العدو بقدر السعى إلى تدميره، وكانت طبيعة الحرب التى شهدتها المنطقة قبل أربعة آلاف عام هى التى فرضت هذا النوع من التعامل، إذ يعد الاستئصال الجسدى (قوميا) أكثر أهداف الحرب بروزًا إن توافرت القدرة لتحقيق ذلك.

وقد أدرك العراقى القديم، أن الحرب النفسية الهجومية هى خير أداة للدفاع. وهذا المنطق يستوجب دائمًا إظهار القوة العراقية وإبراز عناصر الضعف لدى العدو للنيل من تماسكهم على مستوى الشخصية الفردية أو الجماعية، ومن خلال التدرج فى التنفيذ، والتنسيق بين الأدوات ويدعم ذلك كله منطق دعائى إيجابى يبرز مواطن القوة والقدرة أمام العدو ومنطق دعائى سلبى مهمته إبراز نقائص العدو وعيوبه وتضاؤل قدراته أمام قدرات الجيوش العراقية.

وقد استطاع العراقيون القدماء أن يضعوا قواعد مهمة وأساسية فى استخدام الحرب النفسية من خلال الفعل القتالى، وكانت تقاليد غير مكتوبة عسى أن نعثر يومًا ما على ما يؤكد تدوينها لأن هذه الخبرة فى القتال النفسى بهذا العمق لابد أن العراقى القديم، قد سطرها على لوح طينى كبقية إنجازاته الحضارية الرائعة.

إلى جانب ذلك، لم يغفل ملوك العراق القديم، على الرغم من السمة الهجومية للحرب النفسية التى مارسوها عن مواجهة الحرب النفسية المعادية من خلال (الحرب النفسية الوقائية) لتحصين أبناء الشعب إذ كانت عملية تدوين التاريخ من العمل الدعائى تهدف إلى

---

(١) انظر عن الرواية هذه: جورج أورويل، ١٩٨٤، ترجمة أحمد عجيل، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٩٠ ص ١٦٧ وما بعدها.

خلق الثقة بالذات بواسطة تقديم الصفحات المشرفة من الماضى، ومن خلال العودة إلى النماذج التاريخية المشرقة.

وقد طوروا أدوات تنفيذ الحرب النفسية، لتكون المهمة الحربية رديفة للمهمة الاتصالية، كما أن الرقم التى حملت أبناء الحرب والانتصارات إلى شوارع المدن العراقية القديمة، قد سبقت صحيفة بكين ومسلات يوليوس قيصر فى القيام بمهمات أول أداة اتصال جماهيرية عرفها التاريخ. ويتضح أن الحرب النفسية فى وادى الرافدين قد رافقت نشوء هذه الحضارة وكانت تعبيرًا عن حالة الصراع التى شهدتها دويلات المدن فى العراق أولاً ثم مع العدو الخارجى وهنا لابد من التوقف عند أكثر الظواهر أهمية وهى أن الصراع عندما كان عراقيًا ـ عراقيًا بين دويلات المدن لم يعرف حالة الحرب النفسية فى أقصى حالاتها حيث الاستئصال الجسدى هو الهدف وإنما كان يمزج ما بين العمل الدعائى والحرب النفسية ولكن عندما كان هذا الصراع عراقيًا ـ أجنبيًا فإنه يصل ذروته من دون أن يعرف حالة للفصل وهذا ما يحتاج إلى دراسة خاصة به تبحث فى رؤية صانع القرار السياسى فى العراق القديم لتخطيط الصراع الجسدى والنفسي وإدارته.

ومن هنا فإن تاريخ الحرب النفسية بحاجة إلى إعادة نظر فى ضوء الإنجازات العظيمة للعراقيين القدماء، الذين قدموا للبشرية أول حرف.. وأول نظام سياسى وأول برلما ن وأول بشر عرف أن الخلود فقط للإبداع وحده... العراقى كلكامش العظيم.

الفصل الثانى

أساليب الحرب النفسية

المبحث الأول

الدعـــــــاية

- تعريف الدعاية
- أساليب وتكنيك الدعاية
- الأسلوبية الدعائية ... الفلسفة والفن
- التكنيك فى الاتصال الدعائى
- أنواع الدعاية
- تخطيط العملية الدعائية

الدعـــــاية

الدعايـة قديمة قدم البشر، فأوجه النشاط الدعائى عرفت منذ آلاف السنين إذ استعملها القادة وأولئك الذين يتطلعون للسيطرة.

والدعايـة بوصـفها سـلاحًا مـن أسـلحة الحـرب النفـسية موجـودة فـى أقدم دليل عمل للاسـتراتيجية العـسكرية، إذ يؤكد المفكر الصينى (صن تزو) فى القرن الخامس قبل الميلاد، فـى كـتابه (الحـرب) أهمية تدمير إرادة العدو وتجنب الصراع حتى النهاية المريرة، والعمل علـى تحقـيق النصر بأقل تكلفة ولذلك أوصى فى حالة القتال ليلاً باستعمال الأبواق والطبول علـى نطاق واسع أما فى حالة القتال نهارًا فيجب رفع عدد كبير من اللافتات والأعلام كى تبهـر عـيون العـدو وسمعه،وأشـار إلى اسـتعمال مـا يسمى اليوم باستراتيجية الرعب، بنشر قـصص الخـداع والـتحدث عـن القـوة الطاغية لتحقيق نفس الهدف[1] ، كما أن فكرة دعاية الفعـل هـى الأخرى موجودة منذ القدم، فقد نصح "صن تزو" فى كتابه السابق باغتيال قادة العدو لخلق الرعب فى صفوفه وتأكيد قدرته وسيطرته على زمام الأمور.

وعلـى الـرغم مـن أن الوسائل الإعلامية والدعائية فى الماضى كانت بسيطة وبدائية، إلا أنهـا مـع ذلـك كانـت تؤدى فعلها بنجاح، فاستعمل الأثينيون الكتابة على الصخور، بقصد الـتأثير فـى الـيونانيين، واسـتمالتهم إلى جانـبهم إذ قـام (ثـيمس تكلـس) بعد اختيار أحسن الـسفن الـشراعية الأثينـية بالـذهاب إلى مكان الماء الصالح للشرب وكتابة هذه العبارات على الـصخور (يـا رجـال الـيونان أنكـم على خطأ فى محاربتكم آبائكم ومساعدتكم على استعمار الإغـريق الأفـضل أن تأتـوا إلى جانبنا، اسحبوا قواتكم واقنعوا الكاريين بالعمل نفسه وإذا لم تتمكـنوا مـن القـيام بأحـد العملـين يمكـنكم أثـناء القتال أن تتظاهروا بالإعياء متذكرين أنكم تنحدرون منا ولأنكم سبب عدائنا للبرابرة)[2] . وهذه الوسيلة تشبه اليوم المنشورات التى كثر استعمالها إبان الحربين العالميتين الأولى والثانية، فى ضمن مفهوم دعاية الميدان.

---

(١) الدكتورة جيهان رشتى الإعلام دعاية واستعمال الراديو فى الحرب النفسية، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلى، القاهرة ١٩٨٥، ص ٢٧٩.

(٢) بول لانبرغر، الحرب النفسية، ترجمة حميد محمد الرشيد مطبعة النجاح بغداد ، ١٩٦٢، ص ١٠.

وللإغـريق رجال دعايتهم أيضًا، مثل تيرتيوس، الذى ألهبت أشعاره السياسية والوطنية والحربية حماس أهالى إسبارطة فصمدوا ببطولة وإقدام أمام خصومهم فى مسينيا [١].

واسـتعمل الـرومان فـى رومـا القديمـة الخطابـة الدعائـية، التـى تمـتاز ببـساطة اللغـة ووضـوحها مـن أجـل اسـتمالة الجمـاهير، حيـنما كانـت القـيادة الماهرة تحاول توحيد آراء الـناس، ويتـضح اسـتعمال هـذا الأسلوب الدعائى أكثر فى الدعاية السياسية التى استعملها يولـيوس قيـصر بعـد قيام الإمبراطورية الرومانية، وكذلك استعمال الرومان الدعاية الخطابية فى عصر الجمهورية، فى أثناء الانتخابات لاستمالة الجمهور إلى جانب المرشحين[٢] .

وكـان الـنظام المعمـول بـه، هـو إقامة مواكب واحتفالات الاستقبال الرسمية لتكريم قواد الـرومان المنتـصرين العائدين من الحروب ومعهم الأسلاب والغنائم، التى تقام خصيصًا بقصد الـتأثير الدعائـى فـى المـواطن الرومانى العادى وإبهاره بعظمة ومجد دولته الأم، ومما لاشك فيه أن عادة عبادة الإمبراطور كانت وسيلة دعائية متعمدة أبتدأها أوغسطس بنفسه ليستطيع عـن طـريقها حـصر ولاءات الأمم والقبائل العديدة الخاضعة للحكم الرومانى فى نطاق محدد ومعروف [٣].

وفـى زمـن الخلافـة العباسية فى القرن الثالث الهجرى، اعتمدت الدعوة العباسية على وسـيلتين مهمـتين همـا وسـيلة الكتاب، فراحت الرسائل والكتب تنقل الأخبار على وفق ما تـريد الدولـة وتـروى الحـوادث بمـا يخـدم أغراض الدعاية. والوسيلة الأخرى، هى المناظرة للانتصار لمذهب المعتزلة وتغليبه على المذاهب الأخرى [٤].

---

(١) د. محمد عبد القادر حاتم، الإعلام والدعاية، مكتبة الأنجلو المصرية ص ١٠.

(٢) د. أحمـــد بـــدر، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والدعاية والتنمية، وكالة المطبوعات الكويت، ١٩٨٢ ص ٢٠٢.

(٣) الدكتور محمد عبد القادر حاتم، م . س. ذ ص ٧٢.

(٤) د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربى القاهرة، من دون تاريخ، ص ٥٢.

ومما يؤكد اهتمام الدولة العباسية، هو إنشاؤها المجالس التى لم تعرف من قبل، ومنها مجلس نظراء النقباء، وعدد أعضائه اثنا عشر رجلاً، ومجلس الدعاة وهو يتألف من سبعين رجلاً، ومجلس دعاة الدعاة [1].

ومن الدول التى وضعت لها نظامًا فى الإعلام والدعاية، الدولة الفاطمية، التى تأسست فى الديار المصرية أبان العصور الوسطى، وكان الفاطميون يقومون بالدعوة إلى عقيدتهم بوسائل أقرب إلى الوسائل الحديثة فى نشر الدعاية السرية[2]. وتنجلى قوة الدعاية عند الفاطميين بتمييزهم بين الدعاية والدعوة فى العمل النفسى.

وإذا ما عدنا إلى تاريخ مصطلح (الدعاية)، نجد أنه مصطلح خاص بمعتقدات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أوجدته لجنة كاردينالية مسؤولة عن نشاطات البعثات التبشيرية للكنيسة منذ عام ١٦٢٢م، وهذا المصطلح (propaganda) مشتق من كلمة (propagatio) وتعنى بالإنجليزية التكاثر أو التوالد أو النشر أو الذيوع، ومنذ ذلك الحين اكتسبت الدعاية معنى إضافيًا للتطرف السياسى وبعض الافتراضات الضمنية المشكوك بها عن حيادية الدعاية[3] . غير أن اقتران ولادة هذا المصطلح بالتبشير للمذهب الكاثوليكى فيما وراء البحار جعلها أقرب إلى تقاليد الدعوة منها إلى الدعاية، إذ أنها تعلن عن عقيدة وهى خطاب للعقل وتستهدف التقويم على أساس تقديم الحقيقة الدينية.

والدعاية بمعناها السياسى الحديث وبوسائلها الحديثة، عرفت فى بداية القرن العشرين وإذا شئنا أن نحدد على وجه التقريب المدة الزمنية التى بدأت كلمة الدعاية تلتبس فيها بشكل حاد الظلال السوداء التى تكتنفها فإننا نرجع فى التاريخ القريب إلى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) التى اتسمت بطابع شامل واستعملت الأساليب النفسية على أوسع نطاق فى مجالات الحياة شتى بقصد التأثير فى عقول الناس وتشكيل مواقفهم على نحو يتفق فى كل حال مع ما يصبو إليه من يقف وراءها. وبذلك فإن الإنسان الذى يعد هدفًا للدعاية يكون قد امتحن فى صميم معتقده على نحو أدى إلى اغترابه من

---

(١) د. حسين عطوان، الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجليل بيروت، من دون تاريخ ص ٢١١ ــ ٢١٢.

(٢) د. محمد عبد القادر حاتم، الإعلام والدعاية م. س. ذ ص ٢٦.

(٣) Jeremy Tunstall MediaSociology A Reader (London: Constable) 1970 P. 20- 21.

ناحية، وأدى إلى توارى الحقيقة ويزيد من سوء ذلك أن جميع الأطراف المتصارعة بما فيهم أصحاب الحقيقة، قد وجدوا أنفسهم بالحقيقة أو التوهم وهم فى فورة الدعاية، مضطرين إلى اتباع مناهج تعمد إلى الإخفاء أو الالتواء أو التشويه أو الاختلاق حتى يستطيعوا أن يجابهوا خصومهم بفاعلية وأن يبلغوا مقاصدهم [1].

وإذا كانت الدعاية الحديثة قد اقترنت بالحرب العالمية الأولى ولا سيما فى نهاياتها فقد استفاد المتحاربون وبشكل كبير من الدروس القيمة للدعاية خلال الحرب العالمية الثانية وكان (غوبلز) وزير الدعاية الهتلرية من أبرع الذين استعملوا هذا السلاح فى الصراع الدموى مستغلاً الإذاعة والصحافة والشائعات، بحيث سبقت الدعاية تقدم القوات ونيران المدافع بوقت طويل من خلال حملة واسعة ومركزة باستعمال وسائل الاتصال الجماهيرى وآخر الطرائق المستعملة فى الإقناع الجماهيرى لإثارة الشعب الألمانى ضد الشعوب البولندية والفرنسية والبريطانية، وإقناع الشعب والجيش الألمانى بضرورة القتال وإظهار سهولة الحصول على النصر. وفى الوقت نفسه كان يخطط بعناية فائقة لحرب نفسية تستهدف تقديم وبث الانشقاق بين الحلفاء وإثارة الشعوب ضد حكوماتها، وهكذا وجهت الدعاية إلى بريطانيا من أجل نشر فكرة التهدئة والمهادنة وإلى فرنسا من أجل نشر فكرة الانقسام والروح الانهزامية وتصاعدت درجة هذه الحملة عندما اقتربت ساعة الحرب بحيث كان يتوجب على بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة توسيع أقسام المعلومات المقامة سلفًا بشكل جيد وقبولها على أساس كونها من الأدوات الرئيسة للحكومة بعدما عانت فى البداية لأنها أهملت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وأجبرت هذه الحكومات على إعادة بناء معظمها من الأساس، وفى الحقيقة برزت فقط وزارة الإعلام البريطانية للوجود بعد بداية الحرب ولم يبرز الجهد الأيديولوجى البريطانى حتى بعد إنزال دنكرك.

وانتهت الحرب، وبدأ الباحثون والعلماء يدرسون عناصر النجاح والفشل فى تلك الحرب إذ وجدوا أن عنصر الدعاية، كان من العناصر الفاعلة فيها، فمعظم الاهتمام بالدراسات الاجتماعية التى تتخذ من الجماعات البشرية مادتها وميدانها الذى تباشر فيه

---

(١) أســعد على أسعد، الاتصال والرأى العام، مبحث فى القوة والأيديولوجية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٨٩ ص ١٣٠.

اهـتماماتها بدراسة كل ما يتعلق بالإنسان ، علاقاته الاجتماعية، ومعتقداته الدينية، وأنماط تفكيره ومؤسساته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

ونشطت العلوم الاجتماعية وتشعبت فكان علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاقتصاد وعلم السياسة التـى قـدمت الكثير من الخدمات وأعانت الإنسان على مجابهة الحياة الجديدة.. وانـشطر كـل علـم مـن هـذه إلى حقول فرعية نمت وتطورت وكادت أن تصبح علومًا مستقلة بنفسها، وقـد تمخضت هذه التطورات فى ميدان العلوم الاجتماعية عن نمو حقل رئيس من حقـول الدراسـات الاجتماعـية ونقـصد بـه حقل الدعاية الذى أصبح له أساس وقواعد ثابتة وخصائص مميزة[1] ، تكمن فى تقنياتها التى اتخذت وجهين[2] :

الأول: استعمال الوسائل التقنية التى اكتشفت تدريجيًا.

ثانـيًا: محاولـة تحـويل الدعايـة إلى عملـية تقنـية، مع أن الدعاية بقيت مقترنة برجل دعايـة اسـتثنائى، إلا أن الاتجـاه العام هو تقليص العامل الذاتى من أجل إقامة دعاية على أسـس واضـحة ودقيقة، وجعلها جملة من الوسائل التى يمكن لأى إنسان ان يستعملهان إذا تعلـم تقنيـتها وأن وسـائل الاتـصال الجماهيرى التى ظهرت، قد أدت إلى نمو هائل للدعاية الـسياسية، كمـا أتاحت المجال لحملات دعائية اتخذت حجمًا كبيرًا فأضافت ميزة جديدة للدعايـة، إذ لم يعد هدفها الوصل إلى النخبة المؤثرة، التى تشغل مواقع مهمة وإنما إحداث تغـير فـى أوسـاط الـرأى العـام بأجمعـه والحـصول علـى سـلوك جمـاهيرى مؤثر فى الحياة الـسياسية وبمـا يتفق وغايات الدعاية، فغدت الدعاية ومنذ أن أضفت عليها الثورة الروسية عـام ١٩١٧، طابـع الديمـومة والاستمرارية، عاملاً يتكامل بعمق مع النشاط السياسى ويعمل على تغييره وتبديله.

ومما لاشك فيه أن التغيير التقنى الجوهرى فى مجال الدعاية الذى حملته معها الحرب العالمـية الثانـية هو استغلال الإذاعة فى الدعاية وفى الحرب النفسية، فحالما أدركت الدول الدكـتاتورية فـى مـرحلة الثلاثينـيات إمكانيات الإذاعة بوصفها سلاحًا فى الدعاية، لجأت

---

(١) سعد الدين خضر، الرأى العام وقوى التحريك، مطبعة الجمهورية الموصل، ١٩٨٦، ص ١٣.

(٢) فريال مهنا، تقنيات الإقناع فى الإعلام الجماهيرى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٩، ص ٢٥.

إلى استعمالها من أجل تقديم وجهة نظرها إلى المحايدين والأصدقاء والأعداء المحتملين، أما الدول الديمقراطية فكانت بطيئة فى اتباع أنموذج هذه الدول لاسيما إذا ما علمنا بأنه يتوجب على مؤيدى استعمال الدعاية الخارجية فى برطانيا أن يواجهو العداء الصاخب لقطاعات معينة من الصحافة والرأى العام. إن تأثير هذا العداء فى القرارات الحكومية لم يكن قليل الأهمية كما يرى (فيرزر ليندلى)[١] .

وقد أضافت مرحلة الحرب الباردة بعدًا جديدًا لمفهوم الدعاية فهى لا تتجه فقط إلى الفئة الحاكمة بل وتتجه أساسًا إلى الطبقات المحكومة بجميع فئاتها وشرائحها، وهى لم تعد سياسية فقط بل أضحت أيديولوجية واجتماعية وحضارية[٢] . ولاشك أن عوامل التطور التقنى التى شهدتها وسائل الإعلام وظهور التليفزيون ببثه لما وراء البحار، قد ساعدت على بقاء جذوة هذه الحرب متقدة لمدة طويلة من الزمن، وأن يشتعل أوارها فى كل مكان من العالم، وفى جميع مجالات الحياة، لأن التطور الكبير الذى حدث فى وسائل الإعلام أتاح له أن يتحول إلى قوى كبرى تمارس تأثيرًا غير محدود فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية منها والثقافية والسياسية والاقتصادية، أى أنه أصبح سلاحًا جديًا تستعمله القوى المتصارعة فى جميع الساحات سواء فى الداخل أم فى الخارج بين القوى الدولية السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية أو الأيديولوجية سواء أكان ذلك فى وقت السلم أم فى وقت الحرب، وأن المعارك بين أجهزة (الدعاية) أصبحت رأس الحربة فى مختلف أنواع الصراع، فإذا كانت الجيوش أداة الصراع الرئيسة فى الحروب الساخنة فإن وسائل الإعلام أدوات القتال فى الحروب الباردة [٣]. ونتيجة لما فرضته تطورات الصراع السياسى فى العالم والتقدم العلمى والتكنولوجى واستعمال النتائج وتوظيفها فى حسم نتائج هذا الصراع أصبحت الدعاية ظاهرة اجتماعية معقدة لها نظرياتها وأساليبها ووسائلها المختلفة.

---

(١) Lindly Fraser propaganda London: Oxford University press 1962 . P 87.

(٢) على الحلى، بين الإعلام والدبلوماسية، بغداد، وزارة الإعلام ، ١٩٧٦ ص٩.

(٣) حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية ، م . س. ذ ص ١٣١.

تعريف الدعاية

يتضح مما سبق أن التعامل النفسى أضحى عنصرًا من عناصر الحركة وأداة من أدوات السيطرة على إرادة الصديق أو الخصم قبل احتوائه أو تحطيمه، وأن الطبيعة الأيديولوجية التى ميزت العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أدت إلى زيادة مستمرة فى الجهود التى بذلتها الحكومات القومية لكى تؤثر بشكل مباشر فى الآراء السياسية للشعوب فى الدول الأخرى وبالمقابل عملت حكومات الدول المستهدفة على بناء حواجز تقف أمام تلك الجهود وتمنع انتشار (الحملات الدعائية) لا سيما من الدول المعادية.

ونتيجة لذلك شهدت المدة اللاحقة للحرب العالمية الثانية ولادة اصطلاحات عديدة كل منها يتداخل مع مفاهيم الاصطلاحات الأخرى بحيث يكاد يستحيل فى بعض الأحيان التمييز بينها، وهى (دعاية، حرب نفسية، حرب باردة، حرب أيديولوجية، حرب معلومات، دعوة عقائدية، تسميم سياسى، غسيل مخ، تضليل إعلامى، غزو ثقافى) وهذا التعدد فى الاصطلاحات أو المسميات لإجراءات التعامل النفسى قد أدى إلى صعوبة فى تعريف الدعاية بشكل محدد ودقيق، كما أن هذه المفردات التى تطلق على تقاليد التعامل النفسى تختلف من بلد إلى أخر وفقًا لموقف الرأى العام من طبيعة التعامل النفسى، ففى فرنسا فقدت لفظة الدعاية مكانتها فى اللغة الفرنسية، بسبب استعمال من قبل النازيون لها وكأنها منهج للإفساد والكذب وأن الدعاية هى وظيفة سياسية طبيعية أصبحت أمرًا مخجلاً فليس ثمة من يريد أن يسمع كلمة دعاية وأنها تغدو أقل شاعرية [1]، وفى بريطانيا يصفون النشاط النفسى باسم الحرب السياسية فى الوقت الذى يصفه الأمريكيون باسم الحرب النفسية، وقد وصف (روبرت لوكهارت) المدير العام للجنة التنفيذية للحرب السياسية فى الحرب العالمية الثانية (الحرب السياسية بأنها عبارة عن تطبيق الدعاية لتخدم حاجة الحرب.. غرضها الرئيس هو تعبيد الطرق أمام القوات المسلحة وتسهيل مهمتها)[2] . ولا يختلف هذا المفهوم بأية حال عن التعاريف التى أوردها الكتاب الأمريكيون.

---

(١) جان مارى دومناك، الدعاية السياسية، ترجمة فاروق الشريف، دار الصحافة، دمشق ١٩٦٥ ص ١٥٩.

(٢) صلاح نصر، الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد م . س. ذ ٩٦.

وعلـى كـل حـال هـناك الكـثير مـن التعريفات التى نتبين منها معنى الدعاية إذ عرفت الدعاية بأنها :

١ ـ (النـشاط والفـن الذى يحمل الآخرين على سلوك مسلك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط)[١].

٢ ـ (نـشر معلـومات بين الناس الهدف منها التأثير فى الرأى العام وفق اتجاه معين)[٢] .

٣ ـ (محاولـة الـتأثير فـى شخصيات الأفراد والسيطرة على سلوكهم لأغراض تعتبر غير علمية أو ذات قيمة مشكوك فيها فى مجتمع معين وزمن معين)[٣] .

٤ ـ (محاولـة الـتأثير فـى شخـصيات الأفـراد والـسيطرة علـى سـلوكهم بإثـارة غرائزهم وتحريك شهواتهم ونشر الأكاذيب والفضائح والتهويل فى الأخبار) [٤].

٥ ـ (الاسـتعمال المخطـط لأى نـوع مـن وسـائل الإعلام بقصد التأثير فى عقول وعواطف جماعة معينة أو جماعة صديقة لغرض استراتيجى تكتيكى)[٥] .

٦ ـ (وظـيفة اتـصالية تهـدف من خلال استعمال الرمز إلى إحداث نمط أو أنماط سلوكية لدى الآخرين)[٦] .

٧ ـ (محاول التأثير على رأى المجتمع وسلوكه بشكل يجعل الناس يتقبلون بعض الآراء والتصرفات)[٧] .

---

(١) لندلى فيرزر، الدعاية السياسية، ترجمة عبد السلام شحاته، لبنان، ١٩٦٠، ص٩.

(٢) محمـــد مصطفى زيدان، السلوك الاجتماعى للفرد وأصل الإرشاد النفسى، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٥٦.

(٣) مصطفى سعيد، فن الدعاية، بغداد ١٩٦٧ ص ١٣.

(٤) زيدان عبد الباقى، أساليب الاتصال فى المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية، القاهرة، ١٩٧٤ ص ٢٢٧.

(٥) د. حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعى، القاهرة، ١٩٧٧، ١٣١.

(٦) حـــسنى خـــشبة، مدخل لدراسة الدعاية الصهيونية وأسلوب مواجهتها، المركز العربى للبحوث المستمعين والمشاهدين، بغداد ، ١٩٨١، ص ٢.

(٧) د. فلاح كاظم، الإعلام والرأى العام والدعاية، بغداد ١٩٨٦ ص ١٠٤.

علـى الـرغم مـن أنــه لـيس هناك تعريف واحد للدعاية، إلا أنها جميعًا تتفق بشكل أو بآخـر، علـى أن الهـدف النهائـى الذى تسعى إليه، هو التأثير فى الرأى العام وفى السلوك الاجتماعـى للجمـاهير وأن تتبع هذه الجماهير السلوك الذى حدده الداعية، باستعمال رموز تأخـذ أشكالاً مختلفة عبر وسائل اتصال جماهيرية، أو بواسطة الاتصال الشخصى المواجهى حتـى تـستطيع أن تتوغل إلى جميع مفاصل الحياة. ومن خلال ذلك وعلى ضوء الاستعراض السابق لمفهوم الدعاية، نرى أن تعريف الدعاية يتضمن العناصر الأتية:

١ ـ مـصدر الدعايــة: يـرى (البيج) أن تحديد مكونات أو عناصر الدعاية يتم بالنظر إلى رجـل الدعايـة نفـسه، فإذا أمكن تحديد رجل الدعاية أمكن تحديد الدعاية[١] . ومما لاشك فـيه أن المرسـل أو المـصدر المباشـر للدعايــة يؤثـر تـأثيرًا كبيرًا فى مدى تقبل الناس للرسالة الدعائـية ومدى تصديقهم لها. فعندما تنسب المعلومات إلى مصدر ثقة، أو شخصية تؤمن بها الجمـاهير يـصبح جو التقبل مهيئًا وتكون فرصة الإقناع سانحة . ومن هنا يأتى لجوء الدعاة إلى المـصادر المحايـدة أو الـصديقة لـبلوغ الهدف وكذلك الاستفادة من ذوى المكانة المرموقة، لأن الـناس يـثقون بمـن يؤمـنون أنهـم ذوو درايــة وخبرة. ويتجنب الداعية أن يظهر بمظهر الأجنبـى أو الغـريب فـى لغـته، أو فـى أسـلوب حـياته، أو فى قيمته أو حتى فى فكاهاته وأمثلـته إزاء جمهـور المستقبل، ومن ثم فهو يستعمل النماذج والتعبيرات المستفادة من الواقع المحلـى لهـذا الجمهور منطلقاً من معرفة الوجود الإنسانى واتجاهاته ورغباته وضروراته ومن أدراك آلياته النفسية.

٢ ـ الجهـود المنظمة : وهذا يعنى حضور التخطيط فى العمل الدعائى ليرسم له الطريق المـؤدى إلى الهـدف، ويلـزم التخطـيط جمـع المعلـومات والبـيانات لمضمون النشاط الدعائى، وإمكانـية رسـم اسـتراتيجية دعائـية سـليمة. وأن تـتعلق هـذه البـيانات علـى سـبيل المـثال بالجمهور وفئاته المختلفة وتقسيماته ونوع الأفكار السائدة فيه، والمستوى التعليمى والثقافى، والـتكوين الاجتماعى والحضارى والسيكولوجى له، لأن لكل فئة اجتماعية مشاكلها الخاصة المميـزة، وأن لكـل فـئة اجتماعـية طريقتها الخاصة فى تفهم القضايا العامة، ولأن الدعاية، هـى مـنطق مـصطنع قد يلجأ إلى الكذب فإنها يجب أن تخضع لعملية إعداد دقيقة ومسبقة

---

(١) د. شاهيناز طلعت، الدعاية والاتصال (دراسة نظرية وتطبيقية على الوثائق السرية البريطانية عن ثورة مصر ١٩١٩) مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٨٧ ص ١٤.

علـى تنفـيذها. وهـى بهـذا المعنـى (ليـست إلا صـورة من صور التخطيط السياسى ونجاحها يـتوقف على احترام ومسايرة القواعد التى تقترحها عملية التخطيط السياسى، تميز أولاً بين الإعداد والصياغة والتنفيذ ثم المتابعة ثانيًا) [١].

٣ ـ القصدية أو التعمد: وهذا يعنى وجود أهداف معينة ومحددة سابقًا فى ذهن الخبير الدعائـى يعمـل علـى تحقـيقها مـن خـلال الـتأثير علـى الجمهـور المـستهدف، ففـضلا عن التخطـيط فـإن الدعايـة يجـب أن يكون لها هدف معلوم فكثيرًا ما تعمل الدعاية على تعبئة الكـراهية ضـد العـدو، والـسعى إلى تحطيم روحة المعنوية، والحصول على تعاون المحايدين والحفـاظ علـى صـداقة الـصديق، وهذا بحد ذاته يتوقف على أبعاد التخطيط الدعائى ومدى ارتباطه بالتخطيط السياسى والرسائل والأساليب الفنية المتبعة فى العمل الدعائى.

وهـدف الدعاية عند (غوبلز)، هو قيادة الناس إلى الأفكار التى ترغب الدولة أن يعتنقها الجمـيع لأنهـا تدخل فى ضمن الفنون التى يجب أن تستعمل فى حكم الشعب وبناء الدولة الحدثية[٢].

٤ ـ وجـود جماعـة مـستهدفة يـراد الـتأثير فى اتجاهها ومعتقداتها شعوريًا وأن الفرد المـستقبل لـيس المتأثـر بوسـائل الأعـلام ومـا تبـثه من مواد إعلامية مختلفة بوصفة شخصية مـستقلة، أو فردًا له كيانه الذاتى فحسب بل أن ذلك التأثير يكون على أساس عضوية الفرد المـستقبل فـى الجماعـات التى ينتمى إليها ويتصل بها، بمعنى أن المستقبل يتعرض للعملية الدعائـية من خلال المواد المختلفة فى إطار اجتماعى ومن ثم يتأثر فى اختياره ومدى اقتناعه بمـادة دعائـية بعيـنها، سلبًا أو إيجابا بالجماعات المرجعية التى ينتمى إليها[٣] . والإنسان المعاصـر، يعـتمد دومًـا علـى الخـبرة الجماعـية، لـذلك فـأن الدعايـة تـرتبط بـصورة حتمية باسـتعمال الإيحـاء الجماعـى[٤] . إذن لايمكـن فـصل الفرد عن الجماعة والفرد لا يهم رجل

(١) حامد ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية ، م . س، ذ ص ٨.

(٢) حسن الحسن، الإعلام والدولة، مطابع صادر بيروت، ١٩٦٥، ص ٣٥٧.

(٣) د. جبارة عطية جبارة، علم اجتماع الإعلام، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٥ ص ٣٨.

(٤) ف. ارتـــيموف، (الطبـــيعة الموضـــوعية للأنمـــاط المقبولة واستعمالها فى الدعاية الإمبريالية) فى كوليانوفـــسكى وآخـــرون: علم النفس الاجتماعى وقضايا الدعاية والإعلام، ترجمة نزار عيون السود، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق ١٩٧٨، ص ٢١٦.

الدعايـة مـن حـيث كونه فردًا، لأنه بوصفه كيانًا منعزلاً يقاوم أكثر عوامل التأثير الخارجية وكـسب الفـرد وحده يحتاج إلى وقت طويل كما أن تكوين المعتقدات عند الفرد المنعزل عملية صعبة، وحتى فى حالة الاتصال المواجهى (الشخصى) والتعامل مع الفرد لوحده فإنه يعالج بوصفه وحدة مندمجة فى مجموعة مكونة من أولئك الذين تم لقاءهم أو سيتم لقاؤهم (١).

٥ ـ اعـتماد أسـاليب فنـية علمـية، إقناعـية بمنطقها أو احتيالية باستعمال الإيحاء، أو قهـرية بالتحكم بالدوافع السلوكية أو اللجوء إلى استعمال الوسائل المادية. والداعية الحقيقى بمعنـى الـشخص الـذى يـريد أن يقـنع الغـير يـستعمل كل ما يراه من وصفات تبعا لطبيعة الفكـرة وطبـيعة الجمهـور، والدعاية كما يقول غوبلز (ليس لها طريقة أساسية بل لها هدف واحـد يتمـثل فـى غـزو الجمـاهير والـسيطرة علـيـها.. وكـل وسـيلة تخدم هذا الهدف تعد مقبوله)(٢).

٦ ـ رمـوز دعائـية مـشحونة عاطفـيًا تـنقل إلى الجمهـور المـستهدف باسـتعمال وسـائل الاتـصال الجمـاهيرى (مقروءة، مسموعة، مسموعة مرئية). والاتصال المواجهى سواء الفردى أم الاتـصال المواجهـى التكميلـى مـن خلال الجمعيات والنوادى والحفلات... إلخ، وينبغى الإشارة هنا إلى أن الدعاية لا تحدث فقط على الصعيد اللفظى، بل إن الدعاية كما تؤدى إلى أفعـــال فإنهـا تتضمن هى نفسها أفعالاً، وهذا ما اصـــطلح عليه (دعايــــة الفعـــل) (Propaganda of the deed) ويتـضح ذلـك فـى استعمال الاغتيالات السياسية لغرض التأثير فى الاتجاهات الاجتماعية أى أن القتل قد استعمل بقصد ردع أو إرهاب الآخرين.

وكذلك الحال مع ما تقدمه بعض الدول من معونات اقتصادية فإن الدافع وراء ذلك ليس الرغبة الإنسانية الصادقة بقدر ما هو التأثير فى آراء الناس فى الدولة التى تتلقى المعونة (٣).

---

(١) د. جيهان رشتى م . س. ذ ص ٣٠١.

(٢) د. أحمد بدير، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والدعاية، والتنمية، الكويت، ص ٢٣٥.

(٣) لمـــزيد مـــن المعلومات انظر عبد السلام أحد السامر، الدعاية البريطانية فى العراق، ١٩٣٩ ـــ ١٩٤٥ رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام، بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٧ ـــ ٤٣. وأيضاً للباحث نفسه رسالته فى الدكتوراة الموسومة، الدعاية الأمريكية فى العراق ١٩٤٥ ـــ ١٩٥٨ رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام ، بغداد، ١٩٩٨.

٧ ـ اتباع الفرد المستهدف أو الجماعة المستهدفة السلوك الذى ترغبة الدعاية وهو هدفها النهائى، أو الامتناع عن اتباع سلوك يعاديها ويضر بها من خلال تدميرها الأهداف والأسباب التى لديهم. بعد خلق حالة من التشتت الذهنى والغموض الفكرى تسمح بتسهيل عملية الإقناع بالفكرة المطروحة[١] .

تأسيسًا على ما تقدم يمكن وضع تعريف للدعاية هو [٢]:

"أنها فن يسعى إلى تكتيل القوى العاطفية والمصالح الفردية فى اتجاه واحد وأن يؤدى إلى الاقتناع بفكرة أو بمبدأ ما كان يصل إليه الفرد لو ترك لمنطقه الذاتى يتطور بتلقائية دون ضغط أو توجيه".

ومن خلال هذا التعريف يتضح الفارق بين الدعاية والدعوة كما عرفتها تقاليد التعامل النفسى الإسلامى إذ تقوم الدعاية على أساس التلاعب بالعواطف ومن الذى يقود إلى الإقناع، فى حين أن الدعوة هى خطاب للعقل يقوم على أساس تقديم الحقيقة.

أى أن الدعوة تعنى الإعلان عن العقيدة، وهى منظومة من المقدسات المغروسة، أى هى خطاب للعقل، يفترض الجدل والنقاش ويقوم على أساس تقديم الحقيقة، ويرفض الكذب والتلاعب والتزوير. أما الدعاية فتختلف عن الدعوة، إذ أنها تتخذ من أسلوب التلاعب بالعواطف لخلق حالة من حالات التوتر الفكرى والشحن العاطفى بالاتجاه إلى النواحى العاطفية أو إثارة الغرائز[٣] .

إذن الدعاية قد تتضمن نوعًا من الكذب والتمويه، أى أنها تسعى إلى الإقناع ولو بأساليب غير أخلاقية، مثل الاختلاق أو تقديم أنصاف الحقائق وإخفاء الجوانب الأخرى، أو تقديم الحقائق بصورة مشوهة بأسلوب يبدو وكأنه لا يتضمن الكذب أو الاختلاق[٤] .

---

(١) سمير محمد حسن، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام، عالم الكتب القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٥.

(٢) د. حامد ربيع، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، م . س. ذ، ص ١٦١.

(٣) م . س . ذ.

(٤) الدكتورحامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، م . س . ذ ، ص ٢٦.

وينبغـى الإشـارة هنا، إلى أن الدعاية مهما بلغت من قوة فهى سلاح فرعى، لا تستطيع أن تلغـى سياسـة ناجحـة أو أن تحـيل سياسة فاشلة إلى سياسة ناجحة، فالدعاية الألمانية الـنازية على سبيل المثال ظلت حاسمة طوال مدة انتصارات ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ولكـنها انقلـــبت إلى إخفـاق مـنذ أن بـدأت موجة المد النازى تتقلص وتبرز أخطاء ونقائص هتلـر[1]. كما أن الدعاية وفى حالة استعمالها أساليب الاحتيال والكذب وتشويه الحقائق إذا لم تـتمكن مـن الـتغلب على الجمهور المستهدف وتخضعه لمنطقها، فإن مصيرها الفشل. لأن الفـرد وضـمن الجمهـور المستهدف قد يشعر بأساليب الدعاية فيقاومها ويستمر فى ذلك طالما هـو يحـس بهـا وطالمـا هـى لا تـتفق وأهدافه ورغباته. فقد لاحظ غوبلز أن الفرنسيين يبدون ممانعـة تجـاه الدعايـة الـسياسية الصرفة ولكنه لاحظ فى الوقت نفسه أنه من الممكن التأثير فـيهم عـبر المجـال الثقافـى وهكـذا يكـون الفـن علـى سبيل المثال أداة لدعاية سياسية غير مباشـرة وهكـذا الحـال فـيما يـتعلق بأى نشاط آخر يفتقر إلى الطابع السياسى وستقوم مهـارة الداعـية علـى إدخـال الـسياسة فى مجالات تبدو محايدة ويفرض من خلالها على الجمهور عقيدته من دون أن يعى ذلك [2].

أساليب وتكنيك الدعاية[3]

إن مـن أهـم الـصعوبات التـى تـواجه الـباحث فـى تحليل العمل الدعائى هى التداخل والاخـتلاط فـى المفاهـيم، والاضـطراب فـى الاصـطلاحات التـى تحفل بها أدبيات الاتصال الدعائـى، والتـى تعـرض لهـا أكثر من كتبوا فى هذا الحقل الاتصالى، عدا قلة منهم، وذلك يعـود لأسـباب عديـدة، يأتـى فـى مقدمـتها الترجمـة الحـرفية للأدبيات الأجنبية من دون معـرفية واضـحة بالتأصـيل النظرى لعملية الاتصالية، بمستوياتها المتعددة والاتصال الدعائى

---

(١) د. سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام، م . س. ذ، ص ٢٥.

(٢) غـــى دورنـــدان، الدعاية السياسية، ترجمة رالف رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٤٣.

(٣) لقد اعتمدنا فى تأصيل مفاهيم الأسلوبية الدعائية وتميزها من التكنيك الدعائى، النتائج التى توصل إلـــيها تلميذنا رجاء أل بهيش، فى دراسته الرائدة عن الدعاية الإيرانية وهى رسالة ماجستير أشرفنا علـــيها مع المرحوم د. حامد ربيع، انظر للمزيد عن هذا التأصيل، رجاء أحمد آل بهيش، الدعاية الإيرانية فى حرب الخليج، م . س. ذ ص ٩٥ـــ ١٠٨.

بـشكل خاص، ثم إن هذه الأدبيات نفسها تعد من بواكير المؤلفات الدعائية وقياسًا لما يطرح في العقد الأخير من هذا القرن، فهي تبدو مختلفة في الكثير من جوانبها.

ولعـل الـتداخل بين مفهومي (الأسلوبية الفنية والتكنيك الدعائي) يمثل أنموذجًا صارخًا لـذلك، فـتارة التكنـيك هـو الأسـلوب نفسه، والعكس صحيح أيضًا، بل أحيانًا يضيع مفهوم الأسـلوب إلى حـد يـصبح فـيه الأداة الاتـصالية نفـسها، أو جـزيئات التنفـيذ التكنيكـي للأسـلوب، هـي الأسـلوبية الفنـية بـرمتها أو تغـدو المقايـيس الأخلاقية والاجتماعية أحيانًا أخـرى، هـي التـي توضـح طبيعتها وميزاتها المختلفة[1]. وللتفريق بين المفهومين سنعمد إلى توضـيح أحـدهما وصولاً إلى تحديد الثاني بشكل أفضل من خلال إجراء المقارنة والتماثل في العلاقـة بـين الاثـنين، وهـذا مـا سـنفعله بتبيان جوانب الأسلوب بعيدًا عن الارتباط اللغوي الـذي ساد أغلب الدراسات الإعلامية الدعائية أولاً، ثم مقارنة ذلك بالتكنيك بوصفه مفهومًا شاملاً ثانيًا.

مفهوم نظرية الأسلوبية

لم يـصب التفـريط والإسـاءة فـي الاستعمال أي مفهوم أخر مثل كلمة (الأسلوب) بحيث كـاد أن يطمـس مدلـولها الحقيقـي، في خضم استعمالاتها للدلالة على مختلف خبراتنا في الحـياة بـين أشـياء متـباعدة ومتنافـرة تمامًـا فـي مـستوياتها الاسـتعمالية المتعددة، بدءًا من اسـتعمالها فـي الإعـلان عـن وقـود البنـزين وورق التوالـيت (بوصـفها أساليب) إلى مجالات أخـرى تقـترن بالأزيـاء النـسوية (أسـاليب خاصـة) وبينها تقع منطقة ما يسمى (بالأساليب التاريخـية)، الـثقافات، والأمـم، والـسلالات وعهـود الحكـم والمـناطق الجغـرافية والحقـب التاريخـية، والحرف والأشخاص والأشياء فهذه الأمرو كلها لها أساليبها، وهذا يبين لنا أن

---

(١) الأمـــثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، وهي إن كانت تدل على النقل الحرفي لمؤلفات دعائية قديمة، فإنمـــا في الوقت نفسه تشير إلى عدم وضوح المفاهيم لدى هؤلاء المؤلفين، وتأصيلات مستويات ظاهرة التعامل النفسي، ومنها العمل الدعائي بشكل خاص فتارة تصنف الأساليب الدعائية الفنية إلى أســـاليب أخلاقية أو لا أخلاقية؟ أو تعد دراسة علم النفس الاحتماعي أسلوبًا فنيًا خالصًا؟! وغيرهـــا ممـــا لا يحتاج إلى تعليق ومنها على سبيل المثال: أحمد بدر الإعلام الدولي (دراسات في الاتـــصال والدعايـــة الدولية) مكتبة غريب، القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٧٢، وما بعدها، ومحمد عبد القادر حاتم الإعلام والدعاية (نظريات وتجارب) ص ١٥٢ وما بعدها، وأيضًا عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، ط ١ مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٨، ص ١٦٣ ـــ ١٦٨.

الترتيب كله غير مستقر فيما يتعلق بمعانيها المختلفة، فهى تارة تدل على المقام المشترك لمجموعة من الأشياء وتارة على الأثر الذى يتركه أحد الأفراد من الحكام أو الفنانين [1]. وما زار الأمر غموضًا ارتباط الأسلوب من حيث كونه مفهومًا قديمًا بالعملية الإقناعية، فقد عده أرسطو [2]، جزءًا من صنعة الإقناع، مميزًا لخصائصه ومبتكراته الملائمة فى الخطب الاحتفالية والسياسية والقضائية[3] . ومن ثم سادت الطبيعة اللغوية على المفهوم إذ أدرج الأسلوب الإقناعى أسلوبًا لغويًا بحتًا فى الأساليب اللغوية والنثرية منها على وجه الخصوص، ولكن مختلطا بالأسلوب الوعظى الذى كان صفة لأسلوبية الإقناع، فى الأديان والمعتقدات البدائية إذ كان المهم فى استعمالها الحصول على موافقة أفراد جماعة ما عن قضية معينة بعيدًا عن الجدل والمناقشة، من خلال مخاطبة التحيز الدينى والخلقى والسياسى لدى هؤلاء الأفراد [4]، وقد بلغت الهيمنة اللغوية حدًا صارت فيه الاستعمالات البلاغية والموهبة الفردية فى التلاعب بالألفاظ، هى الأدوات الإقناعية الناجحة، وبقدر ما امتلك رجل السياسة أو الدين أو الحرب المقدرة أو الموهبة اللغوية، بقدر ما كان يمتلك زمام الإقناع والتأثير فى الجماعة التى يتوجه إليها.

---

(١) جورج كوبلر نشأة الفنون الإنسانية، (دراسة فى تاريخ الأشياء)، ترجمة عبد الملك الناشف، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥ ص ١٩ — ٢١.

(٢) بعد أرسطو أول من اهتم بظاهرة الأسلوب بشكل علمى، وإن عدة جزءًا من فنون الخطابة، إذ كان يرى أنه لا يكفى المرء أن يعرف ما يجب عليه أن يقوله: بل عليه أيضًا أن يعرف كيف يقوله، وهذا يسهم فى جعل الكلام يظهر ذا طابع معين، أى إحداث الاعتبار استنادًا إلى الوقائع ذاتها، وقد خصص المقالة الثالثة من كتابه الخطابة للحديث عن الأسلوب وميزاته للمزيد انظر: الخطابة لأرسطو، ترجمة عبد الرحمن بدوى، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ن ص ١٩٣ وما بعدها.

(٣) كراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥ ص ١٩.

(٤) الأساليب اللغوية الفنية فى النثر هى أساليب (الاعتبار، الوعظ، العرض المباشر، المألوف المتقطع) والذى يهمنا أسلوب الاعتبار والوعظ، بعدها أساليب توجيهية تحذيرية، استعملها الدعاة وقادة الرأى العام للتأثير فى جمهورهم. انظر بخصوص ذلك: هنكتون براون وآخرون فى نقد النثر وأساليبه، ترجمة عصام الخطيب، توفيق عزيز عبد الله دار الشؤون الثقافية، سلسلة الموسوعة الصغيرة، العدد (٢١٨)، بغداد ١٩٨٦، ص ١٤ — ١٩.

وبعـيدًا عـن كـل ذلـك، فـإن مـا نحـتاج إليـه الآن هو تحديد الأسلوب مفهومًا وتعريفًا مجـردًا، يعيننا بوضوح فى تصنيف الأشياء وتحديد الطرائق اللازمة فى التحديد والمعالجة، وهـو الأمـر الـذى دفع (مايير شابيرو) فى كتابه (علم الأنثروبولوجى اليوم)[١] إلى القول بأننا (لانـزال بحاجـة إلى اكتـشاف نظـرية جديدة فى الأسلوب تصلح لمعالجة المشكلات النفسية والتاريخـية.. وجـوانب الخـبرة الحياتـية، فـى شـتى أمـورها)، فمـا هو الأسلوب فى ضوء النظرية الأسلوبية...؟

إن الأسـلوبية اصـطلاحًا ـ ونحـن نـستبيح هـنا لأنفـسنا اسـتعارة المفاهـيم الألـسنية فى النظـرية الأسـلوبية فـى الـتحديد ـ وكما يراها بعضهم بأنها: العلم الذى يهدف إلى الكشف عـن العناصـر المميـزة والتـى يستطيع بها المرسل مراقبة حرية الإدراك لدى المستقبل، والتى يـتمكن بواسـطتها أن يفـرض على المستقبل وجهة نظره فى الفهم والإدراك فهى تعنى حمل الذهن على فهم معين وفإدراك مخصوص[٢] .

أمـا مفهـوم الأسـلوب فإنـه كمـا يـرى (مدلـتون مـرى)[٣] . ،يتضمن إضافة كل الظروف المحسوبة إلى الفكرة المطروحة، لخلق التأثير الكامل الذى ينبغى أن تخلقه الفكرة، ويختفى الشىء الكثير للمفهوم تحت تلك الكلمة الصغيرة (ينبغى)!.

إذن فالأسـلوب يتـناول طـرائق التعـبير عـن شـىء مـن الأشـياء وهـو بعبارة أوضح تلك الخاصـية المميـزة لهـذا الـشىء، أو تلـك المجمـوعة مـن الأشـياء وتتـسم هـذه الخاصية، أو الخـواص، بكـونها اختـيارا متكـررا ضـمن مجمـوعة الخـيارات، ويـتحكم فى هذا الاختيار عنصران الأول ذاتى والثانى موضوعى [٤].

وتحديـد سماتـه يتم من خلال تحرى العلاقة بين جميع العناصر الجزئية، التى نتوصل مـن خـلال دمجهـا إلى العلاقـة الكاملـة، ولكـن بمـا أن هـذه العناصر المنفصلة عديدة جدًا،

---

(١) نقلاً عن جورج كوبلر، م . س. ذ، ص ٢١.

(٢) تعريف هنرى بيل (ستندال)، الأدب الفرنسي المعروف، نقلاً عن مدلتون مرى، (معنى الأسلوب، ترجمة صالح الحافظ، مجلة الثقافة الأجنبية، دار الجاحظ للنشر، بغداد العدد الأول السنة الثانية، ربيع ١٩٨٢، ص ٦٨.

(٣) م . س. ذ. ص ٧٧.

(٤) م . ن . ص ٧٨.

بحيث تستعصى على الحصر فيجب القيام بعملية انتقاء لما هو وثيق الصلة بالموضوع[1] . وهكذا بعد تحديدنا للمفهوم العام لابد لنا أن نأخذ بالحسبان أن لكل موضوع أو شيء أسلوبه الخاص الذى يلائمه، ولا يوجد ما يسمى بالأسلوب الأمثل لجميع الأشياء فلكل حالة خصائصها الموضوعية والذاتية، التى تتحدد بالنهاية، وتسمى الأسلوب الناجح فى المعالجة.

الأسلوبية الدعائية .. الفلسفة والفن

تقوم فلسفة التعامل الدعائى بوصفها علمية نفسية مفترضة على أساس ثلاثة نماذج لتعامل النفسى، يملك كل منها قواعده وألاعيبه وسماته المتميزة، وينبع كل منها، من إدراك محدد، ينطلق من نسيج فكرى متكامل تبعا لهذا الإدراك أى أن كل واحد منها يعكس موقفًا فكريًا خاصًا، وأسلوبًا نفسيًا يخضع لهذا الموقف وهى كما يحددها الدكتور حامد ربيع[2] .

١ ـ فلسفة (بافلوف) .. من خلال نظريته المعروفة باسم رد الفعل المقيد والتى سادت التقاليد السوفيتية (الأسلوب الدعائى الروسى) ومنطقها واضح ليس فى حاجة إلى تفصيل، فكرة الإغراق بجميع أدوات الإعلام والاتجاه نحو المجتمع الجماهيرى، وهى ليست إلا نتائج حددتها فلسفة بافلوف المعروفة.

٢ ـ فلسفة (فرويد).. التى ترى فى الإنسان مجموعة من العقد والنقائص وتأخذ بذلك منطقًا مختلفًا، يركز على أن خير تحرك دعائى هو الذى ينطلق من البؤر الثابتة بتوسيعها واستغلالها، وإذ أن الإنسان مجموعة من العقد فإن خير مواطن يصلح لعملية نشر المفاهيم الإعلامية والدعائية هو أكثر المواطنين تعقيدًا، و هذا ما فعلته النظرية النازية (الأسلوب الدعائى النازى) التى آمنت بهذه المفاهيم قبل وفى أثناء الحرب الثانية فى حربها الدعائية مع الخصوم.

---

(١) كراهام هاف، م . س. ذ، ص ٨٤.

(٢) عن النماذج التعامل النفسى فى العمل الدعائى انظر: حامد عبد الله ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية، م. س. ذ، ص ٤٤ــ ٤٦، وأيضًا لنفس المؤلف بحثه القيم(التخطيط للتحرك الإعلامى فى إدارة الصياع)، مستلة من مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد (١٤) بغداد ١٩٨٥، ص ٤٤ ــ ٤٥ وأيضًا مقدمة فى العلوم السلوكية، م. س. ذ، ص ٢٦٧ــ ٢٦٨.

٣ ـ الفلسفة التى تنطلق من نظرية (ديوى) بتقاليدها المعروفة، والتى هيمنت على تقاليد الإعلام الأمريكى وأساسه الاتجاه إلى المثقف الذى يدين بولائه وتعليمه إلى الجامعات الأمريكية، فهى تجعل التحكم يتم عن طريق التثقيف، وهكذا تصير الدعاية (أسلوب الدعاية الأمريكية)، عملية مختلطة بعملية التوعية، وتتجه أساسًا إلى الطبقة المثقفة وبالذات الصديقة منها.

إلا أن النماذج الثلاثة هذه تستند مجتمعه فى جانبها التطبيقى إلى مجموعة من القواعد والأساليب الفنية الدعائية، والتى أفرزتها خبرة العمل الدعائى وغدت معروفة ومستخدمة من خبراء الدعاية فى أنحاء العالم، وعلى نطاق واسع فى عمليات الإقناع والتأثير، والذين استطاعوا صياغة القواعد العامة هذه مع مراعاة نسبية الدلالة التى تستتر خلف مفهوم تلك القواعد وهنا يتوجب علينا ملاحظة أن الدعاية على الرغم من التطور الرهيب الذى وصلت إليه من ناحية الفاعلية والنتائج ولا سيما منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن مازالت عملية فنية ولم ترتفع إلى مرتبة العلم الحقيقى، وهذا ما طبع طروحاتها بنقص الصياغة العلمية الكاملة واعتمادها المواهب الذاتية للخبير الدعائى وهذه الملاحظة تفسر أولاً أن صياغة قواعد الفن الدعائى هى صياغة نسبية وثانيًا: أن تطبيق هذه القواعد يعنى عملية تقويم لكل موقف على حدة ، ولكن أهم ما تتصف به هذه القواعد هو أنها حينما تخرج من مبادئ وأسس التحديد العلمى الصرف تتجه إلى أن تكون أساليب فنية، تمزج بين العلم والفن فى صياغة واضحة وإن اختلفت التسميات، ولكنها واضحة المعالم فى المفهوم، إذ يطلق عليها (الأساليب الفنية فى العمل الدعائى)،و التى نحاول تأصيلها بعيدًا عن الاختلاط بمفهوم التكنيك الدعائى، وهو ما يسود أغلب أدبيات الاتصال الدعائى والعربية منها على وجه الخصوص.

الأساليب الفنية فى الدعاية

من خلال رؤية تقوم على تصنيف ودراسة جميع العناصر التى تضمنها الرسالة الدعائية، والتى تؤدى إلى خلق استجابة معينة لدى مستقبل الرسالة، فإنه يمكننا تعريف (الأسلوب الدعائى الفنى) بأنه: يعنى مجموعة من العناصر القادرة على خلق رد فعل معين مقصود، لدى المستقبل بحيث تؤدى من خلال التأثير العاطفى، والمعرفى، إلى إقناع الجمهور المستهدف ومن ثم تحقيق أهداف الخبير الدعائى، وهذه العناصر تتضمن أنظمة

إقناعية تستتر خلف نظام تعبيرى فى الوقت نفسه، أى تصبح اللغة قناة للظاهرة الأسلوبية، فهى تعبر، والأسلوب يحقق الأهداف الدعائية[1].

وهذا يعنى أن الأساليب الفنية تتسم بكونها لا تتحدد ولا ترتبط بأى أنموذج من نماذج التعامل النفسى الثلاثة، وإنما هى قواعد أسلوبية تصلح للاستعمال فى أى واحد منها، أو الثلاثة معًا وإن كانت ترتكز على المعطيات النفسية لهذه النماذج فى بعض جوانبها، فإنها ترتكز على معطيات عقلانية بغض النظر عن استعمالها للأغاليط المنطقية، بشكل أساسى وهذا ما يدعونا إلى التفريق بين السياقات العاطفية أولاً والمعرفية ثانيًا وبعبارة أخرى ليست مقومات الأساليب الفنية، نفسية بحتة ولا عقلانية أيضًا بل هى تعنى الانسجام والتآلف والتداخل بين السياقين، بحيث تغدو أحيانًا عملية الفصل بينهما عملاً اعتباطيًا تستوجبه متطلبات البحث الأكاديمى ليس إلا.

ولكن متى وضعت صياغة متكاملة لهذه الأساليب؟ بالتأكيد إنها لم تكن مجهولة، أو غير معروفة فى الأساليب الأقناعية التى عرفها الإنسان منذ بداية تشكل وعيه الحضارى، فهى مستخدمة، ولكن بلا صياغة محددة وقد جاءت الحرب العالمية الثانية وبما قدمته من تجارب وخبرات دعائية هائلة لتفتح الآفاق للباحثين لوضع صياغات محددة لها تتسم بالإطار العلمى وبقدر كبير من التقنيات الفنية التى قدمتها تكنولوجيا الاتصال الجماهيرى وقد بدأت على وجه التحديد مع محاولات (معهد تحليل الدعاية الأمريكى) الذى أنشئ عام ١٩٣٩، إذ وضع القواعد الأسلوبية المعروفة باسمه[2] ، ثم تلت ذلك محاولات الفرنسى (جان مارى دوميناك)[3] ، ثم العالمين (براون وهولستى)[4] ، وأخيرًا صياغات (وايت رالف، سيمنس شارلس)[5] والتى تعد بمجموعها المحاولات العلمية والفنية الرائدة، بعيدًا

---

(١) رجاء أحمد آل بهيش، الدعاية الإيرانية فى حرب الخليج، م. س. ذ ص ٦٠.

(٢) جابر عبد الحميد جابر، عماد الدين سلطان، الفرد وسيكولوجيا الجماعة دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٤، ص ١٥٨ — ١٦٣.

(٣) الدعاية السياسية، م . س. ذ. ص ٦٧ وما بعدها.

(٤) عبد الإله الخزرجى، م ، س. ذ، ص ٢١ — ٢٧.

(٥) محمد على العوينى الإعلام الدولى بين النظرية والتطبيق، ط ٢ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١، ص ٧٧ — ٨٢.

عـن الانطـباعات الشخـصية والمفاهـيم والقيم الأيديولوجية فى تصنيفها والجدول رقم (١) يوضح كيف تتداخل هذه الأساليب وتختلف بالتسميات فى اختلاف الباحثين ووجهات نظرهم.

جدول (١)

تصنيفات الأساليب الدعائية الفنية[(١)]

ت جان مارى دوميناك	معهد تحليل الدعاية الأمريكى	براون وهولستى	وايت وشارلس
١ـ التبسيط	١ـ إطلاق قوالب جامدة سلبية. ٢ـــ قاعـــدة إطـــلاق الشعارات البراقة	١ـــ القــوالب النمطــية الجاهزة ٢ـ إطلاق التسميات ٣ـــ الإحــباط (كــبش الفداء)	١ـ جذب الانتباه وربط المـــستقبل بالرســـالة الدعائية. ٢ـــ الوضــوح (إطــلاق التسميات)
٢ـ التضخيم والتشويه	١ـــ الحــشد الانتقائــى المغرض للوقائع. ٢ـ الاختـيار والتـشويه وتغيير الحقائق والأرقام	١ـ الاختيار ٢ـ الحزم فى الطرح. ٣ـــ الحــشد الانتقائــى للوقائع.	١ـ المبالغة. ٢ـ القابلية للتصديق. ٣ـ الكذب. ٤ـ عـرض الـرأى علـى أنه حقيقة. ٥ـ التجاهل المتعمد.
٣ ـ التوزيع	ـ	التكرار	التكرار
٤ ـ التحويل	التحويل	التحويل	تلميح وغمز
٥ ـ الإجماع والعدوى	١ـ الإجماع من الناحية الكمـية (تأثير الغالبية ـ عربة الفرقة). ٢ـ الإجماع من الناحية الكيفية (تأثير المكانة أو الشخصية اللامعة).	١ـــ اللحـــاق بالـــركب (كمى). ٢ـــ الدلالـــة بـــالاقتران (كيفى).	١ـــ اسـتخدام العاطفـة وغريزة القطيع (كمى) ٢ـ الاعتماد على مصادر موثوقة (كيفى)
٦ـ التبسيط + التحويل + الإجماع والعدوى	البساطة الدهمائية	مستوى الجمهور المتلقى	التشخيص

(١) انظر بخصوص هذا الجدول والمقارنات الأسلوبية التى ضمها رجاء أحمد آل بهيش الدعاية الإيرانية فى حرب الخليج م. س. ذ. ص ١٠٣ وتطبيقات هذه الأساليب فى ص ١١٠ ـــ ١٥٩

ففـى الـوقت الـذى يـتفق الأربعـة بـشأن أسـلوب الإجماع على الرغم من الاختلاف فى التقـسيم الجزئـى، فإنـه باستثناء (دوميناك)، يميز الآخرون بين الإجماع من ناحية الكمية أو مـا يـسميه بعضهم بتأثير الغالبية أو (عربة الفرقة) أو اللحاق بالركب، أو استعمال غريزة القطـيع، والإجمـاع مـن ناحـية الكيفـية، هـو مـا يـسمى بـتأثير المكانـة الممتازة، أو الدلالة بـالاقتران أو الاعتماد على مصادر موثقة، أما فيما يتعلق بالتكراى، فيشذ معهد التحليل عن الإجمـاع علـى أسـلوبيته، وفـيما يخـص التغلـيط، فالاخـتلاف كـبير جدا فيما إذا استثنينا (اتفـاق معهـد التحلـيل وبـروان وهولـستى)، بـشأن الحـشد الانتقائـى للواقـع (Card stacking) وكـذلك اتفـاق الجمـيع بخـصوص (إطلاق التسميات) ففى الوقت الذى عدها معهـد الدعاية وبراون وهولستى أسلوبًا أساسيًا عدها دوميناك أسلوبًا جزئيًا فيما يرى (رالف وشـارلس أن أسـلوب التبـسيط بحـد ذاته أسلوبًا جزئي، وهكذا نرى من خلال كل ذلك أنه يـصعب علينـا تحديـد الأسـاليب الدعائـية الفنية بتصانيف وتحديدات موحدة، ناهيك عما يـستجد مـن أسـاليب تفرضها طبيعة المواقف التى تواجه رجل الدعاية، ومن ثم تظل عملية الـتحديد ذات مـرونة كـبيرة، علـى الـرغم مـن هـذه المحاولات، والتى بذلها عدد بارز من علمـاء وخـبراء الاتـصال الدعائى فى العالم، ويؤكد هذه الحقيقة ما قاله غوبلز من أنه (ليس للدعايـة طـريقة أساسـية، بـل هـدف واحـد يتمـثل فى غزو الجماهير والسيطرة عليها وكل وسـيلة تخـدم هذا الهدف تعتبر مقبولة)[1]، لذا لا ريب أن تتجلى قوى الدعاية وقوة المنطق الدعائى فى استعمال أكثر من أسلوب واحد بل ولجميع الأساليب فى وقت واحد[2].

أمـا المقومات والأسـس التـى تعـتمدها هـذه الأسـاليب فـى الإقـناع، فإنهـا تتوزع على سـياقات ذات طبـيعة عاطفـية، وسـياقات ذات طبـيعة معـرفية ولا يخفى أن هذا التمييز ـ جزئـى ـ هـو تمييـز اعتباطى، فإن أكثرية الاستجابات الإنسانية تتضمن فى آن معًا، عوامل معـرفية وعوامل انفعالية ولكننا نهدف هنا من خلال هذا التمييز إلى لفت الانتباه نحو أهمية العـوامل المعـرفية التـى أهملـت فـى أغلـب الدراسات التى تناولت هذا الجانب من الدعاية الـسياسية[3] إلى حـــد تـصور بعـضهم أن تأثير الدعاية يفســر بتدخل ظواهر نفسية خاصة

(١) أحمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الإعلام والدعاية والتنمية، م. س. ذ، ص ٢٣٥ ـــ ٢٣٦.

(٢) د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية، م س، ذ، ص ١٦٦.

(٣) غى دورندان، الدعاية والدعاية السياسية م. س. ذ، ص ٢٣، وما بعدها

فقط[1]، بينما هى عريقة القدم، فقد أثارت اهتمام أفلاطون وميزها أرسطو على أنها ما أسماه (اتيوس) أى الإقناع المرتكز على منطق إقامة الدليل (باتوس)، وهو الإقناع المرتكز على إثارة العواطف والانفعالات وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نصنف الارتباطات الأسلوبية بهذه المقومات والعوامل من خلال استعراض:

١ ـ السياقات المعرفية [2]:

وتتضمن أربعة متغيرات هى:

(أ) استعمال الحقيقة والكذب، والمحتمل من الوقائع والأحداث، ويدخل فى إطاره أساليب (التغليظ ، والاختلاق، و التشويه والتحريف ثم الاختيار والحزم فى الطرح والحشد الانتقائى للوقائع).

(ب) دور اللغة، متجسدًا فى الأساليب التى تعتمد المفردة اللغوية من حيث كونها ذات دلالة معينة أو خلق هذه الدلالة لها، كما هو الحال مع (التبسيط سواء فى استعمال الشعارات البراقة أو إطلاق التسميات).

(ت) النكوص المنطقى الزمنى فى (الأفكار المنمطة، أو القوالب النمطية) فى أسلوبية التبسيط.

(ث) تقنية تغيير الإطار المرجعى، والتى تعنى (تحويل الانتباه والإجماع الكيفى).

---

(١) لقد أثرت التصورات الشعبية عن الإعلام فى علم النفس لفرويد وفى دراسة علم النفس السلوكى لسبافلوف وواتسون، عن الأول نجمت حملة من الافتراضات فى موضع ألية الدفاع لدى متلقى الرسالة، انحراف إعلامى، طرح اختيارى، تعليم غير صحيح، استذكار اختيارى، والصفة مشتركة هنا لمجموع هذه الافتراضات أى أن للإنسان ميلاً للمحافظة على موافقة ثابتة، وكل ما يخالف ذلك ينتهى إلى الفشل الإعلامى وكان اكتشاف فرويد اللاوعى أساسًا لمجموعة من العقائد من العمل الخفى للإقناع للجمهور، إذ يستغل الضعف الناتج عن اللاوعى المكشوف من أجل إحباط مقاومة العقل والرسالة الدعائية والإعلامية فتعمل فعل الحقنة تحت الجلد، للمزيد انظر: بلا مؤلف، مقدمة كتاب سبل الإقناع، ترجمة المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين، اتحاد إذاعة الدول العربية، مطبوع بالرونيو، بغداد، بلا تاريخ، ص ١٢.

(٢) م . ن. ص ١١ وما بعدها.

٢ ـ السياقات العاطفية [١]:

وتضم أربعة متغيرات أيضًا وهى على النحو الأتى:

(أ) جرد الرغبات والمخاف، وأكثر ما يستعمل فى أسلوبية (التحويل).

(ب) أسطورة الصديق، والتى تنطلق من اعتبارت (مستوى الجمهور المتلقى).

(ت) أسطورة العدو، وتتمثل باستعمال أساليب، الإسقاط واللجوء إلى كبش الفداء أو المحرقة.

(ث) استعمال مختلف الحاجات التى يشعر بها الفرد فى علاقاته الاجتماعية سواء أكانت بحاجته إلى التفرد، أم الانتماء إلى الجماعة أم الذوبان بالمجموع، والتى تتجلى بشكل خاص فى (اللحاق بالركب أو الإجماع الكمى).

ومن خلال هذين العالمين نرى أن العوامل المعرفية تكاد تسود أسلوبى (التبسيط والتغليط)، فيما تسود العوامل العاطفية أساليب (التحويل الإجماع)، أما أسلوب التكرار فلا يكاد أن يجد له مكانًا بين هذه السياقات لذا تميل المؤلفة إلى الرأى القائل بعد عد التكرار أسلوبًا فنيًا خاصًا وإنما يعد عنصرًا من عناصر إدراك الرسالة الدعائية، أو أحد الوسائل الإدراكية لكونه يجنح فى الاستعمال الدعائى، إلى أن يكون وسيلة إدراكية أكثر من كونه أسلوبًا فنيًا بذاته.

التكنيك فى الاتصال الدعائى

يعرف (معجم وبستر) التكنيك بأنه (طريقة استعمال قواعد معينة فى تنفيذ عمل ما) [٢] أما قاموسا (المورد) و(المورد القريب)[٣] فإنه إذ يعرفه الأول بأنه (الطرائق أو التقنية المستخدمة فى إنجاز غرض منشود) فالثانى أكثر تحديدًا له بكونه يعنى (الدقائق التقنية لموضوع أو حرفة ما) ولا يذهب معجم (لاروس) بعيدًا عن ذلك بتعريفه للتكنيك على أنه

---

(١) غى دورنددان، م . س. ذ، ص ٢٤ ــ ٤٦.

(٢) Webster's now world Dictionary, prentice – Hall Inc 1971, P. 517.

(٣) انظر منير البعلبكى، المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٨٨، وأيضًا للمؤلف نفسه. المورد القريب، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٦٧ ص ٣٨٨.

(الأصـول المختـصة بفـن أو أمـرًا ما) [1]. وهذه التعريفات بمجملها لا تخرج عن إطار تحديد عناصـر التكنيك بالطرائق والأصول والتقنيات والسبل التى تنتظم بواسطتها العلائق الداخلية لأى موضـوع أو غـرض أو أمـر مـا، وهذه العلائق هى التى تحدد طبيعة التركيب الداخلى، ومن ثم تتضح من خلالها الخصائص والأبعاد الخارجية للموضوع، وهى ما نطلق عليها عادة (الأسـلوب)، أى بعـبارة أخـرى إنـه فـى الوقت الذى يعالج فيه الأسلوب المظهر الخارجى للـشىء أو الموضـوع مهما كان، فإن ترتيب أو معالجة العلاقات الداخلية للعناصر المكونة لها يعود إلى التكنيك بشكل حاسم.

وعلـى ضوء ذلك يتضح لنا أن التكنيك هو العنصر التنفيذى للأسلوب أنه عامل مساعد، عامـل تنفـيذى فـى تطبـيق وتكثـيف جـزيئات أو وحدات الأسلوب الفنى، لذا فإنه (معجم أكـسفورد) فـى تعـريفه للأسلوب بأنه (طريقة لإنجاز الشىء أو حدوثه ـ وللتكنيك ـ بطريقة التنفـيذ الفنـى للموضـوع أو العمـل الفنى الذى يمكن أن يقلل إلى صيغة أى مهارة ميكانيكية فـى الفـن)[2] يـؤكد مـثل هـذا الـتحديد فـى تمييزه بين وظائف الأسلوب والتكنيك والعلاقة الوظيفية بينهما.

لكـن مـا هـى طبـيعة الأداء الوظيفـى للتكنـيك..؟ الإجابـة عـن ذلـك بعد كل ما تقدم، تنحـصر فـى أن هـناك جانـبين أساسـيين تتجلـى مـن خلالهمـا وظـيفة التكنيك فى العمل الدعائى، وهما:

١ــ تنظـيم العلاقات الداخلية لعناصر الأسلوب الدعائى، سواء أكانت عناصر لا مادية، تـتعلق بالأسـاليب الدعائـية الفنـية مـن حـيث كـونها أسـاليب تتـشكل مـن خلال التعامل اللغـوى، قـناة تعـبيرية، أم بالأساليب الدعائية التى يتوزعها نطاق الرموز المصورة والصوتية والحركية من حيث كونها أساليب غير لغوية، تقع خارج دائرة (التعبيرة الألسنى).

---

(١) خلــيــل الجر وآخرون، لاروس، (المعجم العربى الحديث)، مكتبة لاروس، باريس ١٩٧٣، ص ٣٢٦.

(٢) Homby. W. F. The Pocket Oxford Dictionary. The Universuty Press Oxford, London, 1942, P. 300. 480.

٢ــ استعمال التقنيات التكنولوجيا عوامل تنفيذية ومساعدة فى زيادة تأثير الرسالة الدعائية، أو فى مواجهة الرسائل الدعائية المضادة، سواء بإقامة العراقيل أمامها، أو منعها من الوصول.

إلا أنه يجب أن نلاحظ، إذ كانت الأساليب الدعائية الفنية تتصف بالوحدة فى الاستعمال الدعائى الداخلى والخارجى، فإن التكنيكيات تأخذ فى تطبيقاتها اختلاف المستويين، فما هو تكنيكى محليًا لا يصح للوسط الخارجى مطلقًا وما هو خارجى، لا يتلاءم وطبيعة وظروف البيئة المحلية وفيما يتعلق بالاثنين معًا (ليس هناك تكنيكات جاهزة لكل الظروف ومناسبة فى أى مكان، أو أى زمان، لأن التكنيك الدعائى يقوم على الحساب الدقيق للعمل المطلوب) [1]، وعلى أساس الجمهور الذى نتوجه إليه، لذا من الأهمية بمكان مراعاة التكنيك الدعائى عند ترجمة المنطق الدعائى إلى رسائل دعائية إذ يغدو الإلمام به عاملاً هامًا فى صياغة الرسائل الدعائية ونقلها إلى المستقبلين من أفراد الجمهور المستهدف[2] .

أنواع الدعاية

تصنف الدعاية إلى أنواع عدة تبعًا لتنوع أهدافها، ودوافع المخطط الدعائى، ونستعرض هنا أنواع الدعاية وفقًا للمعايير الأتية [3]:

١ــ يمكنأن تصنف الدعاية وفقًا لإدراك رجل الدعاية للوسائل التى يستعملها ويمكن أن تكون بالرسائل الدعائية، التى تقبل التكرار أو الرسائل التى تسرب لمرة واحدة.

٢ ـ كما يمكن تصنيفها تبعًا لوسيلة الاتصال المستخدمة سواء أكانت الراديو أو الأفلام السينمائية أو المجلات أو المنشورات.. إلخ.

---

(١) جيهان رشتى، الدعاية واستعمال الراديو فى الحرب النفسية، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٥ ص ٣١٩.

(٢) محمد على العوينى، الإعلام الدولى بين النظرية والتطبيق م . س. ذ، ص ٨٢.

(٣) انظـر عن ذلك عبد الإله مصطفى الخزرجى، تحليل لغة الدعاية، مطبعة التوجيه السياسى، بغداد ١٩٨٢ ص ١٧ ــ ١٩.

٣ ـ وهناك طريقة أخرى للتصنيف تعتمد على المجال الذى تستعمل فيه الدعاية، فهناك الدعاية التجارية والسياسية والدينية والعسكرية أو تبعًا للمذهب الأيديولوجى الذى تمثله كالدعاية الصهيونية والدعاية النازية.. إلخ.

٤ ـ وهناك نوع من المصطلحات المستخدمة فى تصنيف الدعاية وفقًا لإدراك الجمهور لنوايا وغايات رجل الدعاية أو عدمه، وبذلك يمكن أن تتخذ الدعاية الأشكال الأتية:

(أ) الدعاية العلنية: فى هذه الحالة يكون الجمهور الذى توجه إليه الرسالة الدعائية مدركًا حقيقة خضوعه لتأثيرها، ومثال على ذلك أن الناخبين فى أية حملة انتخابية قلما ينسون أن الهدف الأول للمرشح هو أن يفوز بالانتخابات.

(ب) الدعاية الخفية: وهى الدعاية التى تؤثر فى الناس حتى وإن كانوا يجهلون أن جهة ما تحاول أن تسيطر على أفكارهم سواء أكان ذلك يجرى بصورة قصدية أم غير قصدية، فعناصر الطابور الخامس مثلاً يظهرون بمظهر العناصر الوطنية المخلصة وبذلك يحولون دون أن تدرك الجماهير بأنهم موجهون من قوى خارجية وفى ضوء ذلك يتضح أن هناك تقسيمات عدة للدعاية فهى يمكن أن تكون سياسية ويمكن أن تكون اقتصادية أو اجتماعية تبعًا للموضع الذى تتناوله كذلك إذا ما أوردنا تقسيم الدعاية وفقًا لمتغير الأهداف فتكون دعاية (كلية) معبرة عن السلوك الكلى للفرد ومن ثم للمواقف المرتبطة بالسلوك. وقد تكون (جزئية) فلا تهتم إلا بجانب تقوية أو إضعاف الفرد. كذلك فإنها يمكن أن تكون (حكومية أو حزبية) إذا ما أردنا (تقسيمها على ضوء المصدر. أو إذا كانت على ضوء المستقبل فهناك الدعاية الخارجية والداخلية)[1] . فالأولى صورة من صور الدعاية السياسية إذ يصير المجتمع الذى يمثل عملية الاستقبال مجتمعًا أجنبيًا وهى تتسم بخصائص واضحة تميزها عن غيرها من أنواع الدعاية فهى[2]:

١ ـ تنبع من المنطق السياسى.

٢ـ امتداد لمفهوم الطابع القومى.

٣ ـ تجعل من لغة المصالح المحور الذى تدور حوله الشحنة الانفعالية.

---

(١) د. حامد ربيع، مقدمة فى العلوم السلوكية م. س. ذ، ص ٢٦٥.

(٢) د. حامد ربيع ، نظرية الدعاية الخارجية، م . س. ذ، ص ٦.

٤ ـ إعدادها وتنفيذها يفترض علمية تنظيم عملية تسمح بالتحكم فى أبعاد العمل الدعائى.

كما أنه يجب ضرورة التمييز فى العمل الدعائى بين الدعاية الاستراتيجية والتكتيكية الأولى تضم الإطار العام، التتابع المنطقى للمراحل التنفيذية وهى ذات أهداف بعيدة المدى. أما الثانية فهى ذات أهداف قصيرة آنية وقد تأخذ جانب اقتصادى معين أو جانب اجتماعى[١] وهناك أيضًا الدعاية المقصودة وغير المقصودة إذ يكون الداعى غير متخصص بالعملية الدعائية فكاتب القصة أو مخرج الفيلم يقوم بدعاية غير مقصودة وهو يؤدى بهذا المعنى وظيفة دعائية من دون أن يستطيع أحد أن يصفه بأنه رجل دعاية فى داخل بلاده، أما إذا انتقل هذا العمل خارج نطاق المجتمع الذى ينتمى إليه حينذاك تكون دعاية مقصودة بأنها تفترض اختيار وتهذيب وتخطيط [٢].

تخطيط العملية الدعائية

إن دراسة واقع المجتمع الذى توجه إليه الحملة الدعائية ومن الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية كافة لها أثر كبير فى كيفية إعداد الحملة الدعائية وعلى ضوء نتائج هذه الدراسة تتوقف نوعية الحملة وكيفيتها، وأن الهدف المباشر من هذه الدراسة هو تحليل الخلفية العامة للمجتمع بشكل عام ومن ثم البحث عن التربة الصالحة للحملة الدعائية. وفى كل الأحوال فإن بناء عناصر منطقية تسمح بالتعاون مع الإطار الفكرى للمجتمع له أهمية استثنائية فى نجاح الحملة الدعائية. بهذا المعنى يصير العمل الدعائى صورة من صور التخطيط السياسى ونجاحه يتوقف على احترام ومسايرة القواعد التى تفرضها عملية التخطيط السياسى من حيث الإعداد والصياغة والتنفيذ ثم المتابعة[٣]. لو

---

(١) م . ن.

(٢) بجانب التصنيفات السابقة هناك أيضًا:

(أ) الدعاية التعزيزية.

(ب) الدعاية السوقية.

(جـ) الدعاية التعبرية.

انظر د. حميدة سميسم، الدعاية والدعاية المضادة، مجلة حوليات الإعلام، بغداد ، ١٩٨٤، ٥٨.

(٣) د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية ، م. س. ذ.

تابعنا (الدعاية الإسرائيلية) لوجدنا أنها تقوم على التخطيط من الإعداد للحملة الدعائية وحتى تنفيذها ثم قياس درجة تأثيرها من حيث خلق القناعة والاقتناع. لذا فإن رجل الدعاية عندما يبدأ بحملته الدعائية يضع فى اعتباراته الحسابات الآتية وبعبارة أدق القائم بعملية التخطيط يضع مقدمًا أمامه[1]:

١ ـ تحديد الصديق الحقيقى والصديق المؤقت بحيث يفصل بين الخصم الصورى والحقيقى.

٢ ـ إبراز واضح ودقيق لمقومات القوى السلبية التى لا تعنيها المشكلة والتى تأخذ موقف اللامبالاة.

٣ ـ تحليل علمى وكمى وكيفى لمختلف فئات المجتمع الكلى الذى سيكون هدفًا للمعركة[2] .

ويمكننا القول هنا، أن الدعاية تشمل الاستعمال المخطط لوسائل الاتصال والذى يأخذ فى اعتباره المتغيرات الحاكمة للموقف الحالى ولمجموعة المواقف المستقبلية، فيضع رجل الدعاية بعد أن يحدد الأهداف ويرسم السياسات، والبرامج والخطط التى ستتبع خلال المرحلة الزمنية القادمة لأجل تنفيذ هذه الأهداف. مرامى محددة قصيرة المدى ينبغى الوصول إليها فى مدد زمنية معينة. وبهذا يأتى دور التكتيك الذى يعالج الأحداث بما يخدم المنظور الاستراتيجى (البعيد المدى)[3] .

---

(١) م . ن، ص ٥٩.

(٢) على ضوء هذا التحليل يمكن التمييز بين مختلف أجزاء المجتمع وعناصره من حيث:
أولا: المواقف المختلفة المرتبطة بموضوع الدعاية أى مختلف المواقف المبتدئة من أقصى التأييد إلى أقصى المعارضة.
ثانيًا: مدى إمكانية التغيير فى المدى القصير وهذا سيتوقف عليه تحديد مراحل الحملة الدعائية ومن ثم تحديد مراحل الاستراتيجية الدعائية.
ثالثًا: يجب أن يكون واضحًا فى ذهن مخطط الدعاية تصور لكل ما يتصل برد الفعل المحتمل فى الهجوم الدعائى فى ذاته أولاً، والمتصل بالتغيير ثانيًا.
انظر إلى د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية ، م . س. ذ. ص ٥٩.

(٢) الدكتور سمير محمد حسين، الإعلام والحرب النفسية، مجلة الفنون الإذاعية، بغداد معهد التدريب الإذاعى والتليفزيونى، العدد الثالث، نيسان ـــ أبريل، ١٩٧٥، ص٦٨.

ويلـزم التخطـيط جمـع المعلـومات، والبـيانات لمضمون الحملة الدعائية، ولإمكانية رسم اسـتراتيجية دعائـية سـليمة، أو أن تـتعلق هذه البيانات على سبيل المثال بالجمهور وفئاته المخـتلفة وتقـسيماته المتـنوعة ونـوع الأفكـار الـسائدة فـيه، والمـستوى التعليمـى والثقافـى، والـتكوين الاجتماعـى والحـضارى والـسيكولوجى لـه[1] ، لأن لكـل فـئة اجتماعية مشاكلها الخاصة المميزة، وأن لكل فئة اجتماعية طريقتها الخاصة فى تفهم القضايا العامة[2]، ولأجل الوصـول إلى الهـدف الاسـتراتيجى عـن طـريق الـتأثير الدعائـى يجـب أن تتوافـر شـروط موضوعية، ومن بين هذه الشروط:

أولاً : أن تـتفق الدعايـة مـع الاتجاهـات الثابـتة لتطور المجتمع، والتى تترك بصماتها علـى نشاط ووعى أعضائه[3]، وهذا ما يفسر نشاط الدعاية البريطانية فى العراق، الذى اتجه إلى إثـارة المـشاعر بمـا يتساوق مع الأهداف البريطانية، بافتعال التشابه بين الديمقراطية فى بريطانيا والديمقراطية فى الإسلام، وبذلك فإنها تخاطب الجمهور بما يتفق والعقائد المؤمنين بها.

ثانـيًا: وجـود حاجـات نفـسية معيـنة يمكن إرضاؤها بواسطة الدعاية والدعاية التى لا تـوائم الحاجات النفسية للجماهير المستهدفة، تكون غير ناجحة أو غير ممكنة، لأنها مهما بلغـت مـن قوة فهى لا تستطيع خلق الحقائق الموضوعية والحاجات النفسية هنا ليست تلك الأمـزجة العابـرة والـسريعة الـزوال، بـل هى الأكثر أهمية وعمقًا وناتجة من حاجات الناس المادية والروحية الجذرية [4].

ثالـثًا: لا يمكـن للدعاية أن تتجاهل المواقف الاجتماعية القائمة والمتكونة لدى الجمهور سـواء المواقف السلبية أم الإيجابية اتجاه الأحداث والوقائع والأوضاع والأفكار، ثم لا بد من توفـيق الاتجـاه العـام للدعايـة مع أحداث الواقع. فالدعاية لأفكار محضة على شكل أحكام مجـردة، مـن دون وقائع تثبت صحة الأفكار هو عمل محكوم عليه بالفشل مسبقًا. فالدعاية

---

(١) الدكتور سمير محمد حسين، الإعلام والحرب النفسية، م. س. ذ، ص ٦٩.

(٢) كوليانوفسكى وآخرون، علم النفس الاجتماعى وقضايا الإعلام والدعاية، ص ٢٩.

(٣) الدكتور جابر عبدالحميد، والدكتور عماد الدين سلطان، الفرد وسيكولوجية، م . س. ذ، ص ٦٧.

(٤) كوليانوفسكى وآخرون، م . س. ذ، ٣٤.

مهما بلغت من قوة تعد انعكاسًا للأوضاع العسكرية والسياسية والاقتصادية القائمة فضلاً عن تفاعلها مع هذه الأوضاع وتأثيرها فيها [1].

وفضلاً عن التخطيط فإن الدعاية يجب أن يكون لها هدف معلوم. والهدف يعد عنصرًا أساسيًا من عناصر تعريف الدعاية، فكثيرًا ما تعمل الدعاية على تعبئة الكراهية ضد العدو، والحفاظ على صداقة الصديق والحصول على تعاون المحايدين وتحطيم الروح المعنوية للعدو، وهذا فى حد ذاته يتوقف على أبعاد التخطيط الدعائى ومدى ارتباطه بالتخطيط السياسى والوسائل الدعائية المتبعة[2]. وبلوغ النتيجة المرجوة فى إمكانية التأثير الدعائى، إذا ما تمكن الداعية من جذب انتباه الجمهور وإثارة اهتمامه وعرض مضمون مادته الدعائية بحيث يفهمه ويقبله الجمهور الموجه إليه، وإذا كان هذا المضمون وصيغته مقبولين عند الجمهور ويحولان البواعث التى يشعر بها بصورة غير دقيقة، والتعاطف والنفور غير الواضح إلى استعداد جلى للفعل باتجاه معين أو إلى تقويم أحداث الواقع بشكل معين[3].

واستنادًا إلى هذه الحقائق يجب أن نميز بصفة خاصة بين العملية التى تفرض التخطيط المتقن من جانب والاهتمام بالإعلام الخارجى المسبق على عملية الدعاية والتوجيه من جانب آخر بين مراحل خمس وكما حددها الدكتور حامد ربيع فى دراسته للأنموذج الدعائى (الإسرائيلى) [4]:

١ـ مرحلة إثارة المشكلة:

وهى تمهيد، الغاية منه إثارة أبعاد الموقف فقط والذى يستتر خلفه موضوع الدعاية، ولذلك فهذه المرحلة هى فى الواقع مرحلة نوعية أكثر منها دعاية توجيهية، وتشمل هذه المرحلة أيضًا طرح المشكلة وإدارتها وخلق أجواء متوترة تساعد فى إيجاد المبررات الموضوعية لشن الحرب الدعائية.

---

(١) الدكتور محمد على العويني، الإعلام الدولى بين النظرية والتطبيق، م. س. ذ. ص ١٣.

(٢) انظر عن التخطيط الدعائى، رياض إبراهيم محمود، الدعاية فى السياسة الخارجية الإسرائيلية، رسالة غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية بغداد ص ٦٠ــ ٦٣.

(٣) كوليانوفسكى وآخرون، علم النفس الاجتماعى وقضايا الإعلام والدعاية، م . س. ذ، ٣٠.

(٤) د. حامد ربيع، التخطيط للتحرك الإعلامى فى إدارة الصراع، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد العدد الرابع عشر، ١٨٩٥، ص ٥٦ وما بعدها.

٢ ـ مرحلة الإعداد لحملة الدعاية:

وتعنى الانتقال من الإعلام بمعناه العلمى الدقيق إلى الدعاية بمعناها الواسع. وهنا تتحد الطبيعة الاستراتيجية التى وضعها المخطط الدعائى أساسًا لهجومه الدعائى، ولعل خير قاعدة تسيطر على هذه المرحلة هى قول (غوبلز) (كل من يقول الكلمة الأولى للعالم فهو دائمًا على حق) .

٣ ـ مرحلة الهجوم المباشر:

وهى أخطر مراحل الحملة الدعائية حين يتوقف عليها نجاح الحملة بأكملها أو إخفاقها، وتكون الدعاية (فى هذه المرحلة هى الميدان الحقيقى للمعركة لذلك يجب أن تكون قصيرة وقوية ومركزة، ومتتالية فى تتابع وتسلسل يضعف فى أى لحظة)[١]. فهذه المرحلة باختصار هى المعركة الفاصلة والحاسمة التى يتقرر فيها نجاح أو فشل الخطة، وملامح هذا الجانب واضحة فى الدعاية الإسرائيلية إبان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦.

٤ ـ مرحلة إضعاف الخصم:

فى هذه المرحلة تتجه الدعاية بطريق أو بأخر إلى تحطيم القوى المعارضة للدعاية وهى لذلك (تفترض حقائق معينة تفترض نجاحًا فى المراحل السابقة وخاصة مرحلة الهجوم المباشر. كما تفترض تحديدًا واضحًا للخصم مع ترتيب للفئات التى تنطوى تحت مدلول هذا الموقف بحيث يبدأ المخطط الدعائى بأسهل الخصوم وأقلهم مقاومة من حيث سرعة الاستسلام)[٢]. وتتمثل هذه المرحلة بالحوادث التى أعقبت عام ١٩٥٦ ثم عملت الدعاية الإسرائيلية على تشويه الطابع القومى العربى وتقوية لحق (إسرائيل) فى الوجود.

٥ ـ مرحلة تضخيم النتائج:

وهذه تعنى تضخيمًا فى نتائج الانتصار أى تقوية للمراكز التى تكون قد كسبت الدعاية خلال المراحل السابقة سواء بالانتصار على الخصم الضعيف المتردد أم بسحق الخصم القوى العنيف فى الرفض أو تضخيم الصورة أو المنطق المرتبط بعملية الغزو الدعائى. ويمكن تحديد

---

(١) د. حامد ربيع، التخطيط للتحريك الإعلامى ، م . س، ذ. ص ٥٧.

(٢) م . ن.

هـذا الجانـب بما حصل للدعاية الإسرائيلية بعد حوادث ١٩٦٧ إذ لم تكتف بتشويه الطابع القومـى العربـى والدفاع عن الوجود الإسرائيلى وإنما بتضخيم الطابع القومى اليهودى وإبراز وظيفته القيادية فى تاريخ الحضارة الإنسانية.

المبحث الثانى

الإشــــــــاعـة

- تعريف الإشاعة
- تصنيف الإشاعات
- الدوافع التى تحمل الناس على ترويج الإشاعة
- أهداف الإشاعة
- وسائل انتقال الإشاعة
- مقاومة الإشاعات
- التخريب الرمزى بواسطة النكتة

الإشــــــاعة

إن كـان مـن الممكـن تتـبع الـتطور التاريخـى لأى مـن مستويات ظاهرة التعامل النفسى وأسـاليبها وتحديـد مـنابعها الفكـرية، فـإن الإشـاعات تكاد تخرج تمامًا عن نطاق التحديد التاريخـى الـذى نحرص على إعطائه توخيًا، للدقة العلمية لأن تتبع هذه الظاهرة، لابد أن يحيلـنا إلى وجـود الإنـسان علـى هـذه الأرض، إذ وجدت الإشاعة مع وجوده، ورافقت كل عـصر وحـضارة مر بها هذا الإنسان، والشواهد والأمثلة التى تعج بها أدبيات العمل الدعائى والنفـسي، تقـودنا إلى أكثـر مـن أنمـوذج، كـان لبعـضه أهميـته وخطورته، سواء فى أوقات الـسلم، أو أوقـات الحـروب، وإذا ماتركنا الشواهد الأجنبية، فإن ما قام به (جنكيز خان) فـى غـزوه لـبلاد مـا وراء النهـر وتـساقط الممالـك الإسـلامية وانـتهاء بـسقوط بغداد على يد (هولاكـو) عـام ١٢٥٨م، يعـد أنموذجًا آخر، يبرهن على مدى خطورة الإشاعات، فى حسم أغلب المعارك لصالح الغازى المغولى.

ولكن تظل الحرب العالمية الأولى ومن بعد الثانية، هى الشواهد الأكثر أهمية فى محاولة تأصـيل الظاهـرة علمـيًا، وتقـنين اسـتعمال الإشـاعات فـى الحـرب على وجه التحديد، إذ شـهدت ألمانـيا الـنازية بـوجه خاص، وعلى يد العالم الألمانى (بلاو) الذى كان رئيسا لمعمل التحلـيل النفسى فى وزارة الحرب الألمانية،أول تطور فى الدراسة العلمية لظاهرة الإشاعة، ثـم جاءت المرحلة التى أعقبت الحرب الثانية، لترسخ هذا الاتجاه سواء على صعيد المعسكر الـشرقى أم الغربـى إبـان الحـرب الباردة إذ أضحت الإشاعة أداة أساسية من أدوات القتال النفـسى. وتـزداد هـذه الأداة أهمـية وخطـورة، فـى أوقـات الصراع الجسدى بشكل خاص، ممهـددة لـه أولاً ولاحقـة لـتطوراته ثانـيًا، وهـذا مـا سنبحثه عند الحديث عن الإشاعة فى القتال الجسدى، بعد الحديث عن مفهوم الإشاعة، وتعريفها، وتقنين جوانبها العلمية، فما هى الإشاعة..؟

تعريف الإشاعة

لـيس مـن الـسهل وضـع تعـريف دقـيق لمعنـى الإشـاعة، لأنهـا تحمـل معانـى متعددة الأغـراض، وهـذه التعـريفات وإن اختلفت فى صيغها ومصادرها إلا أنها تعطى معنى واحدًا

فهـى فـى أوسـع معانـيها تعنـى الانطـلاق بفكرة معينة، مرتبطة بواقعة معينة وسريان هذه الفكـرة، فـى مجـتمع معـين تحـدد من حيث الزمان والمكان، فيغلب عليها إن لم يكن عدم الـصحة، فعلى الأقل الصحة الجزئية. وبهذا المعنى فالإشاعة تختلط بالأسطورة من جانب، وبالنكـتة أو الفكاهـة الـشعبية مـن جانـب آخر، فهى جميعها صور لاختلاق كلى أو جزئى يـرتبط باتجاهـات الـرأى العـام فى معناه العام، بحيث يمكن القول بأنها وسيلة من وسائل التعبير عن حالات الكبت النفسى الجماعى والفردى[1] .

وعلى ضوء ذلك فقد عرفها (جوردن أولبورت) و(ليوبوستمان) بأنها (اصطلاح على رأى موضـوعى معـين مطـروح كـى يؤمن به من يسمعه، وهى تنتقل عادة من شخص إلى آخر عن طـريق الكلمـة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل)[2] إلا أن الإشاعة كـثيرًا مـا تنـتقل عن طريق أدوات الاتصال الدعائى أيضًا، أما الدكتور (حامد ربيع)، فيرى أن تعـريف الإشـاعة مـن خـلال مفهـومها الوظيفى وتكوينها السلوكى هى عبارة عن (عملية نقـل خـبر مـرتبط بـواقعة أو رأى أو صفة مختلفة من خلال الكلمة المسموعة الشفهية تعبيرًا عن حالة معينة من حالات القلق أو الكبت الجماعى) [3].

وهـذا التعريف يسمح لنا أيضًا بالتمييز بين الإشاعة من غيرها من الظواهر الأخرى التى قد تختلط فيها، وقد تشابك معها، وهذه الفروق هى[4]:

(أ) أن الإشاعة ليست خبرًا مجردًا، إذ أن الخبر هو مجرد نقل واقعة فى شكل إعلام أمـا الإشـاعة فهـى التعلـيق علـى الخـبر، بقـصد تحقـيق حالة نفسية معينة من الإشباع أو التخلص من التوتر أو التعبير عن حالة من حالات الكبت والتمزق.

(ب) وهـى ليـست الأسـطورة، فالأسـطورة هـى إشاعة تجمدت على مر الزمن وارتفعت لتـصير حقـيقة تاريخـية مـرتبطة بالتقالـيد والـتراث أمـا الإشاعة فهى تفترض تداول تعليق

---

(١) صلاح نصر، الحرب النفسية، م . س. ذ، ص ٣٠٢ ــ ٣٠٤.

(٢) سيكولوجية الإشاعة، ترجمة صلاح مخيمر، وعبده ميخائيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٥.

(٣) د. حامد ربيع، مقدمة فى العلوم السلوكية، م. س. ذ، ص ٣١٢ وما بعدها.

(٤) م. ن.، ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩.

كـاذب يتـضمن شـيئًا من المبالغة أو الاختلاف بشأن واقعة معاصرة تعكس الاهتمام الجماعى والكلى.

(جــ) الإشـاعة هـى ليـست الفكاهـة، بمعنـى أن الفكاهـة الجماعـية هى نوع من أنواع التعـبيرات الـشعبية التـى تـسعى إلى حالـة الاسـترخاء عن طريق النقد المستتر، أما الإشاعة فهـى صـورة مـن صـور المـواجهة الجماعية غير المباشرة وغير الصريحة، ومن ثم فمن الممكن تصور الإشاعة وهى تأخذ صورة الفكاهة، كما أنه من الممكن تصور الفكاهة التى لا ترتفع إلى مـرتبة الإشـاعة. فلـو انطلقـت فكاهـة مـثلاً تتـضمن الهـزاء أو السخرية من أحد الزعماء أو القـادة، ولكـنها لـن تنتـشر أو تسرى فى المجتمع السياسى، فإنها تظل فكاهة لا ترتفع إلى مـرتبة الإشـاعة كذلك إن وجدت فكاهة ولكنها حقيقة لا تتضمن أى اختلاق فى الخصائص والصفات أو المقومات، فإنها لا تعدو أن تكون خبرًا ولا يمكن أن يوصف بأنه شائعة.

ولكـن فـى حـين يـتفق (هورست شو) مع الآخرين فى أو الإشاعة تعنى تداول خبر غير معـروف منـبعه مـن راو آخـر، فأنه يذهب إلى تحديد الإشاعة بوصفها (إعلامًا مستقلاً وهذا يعنـى أنـه يـسرى بجانـب أو تحـت مـنظومة الإعـلام الرسمـى، ويعد واسطة جيدة لعملية اتصالات غير رسمية ينشر فيها خبر غير مؤكد لحدث ذى أهمية)[١].

أمـا الـتعاريف الأخـرى، التـى تعـج بهـا الأدبـيات الدعائية،فتكاد لا تخرج عن هــذا الإطار[٢]. وهى فى مجملها تتكون من العناصر التالية [٣]:

١ـ أنها رواية شفهية تقدم لغرض التصديق.

٢ــ ان صـدقها غـير أكـيد، فقـد تكون من نسيج الخيال أو تعتمد جزءًا من الحقيقة فى بنيتها لخلق كيانها وترويجها.

٣ ـ تحتمل الصدق بغض النظر عما تحمله من حقيقة.

---

(١) الإشـــاعة وسيكولوجية الإشاعة فى الحرب، ترجمة مديرية الاستخبارات العسكرية العامة، بغداد، ١٩٨٣ ص ٧ وما بععدها.

(٢) انظر عن هذه التعريفات على سبيل المثال د. فخرى الدباغ، الحرب النفسية م . س. ذ، ص ٣٨ وما بعدها وكذلك محمد عبد القادر حاتم والدعاية م. س. ذ ص ١٧٩ وما بعدها.

(٣) دائـــرة التوجـــية السياسى، محاضرات مدرسة دائرة التوجيه السياسى، مطبعة التوجيه السياسى، بغداد، بلا تاريخ، ص ٢٠٨ وما بعدها

٤ـ تتوافر لها ظروف الانتقال من شخص لآخر أو لأشخاص عديدين سواء عن طريق الاتصال الشخصى أم أدوات الاتصال الجماهيرى.

٥ـ تكون مقسمة بصفة التناقض، فقد نبدأ على شكل حملات هامسة أو تهب كريح عاصفة عاتية.

٦ـ قد تمس أحداثًا كالحرب والكوارث وارتفاع الأسعار أو تمس أشخاصًا ذوى مركز.

تصنيف الإشاعات

أما عن تصنيفها فإن هناك أكثر من تصنيف ومرد هذا الاختلاف بين الباحثين يكمن فى الأسس التى يبنى عليها التقسيم، كون العلاقات الاجتماعية بين الناس متشابكة، والدوافع الذاتية متباينة من مجتمع إلى أخر فيصنفها بيساو، تبعًا للترتيب الزمنى أو الوقت القائم يصنفها إلى[1] :

١ ـ الإشاعات الزاحفة:

وهذه الإشاعات تنمو وتنتشر ببطء حتى تصل فى النهاية إلى مرحلة بحيث يعرفها الناس وغالبًا ما تتناول هذه الإشاعات مواضيع توجه ضد مسؤولى الحكومة لغرض تشويه سمعتهم والنيل منهم وكذلك تستهدف عرقلة التطور والنمو الاجتماعى والاقتصادى والسياسى كما قد تتناول هذه الإشاعات الأخبار الكاذبة الخاصة بقرب وقوع كوارث وأحداث سيئة بغية تحطيم تماسك المجتمع من الداخل.

٢ ـ إشاعات العنف:

ويمتاز هذا النمط من الإشاعات بالقدرة السريعة على الانتشار بين صفوف الجماهير كذلك فإن من خصائصها أن تبدأ بشحنة انفعالية كبيرة معتمدة على عواطف الجمهور المستقبل.

---

(١) انظــر عن ذلك على سبيل المثال، محمد عبد القادر حاتم، الإعلام والدعاية م. س. ذ ص ١٨٠، ومحاضرات مدرسة دائرة التوجيه السياسى م. س. ذ أيضًا، ص ٢١٠، وأيضًا بحث خاص، ص ٣٨ ــ ٤٣ وكذلك العقيد جمال السـيد، أضواء على الحرب النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٢ ص ١٦٩ وما بعدها.

٣ـ الإشاعات الغائصة:

وهـى التـى تمـتاز بالظهـور والاخـتفاء خـلال مدد زمنية معينة، بمعنى آخر أنها تظهر عـندما يكـون الوقت وتكون الظروف مناسبة لظهورها، والإشاعات الغائصة، (ترقد فى حالة سـبات فـى عقـول الـناس ثـم تـستخرج بعـد سنوات عندما يجدون أنفسهم فى موقف بيئى مـشابة للإشـاعة التـى سمعـت لأول مرة، أو هناك اتصال بين الإشاعتين)[١]، فإشاعة شحة المـواد الغذائية مثلاً تعاود الظهور على ما يبدو فى حالة نشوب الحرب أما المعيار الثانى فى تقـسيم الإشـاعة فهـو (الدوافـع النفـسية)[٢] . التـى تـدور حـولها الإشاعة إذ تؤدى الدوافع النفـسية مـثل الخـوف، العـداوة، حـب الاسـتطلاع...إلخ دورًا واضـحًا فى اختلاق وتداول الإشاعات.

فإنها تصنف إلى [٣]:

١ ـ إشاعة الخوف (الوهمية)

والهـدف مـنها هـو إثـارة والقلـق فـى نفـوس الجمـاهير وغالـبًا مـا يزدهر هذا النوع من الإشـاعات فـى الظـروف غـير الاعتـيادية مـثل الحـروب أو الكـوارث، إذ يخضع الفرد إلى انفعـالات تحـدث خلـلاً فـى سـيطرته علـى نفـسه لـذا يكون فى مثل هذه الظروف مستعدًا لتـصديق الإشـاعات المـروعة بـل ويشترك فى اختلاقها أو إضافة أحداث وتفاصيل عليها أو يحـورها بطـرائق عديدة منها الحذف أيضًا. وهذا النوع من الإشاعات يثير اليأس والقلق فى صـفوف الجمـاهير ويجعـل من هدف الخصوم فى تحطيم الجبهة الداخلية أمرًا سهلاً وقابلاً للحدوث ويؤدى الرتل الخامس هنا دورًا مهمًا فى إعداد مثل هذه المناخات القلقة.

٢ ـ إشاعات الأمل أو الإشاعات الحالمة:

وتتـضمن وقائـع وأحـداثا يأمـل الفـرد عـند تـرويجها، أو اخـتلاقها تحقـيق الـراحة والطمأنيـنة إلى نفـسه أو بعـبارة أخـرى (ما يتمناه أن يتحقق) وعلى الرغم من أن هذا النمط

---

(١) رياض أحمد يحيى، حرب الإشاعة بلا دار نشر، بغداد ١٩٨٤، ص ٣٣.

(٢) صلاح نصر، الحرب النفسية، ج١ م. س. ذ، ص ٣٢٤.

(٣) انظـــر عـــن ذلك على سبيل المثال، محمد عبد القادر حاتم، م . س. ذ، ص ١٨٠ والعقيد جمال السيد، أضواء على الحرب النفسية م. س. ذ، ص ١٦٩ وما بعدها.

مـن الإشـاعات يهدئ الأعصاب (ويريح النفس ولكن خطرها قد يكون شديدًا وأثرها مؤلمًا إذا مـا حـصلت أحـداث مغايـرة لمـا كانـت الإشاعة تهدف إليه كأن يكون هناك ترويج لإشاعة تحل أزمة معينة خلال فترة زمنية محدودة وتنقضى الفترة ولا يتحقق شيء)[1] .

٣ ـ إشاعات الحقد أو الإشاعات داقة الأسافين:

والهـدف مـنها خلـق الارتباك والاضطراب فى الرأى العام "ويقصد منها تفريق المجتمع وإثارة النعرات الطائفية والعنصرية فيه"[2] .

وفـضلاً عـن هـذه التقـسيمات هناك من يضع معايير أخرى لتقسيم الإشاعات مثل معيار الجهـة التـى أطلقـت مـنها الإشـاعة مـثل الإشـاعة الفـردية الجماعـية، العامة التى تخص المجـتمع عمومًا، أو معيار (نطاق أو حدود سريان الإشاعة) مثل الإشاعة المحلية، القومية، العالمـية.إلا أن أكثـر التـصانيف شـيوعا، هـو تقـسيم الإشـاعات مـن حـيث الموضـوع وهـذا التـصنيف لـه فائدتـه الكـبيرة فـى زمـن الحـرب، إذ تكـون جمـيع الإشاعات موجهة نحو مواضـيع الحـرب كالخـسائر والمـوت والـرعب والغـارات والتجنـيد وتهديدات الأمن وانتهاء الحـرب، وتظهـر فائدتـه العملية بشكل خاص فى عملية بناء الروح المعنوية ومعرفة ما يدور بين الناس وماذا يشغلهم وما هى مواضيع أحاديثهم.

الدوافع التى تحمل الناس على ترويج الإشاعة

أن من أهم الدوافع التى تحمل الناس على ترويج الإشاعات ما يأتى[3]:

١ ـ دافع حب الظهور:

إذ يلجـأ بعـض الأفراد إلى ترديد الإشاعات واختلاقها لغرض الظهور بمظهر المطلع على بـواطن الأمور أو أنها على اتصال بكبار رجال المجتمع والمسؤولين فيه إذ أن فى ذلك إشباع لرغباتهم فى حب الظهور وجلب انتباه الناس إليهم.

---

(١) حـــزب البعث العربى الاشتراكى، المنهاج المركزى، الكتاب الثانى، الكلمة ومخاطر استعمالها فى حياتنا اليومية، القيادة القومية، بغداد ١٩٧٧، ص ٣٢٨.

(٢) عبد الرحمن غنيم، مدفعية إسرائيل النفسية، دار الآداب، بيروت ١٩٦٨، ص ٤٧.

(٣) زيدان عبد الباقى، م. س. ذ، ص ٢٨٩ وأيضًا رياض يحيى م. س. ذ، ص ٦٠.

٢ ـ الرغبة فى التأييد العاطفى[١] :

إذ يلجأ الأفراد وهم تحت تأثير الذعر إلى ترديد الإشاعات بقصد أن يشاركهم الناس بهذا الشعور. إن هذه المشاركة تجعلهم يشعرون بالأمن والطمأنينة والثقة.

٣ ـ التسلية:

إن محاولة الوصول إلى هذا الهدف يجعل الأفراد أحيانًا يختلقون الإشاعات وقد يكون المنطلق أيضًا فى هذه الحالة الفراغ الذى يعيشونه مما يدفعهم إلى أن يرددوا الإشاعات على شكل فكاهات إلا أن بقية الأفراد يتناقلوها مستندين إليها يعدّها حقيقة مؤكدة.

٤ ـ الحاجات والرغبات النفسية الخاص:

إن الأفراد أحيانًا يعبرون عن رغباتهم الشخصية وأحلامهم وأمنياتهم بإشاعات تتضمن حلولاً أو تلبيات لتلك الرغبات كأن يحلم الموظف الحكومى بزيادة راتبه الشهرى مما يدفعه فى ظرف معين ووقت معين إلى ترديد مثل هذه الإشاعة.

٥ ـ الخوف:

يدفع الخوف الناس أحيانًا إلى أن يسلكوا سلوكًا معينًا فى ظرف معين يفسره الأخرون تفسيرات عديدة تنتج عنها نتائج مختلفة من الإشاعات، فالخوف من نفاذ بعض مواد التموين الغذائية فى السوق خلال الحرب قد يدفع بعض الأفراد إلى التخزين، هذا التصرف يفسره الآخرون بأن هناك أزمة فى تلك المواد تلوح فى الأفق مما يؤدى إلى سريان هذه الإشاعة.

٦ ـ الكراهية:

إن هذا الشعور قد يدفع الأفراد الواقعين تحت سيطرته إلى أن يبثوا الإشاعات بهذا الاتجاه، فكره شخص لآخر يجعله ينشر عنه الإشاعات أو كره فئة متضررة من السلطة بدفعها إلى أن تثير الإشاعات عليها وعلى سياستها المختلفة.

إن هذه المشاعر هى التى تقود إلى خلق الرتل الخامس الذى يؤدى أخطر الأدوار فى خلق ونشر الإشاعات خلال مدد الحروب أو الظروف الصعبة التى يعيشها هذا المجتمع أو ذلك.

---

(١) رياض أحمد يحيى، م. س. ذ، ص ٦٠.

٧ ـ دافع التسلط:

ويعدّ العالم الأمريكى جوردن ألبورت[١] . أن دافع حب الظهور هو من الأساليب الثانوية لسريان الإشاعة كذلك الحال مع دافع التسلط، إذ أن هذين الدافعين لا ينطويان على أى علاقة بالموضوع، فقد يكون ناشر الإشاعة ممن يرغبون فقط بجذب انتباه الآخرين له، كأن يدعى (أنه يعرف ما لا يعرفه الآخرون) مما يعطيه أهمية أكثر بين مستمعيه، أما الدافع الثالث فيعده من الدوافع الأساسية لأنه يعبر عن حالة بشرية يمكن أن تكون القوة الدافعة للإشاعة. فالقلق هو الذى يدفع ناشر الإشاعة إلى أقاصيص القتلى والكوارث، والحقد هو الذى يسند حكايات الافتراء واتهام الآخرين.

أهـــداف الإشاعة

أثبتت الدراسات أن الإشاعات سلاح ناجح فى أوقات الحرب والسلم، ويستهدف من بث الإشاعات ما يأتى:

١ ـ تحطيم الروح المعنوية للخصم، وذلك عن طريق النيل من بناء القيم المستقرة ومن بناء التنظيم القائم... والإخلال بدرجة التماسك والتضامن القائمة بين أفراد ووحدات المجتمع المختلفة. ومن الأمور التى تزيد هذا الوضع خطورة هوتعرض هذا النسق من القيم والتنظيم لمحاولات الخلخلة فى أوقات تكون فيها أشد حاجة إلى التماسك والتدعيم ومما يزيد من حدة توترها وبالتالى انحرافها) [٢].

٢ ـ كشف الحقائق: فقد تحتاج جهة ما إلى حقائق معينة عن الخصم، كأن تكون بحاجة إلى معرفة خسائره فى معركة ما، فتقوم هذه الجهة ببث الإشاعات عن نتائج المعركة وخسائر العدو فيها بشكل مضخم ومبالغ مما قد يدفع الخصم وهو فى حالة الانكسار والهزيمة إلى نشر الخسائر الحقيقية له بالتفصيل، حدث هذا خلال الحرب

---

(١) جوردن ألبورت، ليبوبوستان، سيكولوجية الإشاعة، ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ص١٨.

(٢) أحمد النكلاوى، المدخل السوسيولوجى للإعلام، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٨٦.

العالمية الثانية وفى التحديد بمعركة بيرل هاربر عندما استخدم اليابانيون هذا الأسلوب لمعرفة خسائر الأمريكيين فى هذه المعركة.

٣ ـ **تحطيم الثقة بالمصادر الإعلامية المضادة:** أى أن تبث جهة ما إشاعة بأسلوب ذكى عن مقتل أحد قادتها مثلاً وتعمل على نشر هذه الإشاعة أو هذا الخبر بشكل واسع مما يجعل المصادر الإعلامية للخصوم تعتمد ذلك الخبر وتصدقه وتنشره وهنا تجرى الدولة الأولى لقاء تليفزيونيا أو صحفيا مع ذلك القائد أو تعطيه التعليمات لعقد مؤتمر صحفى واسع النطاق. هذه العملية تجعل الجماهير تفقد الثقة بمصادر العدو التى خدعت وأعلنت مقتل القائد استنادًا إلى الإشاعة التى بثتها الجهة الأولى.

٤ ـ تحطيم عرى التحالف بين الدول الصديقة أو المتحالفة (كالإشاعات التى أطلقها الحلفاء بأن الألمان فى شمال أفريقيا يقاتلون بالإيطاليين فى خط النار ويستعملون عجلاتهم فى الانسحاب تاركينهم وراءهم راجلين) [١].

٥ ـ **استخدامها ستارًا لإخفاء حقيقة ما أو الحط من شأن الأنباء،** وذلك عن طريق إطلاق الإشاعات التى تحتضن أخبارًا كاذبة وأخرى حقيقية مما يؤدى إلى تشابك المعلومات وصعوبة التفريق بين الحقيقى منها والملفق.

وسائل انتقال الإشاعة

فى أيام الحروب يكون مصدر الإشاعة الأعداء الخونة والعملاء وعناصر الطابور الخامس، فهؤلاء يشكلون جمعيًا مصدر الإشاعة ومروجيها الحقيقيين، وقد يسحب إلى اللعبة بعض المتضررين أو المغرضين، وأفراد سذج، لنشرها والعمل على انتقالها من مجال اجتماعى إلى أخر.

فالإنسان هو الوسيلة الأولى لإشاعة فهو الذى يخلقها، ويضع اللمسات الأساسية لها ويقوم ببثها وترويجها.

والإشاعة عمومًا تبدأ من الإنسان وتنتهى بالإنسان نفسه لذلك كان لعناصر الطابور الخامس ومن لف لفهم من العملاء الأدوات الأولى فى تصدير الإشاعة إلى مصادر لتجهيز

---

(١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الحرب النفسية، م. س. ذ ، ص ١٦.

الإشـاعات للدوائـر الإمـبريالية والـرجعية ويقصد بتصدير الإشاعة تقديم المعلومات الأساسية التـى تحتاج إليه للولادة حتى لا تجهض وتنجح فى بث سمومها أو تقوم بخنق الإشاعة فى مهـدها ونشرها بالمجتمع نفسه وبعد ساعات من وضع اللمسات الأساسية لها... ولذلك فإن أهم وسائل انتقال الإشاعة هى:

١ ـ العملاء والجواسيس المرتبطون بالعدو الأجنبي الذين ينفثون سمومهم من أجل تمزيق الجـبهة الداخلية، وإجهاض الإرادة الشعبية فى القتال وتحطيم المعنويات الإيجابية باتجاه المعركة والتشكيك بمواقف القيادة.

٢ ـ عناصـر الطابور الخامس المتواجدون فى البلد من عناصر موالية للعدو وبحكم الانتماء الدينـى، أو الطائفـى أو مـن جالـية العـدو ومن الذين كانوا يملكون جنسية العدو، أو الذين يرسـلهم العـدو للتـسلل إلى داخـل الـبلد وإثـارة القلاقـل والاضـطرابات، وإذكاء نار التفرقة والـتحارب بـين أبـناء الوطن الواحد.. وقد تحدثنا فى مبحث سابق عن دور هذا الطابور فى نشر الإشاعة بصورة مدمرة وقذرة.

٣ ـ المتـضررون الـذين ضـربت مـصالحهم المادية،أو أعفوا من مناصب فى الدولة بسبب سـوء تـصرفهم، ووضـعهم وعـدم قـدرتهم علـى تحمـل المـسؤولية وقلة إخلاصهم ونزاهتهم، فهـؤلاء وبـسبب عقـد الـنقص التـى يـشعرون بهـا ولتحاملهم على الوطن، قد ينساقون وراء موجة الإشاعة التى يروجها أعداء البلد.

٤ ـ الـصحف والمجـلات: وتـستخدم وسـيلة إعلامـية مهمـة لانتقال الإشاعة ونشرها، ولـيس غالـبًا أن تنـشر الإشاعة فى صحف العدو ولأن تأثيرها سيكون معدومًا ولعدم إمكانية وصولها إلى البلد بل يمكن نشر الإشاعة فى الصحف الموالية والصديقة ويفضل الصحف التى لا يعـرف العـدو عـن صـلتها بهـا.. وعـن سرية تمويل الدولة المادى لها، والإشاعة لا تبث بـصورة مباشـرة، بـل بـشكل غـير مباشـر وبإخراج صحفى ذكى وغير مفتعل، ويمكن توثيق الإشـاعة بأسمـاء مواطنين مع تواقيعهم أو بصور مأخوذة سابقًا من بلد العدو وفى هذه الحالة يجب استعمال كل إمكانيات الأجهزة الفنية لتحيق الغاية المرجوة.

٥ ـ الإذاعـات الـسرية والعلنـية: وهـى مـن الوسـائل الإعلامـية المهمـة والخطـرة التـى تـستعمل بفعالـية فـى نـشر الإشـاعات وبأوقـات بـث مناسـبة وبأسـلوب إذاعى خاص وقد اسـتخدمت الإذاعـات العلنية التى تعلن هويتها بشكل واضح والإذاعات السرية التى لا تبرر

هويـتها أو الإذاعات الكاذبة التى تدعى أنها تبث من داخل بلد العدو وتمثل إحدى فصائل المعارضـة الـسياسية لإحباط معنويات الأفراد وزعزعة ثقتهم ببلدهم وبأنفسهم، لقد استعملت الإذاعـات بشكل واسع إبان الحرب العالمية الثانية من طرف الحلفاء ودول المحور على حد سواء، وكانت هناك حربًا حقيقية للإذاعات آنذاك، نشرت خلالها عشرات الإشاعات التى أدت دورًا كبيرًا فى تقرير نتائج المعارك وفى التأثير فى الرأى العام المحلى والعالمى.

٦ ـ الـسينما والـتلفاز: يقتصر استعمال السينما لأغراض الدعاية والإشاعة معًا من خلال قـصة الفـيلم والمنطلقات التى يزرعها فى الدول المحايدة والصديقة إلى بلد العدو ومن خلال تهيـئة هـذه الأفـلام علـى أشـرطة الفـيديو وتـوزيعها ونشرها بكميات كبيرة فى بلد العدو.. ويسهم التلفاز بدور مهم فى هذا.

فالإشـاعة إذن عـبارة عن خليط من حقائق وأكاذيب وتخيلات وتهويل. وفى الإشاعة لا يمكن تحديد الحقائق وفرزها عن غيرها من الأقاويل المهولة أو الملفقة، هذا من دون أن نقول بـأن العناصـر الحقيقية تفقد أحيانا فى الإشاعات أى ليس هنالك حقيقة أصلاً أى أن تكون الإشاعة برمتها أكذوبة. (بهذا فإن الإشاعة تختلط بالأسطورة من جانب وبالنكتة أو الفكاهة مـن جانب آخر فهى فى جميعها صور لاختلاق كلى أو جزئى يرتبط باتجاهات الرأى العام فى معناه العام)[1] .

كمـا أن الإشـاعة ليـست هى الخبر فالخبر هو عملية نقل حدث معين أما الإشاعة فهى تـدور حول ذلك الخبر أو تلك الواقعة وهى عملية تعليق عليها لتحقيق غرض معين نفسى أو اجتماعى.

والإشـاعة فـى الـوقت نفـسه ليـست هـى الأسـطورة والفرق بينهما هو أن الأسطورة هى إشاعة قديمة اتخذت شكل تقليد معين أو فكرة ثابتة متوارثة فى المجتمع. أم الإشاعة فهى تعلـيق عن حدث معاصر جديد يتصف بكل الخصائص التى سبق ذكرها من خلال التعاريف بحـيث يمكـن تـصنيفه بعـد اتـسامه بـتلك الـسمات بأنـه إشاعة. كذلك هناك اختلاف بين الإشـاعة والفكاهـة وإن كانـت الإشـاعة تأخـذ أحيانًا شكل الفكاهة. فالفكاهة أو النكتة هى

(١) د . حامد ربيع، مقدمة فى العلوم السلوكية، م . س. ذ، ص ٣١٠.

تعـبير جماهيرى يسعى "إلى حالة الاسترخاء"[1] . أما الإشاعة فهى قد تنتشر وتسرى تحت غطاء الفكاهة.

كـل مـا تقدم يعطينا نتيجة واحدة إلا وهى أن الاتصال هو ربط أساسى أو صفة أساسية مـن صـفات الإشاعة. كذلك فإن أسلوب الاتصال السرى هو من أفضل الأساليب التى تنتشر الإشاعة من خلالها.

مقاومة الإشاعات

إن مجابهـة الإشـاعات وإجهاضـها لـيس مهمـة جهـة معينة فقط ولكن مهمة كل أبناء الـشعب، لأن وبـاء الإشـاعات يعد من الأوبئة الاجتماعية الخطيرة التى تهدد المجتمع.وإذا كانـت مهمـة الجمـاهير كلـها واجـبة فـى مقاومـة الإشاعات فإن مهمة المثقفين تكون ملزمة وأكثـر فائـدة، لأنه إذا نقل أو ساعد على ترويج الإشاعة تصبح حقيقة نظرًا لما يتمتع به من احـترام بـين الجمـاهير. أمـا إذا وقـف المثقفون المناضلون بوجه الإشاعات منذ البداية، فأنه بالإمكـان حـصرها وتطـويقها وقمـع مروجيها من ضعاف النفوس، أو المأجورين والحاقدين، والعمـل علـى تعزيـز ثقـة الجماهير على أن الأجهزة المختصة حريصة على نقل كل الحقيقة من دون تحريف وبالمقابل توضيح وشرح مخاطر الإشاعات التى يطلقها الأعداء.

وتعـويد الجمـاهير علـى قبول الحقيقة حتى ولو كانت مرة قاسية فعندما تحصل جريمة معيـنة، فـلا يعنـى أن البلد أصبح مسرحًا للجرائم ومهما تقدم المجتمع فى السلم الحضارى فإن ظاهرة القتل لا يمكن القضاء عليها نهائيًا.

إن ظاهـرة الفـراغ فـى كل مجالات العمل هى ظاهرة مشخصة ونتائجها السلبية معروفة علـى الإنـتاج والـتقدم العلمـى، كمـا أنها تشكل أخصب تربة لنقل الإشاعات وبالقضاء على هذه الظاهرة نسد ثغرة يمكن أن تنفذ منها الشائعة.

الكلمة المباشرة أو زلة اللسان:

إذا كـان الحـديث عـن الكلمـة المـوجهة لـه أهمـية فـإن الحـديث عـن الكلمـة المباشرة العـشوائية لا يقـل أهمـية أيـضًا فكمـا للكلمـة المـوجهة إلينا آثارها السلبية إذا وجدت آذانًا

(١) البورت وبوتسمان، سيكولوجيى الإشاعة ، م . س. ذ، ص ١٥.

صاغية ولم نتمكن من مجابهتها وحصرها، فإن للكلمة العشوائية مخاطر أيضًا فى حياتنا اليومية... وفى هذا المجال سنبتعد عن الكلمة التى تقال بقصد شىء، وتخرج من أفواه المعادين والحاقدين والمرتدين والرجعيين وغيرهم، بل أن الحديث عن الكلمة التى تخرج من أفواه العقائديين بالذات لها أهمية سواء أكانت فى اللقاءات العامة أم السهرات أم الندوات، والكلمة دائمًا تأخذ أهميتها من أهمية من يقولها، فكلما كان المسؤول أعلى مرتبة كانت كلمته أكثر أهمية ومثارًا للتصديق وتظل محط اهتمام الآخرين وكما أن الكلمة يمكن أن تكون مفتاحًا للاستقطاب فإنها قد تكون بالمقابل منفرة للجماهير وعندما يكون الحديث عن خطورة الكلمة التى نقولها فى الاجتماع أو اللقاء اليومى العابر فأن هذا لا يعنى أن نسكت عن الكلام ولكنه مدعاة لأن نعد كلامنا ونخرجه بمقياس محدد بحيث تكون الفائدة منه أكبر، وذا أثر نفسى إيجابى فى الجماهير. وليس عيبًا أن يمتنع المرء عن إعطاء معلومات لعدم معرفته بها، بل يمكن الرجوع إلى مصادر أخرى لمعرفة الإجابة الصحيحة فهناك من يعانى الضغف فى بنيانه الداخلى فيحاول أن يعوض عن ضعفه بادعاء صلة حميمة مع بعض المسؤولين القياديين.. ومن أجل أن يدلل على صدق هذه الصلة يسرد بعض أقوال ذلك القيادى خلال أحاديث خاصة وباجتماعات معينة وقد يعطى معلومات مجانية فى جلسة غير مسؤولة عن أوضاعه وشيئًا عن حياته الاجتماعية وكيف يقضى أوقات فراغه وما هى هواياته وكلها معلومات تستفيد منها القوى المعادية إذا ما انتشرت وهى بالتأكيد معلومات سريعة الانتشار وقابلة للتأويل والتكبير والتشوية والتحريك. وقد يفشى المتحدث بعض الأسرار التى تؤدى على الصعيد العام إلى عواقب وخيمة. وكل ذلك بسبب زلات اللسان التى يقدمها بعضهم ولاسيما فى جلسات "المنادمة والخمر" وقد لا تكون حالة الضعف آنفة الذكر فى ذلك الشخص، بل قد تكون لدى المقربين له كزوجته أو أحد أفراد عائلته. وعندما يفضى ذلك العارف أو المدعى المعرفة ببعض المعلومات (بحسن النية) إلى أحد المقربين سواء أكانت بشأن حديث القياديين أوعن ظاهرة اقتصادية أو اجتماعية أو إجراء محدد فإن هذا المقرب سرعان ما يبث هذه المعلومات ليدعى ويتفاخر أمام الآخرين بأنه عارف بالأمور وأن له صلات مع الجهات العليا وكل ذلك ليخفى ذلك النقص فى نفسه أو ليستغل هذا الادعاء فى تنفيذ رغبات شخصية أو مصلحية معينة.

إن للكلمات ضوابط فى إطار الأحاديث الرسمية أيضًا، سواء أكان فى الاجتماع الحبى أم الرسمى أو الندوة الجماهيرية فلكل مرتبة مستوى من الحديث وحد معين من المعلومات

وقـد يفلـت لـسان ذلك المتحدث ليدلى بمعلومات ليس مطلوب أن يقولها أمام هذه المرتبة من الحـزبيين أو الجمـاهير، وأحـيانًا يقـع بأخطـاء فـى عـدم تـضبيطه للكلمات التى يجب أن يقـولها أمام فئة معينة من قطاعات الجماهير الشعبية وعندها يكون الخلط والتأويل والتفسير للكلمـات إذا كانـت غير مفهومة أو غير واضحة الأهداف وهنا تكمن ضرورة تحديد الكلمات وتوضـيحها بمـا يـتلائم ومـستوى ثقافـة المـتحدث إلـيه، ولا يجـوز إفهـامهم فـى قضايا لا يـستوعبها أو فـرض أسـلوب فـوق طاقتهم لأنها تعود بنتائج عكسية لما هو مطلوب، إن هذه الإشـاعات وغيرهـا، ربمـا ستكـشف عـشرات الثغـرات عـند التحدث وكلها تعود إلى نتائج عكسية ويمكن أن تكون شعاراتنا فى هذا المجال.

١ ـ لتقهر الإشاعة وهى فى مهدها.

٢ ـ بالوعى والرجوع إلى المسؤولين المختصين نقاوم الإشاعات.

٣ ـ عدم المعرفة بالمعلومات أفضل من إعطائها خطأ.

٤ ـ آذان الأعداء صاغية فلا تدع لسانك يقدم معلومات مجانية.

٥ ـ فكر قبل أن تعطى معلومة خاطئة ـ فالتسرع يقود إلى فضح الأسرار.

٦ ـ وأنت تتحدث اعرف مستوى من تتحدث إليهم.

٧ ـ وأنت تستمع إلى الآخرين حلل ما تسمعه فى ضوء ما تعلمته.

التخريب الرمزى بواسطة النكتة

لـيس مهمًـا أن تكون الإشاعة مرتبة ومحكمة، ولكنها فى بعض الأحيان قد تنطلق على شـكل نكـتة عابـرة وفى الحقيقة تكون ذات يد بترتيب أوضاع فى غير صالح التوجه العام، والفكاهـة مـن أخـر الوسـائل المؤثـرة فى الناس لأسباب عديدة. فالنكتة تؤدى الغرض الذى يـريده الأعـداء بطـريقة لطـيفة متـضمنة طابـع التـشويق، ويـرتاح لها السامع والمتحدث ولا يعـترض علـيها الـسامع والمـتحدث، وكـذلك أنهـا ترسـخ فى الأذهان ولا ينساها السامع أو المـتحدث بـسهولة وبهـذا تكـون آثارهـا قـوية ومـستمرة وتكون أيضًا مصدرًا لنكات أخرى، فالنكـتة الـسياسية إذن كمـا أشـار (هـانس يوخيم كام) فى كتابه "نكات الهمس فى المملكة (الـرايخ) الثالـثة" "علـى أنهـا عملـية مقاومـة بكـل معـناها فهى أى النكات كأسلوب لنقل الـتقولات والإشـاعة تبتغـى التـنديد بـه وجعلـه أضـحوكة وبواسطتها تتم تعرية جزئية لقوة الشخص الهدف، فتعرية الشخص تنقص من هيبته، والاتحاد بين التقولات والنكتة يحتاج

فقط إلى تحديد، ثم تجرى التقولات والنكات التى توفر بدورها إدراكًا لما كان مستورًا من قبل مثلما تساعد أيضًا إلى إزالة الخوف، مثل الخوف من أجهزة السلطة (الدولة والكنيسة ومختلف أنواع السلطة والنفوذ) وتعمل على الإقلال من احترام غير المرغوب أمام الشخصيات المزعومة"[1] .

وهدف الضحك الذى تثيره النكتة هو خلع ستار الجدية التى تحيط به السلطة نفسها ويؤدى بها إلى أن تكون موضع الاستهزاء والسخرية. وعليه فإن للنكات والفكاهات ثلاث وظائف أساسية هى [2]:

١ ـ رفع هالة القدسية عن السلطة وإلغاء العظمة التى تحيط بها.

٢ ـ إزالة بريق الشخصية عن القيادة.

٣ ـ أما وظيفتها الثالثة فهى وظيفة سلبية بشكلها الأساسى ومخربة وليست بناءة أو خلاقة.

ومن أقدم الشواهد وأكثرها سطوعا على استعمال سلاح النكتة بوصفها أسلوبًا من أساليب الإشاعات، للإطاحة برموز السلطة، سيل النكات التى أطلقها المصريون لإظهار المعارضة للحاكم (بأمر الله الفاطمى) الذى كان شديد المحافظة إلى حد أن هذه النزعة طغت على الحريات الشخصية، فمنع النساء من التجول فى الأسواق، وأمام المساندة الدينية تحول إلى تقولات شعبية بتحريم الخليفة(لأكل الملوخية) مثلاً، وكذلك شخصية الوزير المصرى (بهاء الدين قراقوش)، وهو من الشخصيات التاريخية الفذة التى طغت عليها صورة ساخرة افتعلتها يد أديب من أدباء المعارضين له وهو (ابن مماتى) الذى ألف كتابًا أسماه (الفاشوش فى أحكام قراقوش)، استطاع بواسطته ان يمسخ شخصية الوزير قراقوش بالشكل الساخر الذى نعرفه عنه الآن [3].

---

(١) نقلا عن هورست شو، الإشاعة وسيكولوجية الإشاعة فى الحرب، المديرية العسكرية العامة، بغداد ١٩٨٣، ص ٥٠.

(٢) جان مارى ديران، التخريب الرمزى للسلطة، ترجمة مركز البحوث والمعلومات بغداد، ١٩٨١، ص٧١.

(٣) أحمد عطية الله، سيكولوجية الضحك، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٢٢٢ وما بعدها.

وقد شهدت التجارب المعاصرة وبالذات العدوان الثلاثى على الشقيقة مصر عام ١٩٥٦، صورًا متعددة للمحاولات الاستعمارية لمسخ الصورة القومية لقيادة جمال عبد الناصر سواء بابتكار نكات جديدة أو باستعمال نكات عرفتها الحروب العالمية السابقة مع بعض التحوير[١]. أما الحرب العراقية ـ الإيرانية فقد شهدت استعمالا يصح أن نطلق عليه (حرب النكتة)، بحيث كان لا يكاد يخلو البرنامج اليومى لإذاعة طهران باللغة العربية عن محاولات لإثارة الفكاهة والنكتة السياسية وبوسائل وأساليب متعددة، ويبدو أن الإيرانيين قد استفادوا من خبراتهم أيام المعارضة ضد الشاه، فى استعمال هذا السلاح، الذى انعكس بدوره أيضًا ضد السلطة التى يمثلها خمينى فى إيران من المعارضة الإيرانية الآن والدراسة التى وضعها الفرنسى (جان مارى ديران) تقدم أنموذجًا هائلاً فى هذا الصدد [٢].

---

(١) انظر حول ذلك، عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية م . س. ذ، ص ١٦٣، وأيضًا حامد ربيع مقدمة فى العلوم السلوكية م. س . ذ، سبق ذكره، ص ٣٠٩ وما بعدها.

(٢) انظر عن النكات التى أطلقتها المعارضة الإيرانية ضد خمينى والمسؤولين الإيرانيين، جان مارى ديران، التخريب الرمزى للسلطة، م . س. ذ، ص ٣٠ـــ ٥٠.

المبحث الثالث

الإرهـــــاب السياسى

- مفهوم ظاهرة الإرهاب (لغويًا)
- مفهوم الإرهاب اصطلاحيًا (التعريف)
- الإرهاب والثورة الفرنسية
- الفوضوية والعدمية الروسية
- خصائص الإرهاب السياسى
- الإرهاب وأدوات السياسة الخارجية
- الفعل الإرهابى والدعاية من خلال الحركة

الإرهاب السياسى

حينما وصفت اللجنة الخاصة بدراسة ظاهرة الإرهاب الدولى التى شكلتها هيئة الأمم المتحدة فى عام ١٩٧٣، عملية تعريف الإرهاب بأنها محاولة (مضيعة للوقت وعقيمة) بعد أن أخفقت جميع المساعى التى بذلت على مستوى عالمى للتوصل إلى تحديد دقيق للمفهوم وتعريف شامل يحظى بقبول المجتمع الدولى ويكون موضع التزامه الدقيق فإنها إنما تشير إلى حقائق عدة تتعلق بتناول الظاهرة ودراستها.

أولاً اختلاط مفاهيم (العنف السياسى) (بالإرهاب السياسى)، وأن لم نقل انتقال مفهوم العنف إلى الإرهاب، بحيث أصبح هذا الوجه الجديد للعنف الممارس فى الحقل السياسى رائجًا فى مختلف أنحاء العالم ولا سيما فيما يتعلق بكيفية عملية الإنتاج وتوزيع الثروة وفضلاً عن تحكمها فى الكثير من الطرائق والوسائل المتبعة فى العلاقات السياسة والاقتصادية الدولية.

ثانيًا : سيادة المفهوم الشعبى الواسع المتعلق بالإرهاب والعنف الفردى الذى لا يخرج عن كونه عملاً إجراميًا ليس إلا ويخضع للقوانين الإجرائية المتعلقة بالجرائم العادية فى أى دولة من دول العالم، على المفهوم (الإرهاب السياسى) وهو هدف دراستنا، بأن غدا أى عمل إجرامى (إرهابًا) وهو ليس كذلك فى حقيقته،

ثالثًا: تمحور الاتجاهات العلمية التى درست ا لظاهرة حول اتجاهين:

الأول: يمثل المواقف المنحازة التى تتستر وراء الظاهر العلنى لتغلب وجهة نظرها السياسية أو لتؤيد موقفها المسبق عن طريق التبرير النظرى.

الثانى: يتجسد فى المواقف التى تتبنى الموضوعية المجردة بهدف دفع عجلة البحث العلمى فى الظواهر السياسية إلى الأمام[1] .

---

(١) انظر بخصوص ذلك، أدونيس العكرة، الإرهاب السياسى (بحث فى أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٨٤ وما بعدها.

وعلـى الـرغم مـن ذلـك ضـاع قسم كبير منها، فى منهجيات متناقضة ومختلفة فى أكثر الأحـيان، وهـذا مـا جعـل عملـية الدراسة الشاملة والتامة للظاهرة ضربًا من الادعاء لا يقدر مدى صعوبتها إلى من خاض غمار الظاهرة وتوقف عند إشكالياتها المتعددة.

رابعًـا: تحكـم التطور السياسى الذى تعيشه الأسرة الدولية ولا سيما منذ الحرب العالمية الثانـية فـى مـسار العلاقـات الدولـية بفعـل متغيرات عديدة كان من أبرز نتائجها استعمال الإرهاب أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية ولا سيما من القوتين الأعظم(١) .

إلا أن ذلـك لا يمنعـنا مـن الخـوض فى دراسة الظاهرة، وتبيان أبعادها سواء من حيث تطـور مفهـومها التاريخـى، عـبر العديـد مـن التجارب والإرهاصات الفكرية، التى ارتبطت بهـذه الظاهـرة، مـنذ نهايـة القرن الثامن عشر الذى شهد نشوء الظاهرة وحتى الآن، أو من حـيث كـونها ظاهـرة سياسـية أضـحت من خلال وظيفة الدولة الاتصالية والوظيفة القتالية للدولـة، مـتغيرًا حاسمًا من متغيرات الحرب النفسية التى تعد أحد أوجه التعبير عن هاتين الوظيفـتين اللـتين جـاءت المـتغيرات الـسياسية بعـد الحـرب العالمـية الثانـية، لـتجعل من الإرهـاب أداة مكملـة وفعالـة لتنفـيذ الـسياسة الخارجـية للدولـة، ومن ثم اكتسب الإرهاب مـشروعيته الـسياسية إن لم نقـل مـشروعيته الدولـية وإن ظلـت تختفـى وراء ستار هش من المثالـيات الـسياسية، التـى لم يعـد لهـا إلا الاسـم فـى واقـع الـسياسة الخارجية فى القرن العشرين.

---

(١) د. حامد ربيع (الإرهاب الدولى ونظرية السياسة الخارجية) مجلة المنار، باريس، العدد (٢٢/ ٢٣) تشرين الأول ـــ تشرين الثانى، ١٩٨٦، ص ٤٣ وما بعدها.

مفهوم ظاهرة الإرهاب لغويًا

كـل لغة تحتل صفة تمثيلية للحضارة التى نشأت فيها وساعدت على تبلورها وتطورها، ودراسـة أيـة مفـردة من مفرداتها، ترتبط بتطور استعمالها المتصل بالوعى والإدراك السياسى للواقـع المعـاش، لـذا يصف (رولان بارت) [1]. (الكتابات السياسية بأنها تجمع بين واقعية الأفعال ومثالية الغايات التى من أجلها تسعى السلطة إلى إنشاء كتابات تقيمية تحذف فيها الفاصـل بين الحدث والقيمة، فى مجال الكلمة نفسه لتغدو الكلمة هى الرهن والحكم فى آن واحـد، حـيث تـصبح الكلمـة بـديلاً من الآخر.. وليس من شك فى أن كل نظام سياسى له كتابة لم يوضع تاريخها بعد، يوضح وجودًا ومظهرًا عن ما هى وما تريد أن يعتقد بها).

ومـن هنا فدراسة تطور المدلولات اللغوية لكلمة (إرهاب)، تستدعى دراسة التطور المرافق فـى مجـالات الفلـسفة الاجتماعية والسياسية والأيديولوجيات إذ من شأن هذا التطور الثانى أن يحـدد مقـصد الإرهاب ووظيفته ومنفعيته من حيث إنه وسيلة لفعل سياسى[2]. ولكن بما أن هـذا يخـرج بـنا عـن نطـاق دراسـتنا هـذه، فـإن ما يهمنا هو تبيان المعانى المختلفة التى حملـتها كلمـة الإرهـاب عـبر تطـور اسـتعمالها اللغـوى فـى أمـاكن نشوء الظاهرة بمفهومها المعاصر، ثم فى مدى تطابقها مع المفهوم نفسه فى اللغة العربية.

الإرهـاب فـى اللغـة العـربية، كمـا أوردتـه المعـاجم يعنى حرفيًا الفزع.. الخوف ورجل رهـبوت ـ بفـتح الهاءـ أى مرهوب ويقال رهبوت خير من رحموت، أى لأن ترهب خير من أن تـرحم [3]، والإرهابـى هـو من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته، والحكم الإرهابى هو نوع

---

(١) انظـــر عن ذلك رولان بارت، الكتابة فى درجة الصفر، ترجمة نعيم الحمصى، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٧٠، ص ٢٦ ـــ ٣١.

(2) Brain Jenkms''Statement A bout Terrorsin'' The annesais of the American Academy of political and Social Sciences, vol: 463, (1982) PP. 12_13.

(٣) محمد محى الدين عبد الحميد، محمد عبد اللطيف السبكى، المختار من صحاح اللغة، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٣٤، ص ٢٠٦.

مـن الحكـم يقـوم علـى الإرهـاب والعـنف تعمد إليه حكومات أو جماعات ثورية[1]، أما فى القـرآن الكـريم فقـد جاءت الكلمة بمعان مختلفة، فبمعنى إشاعة الخوف والرعب وورد قوله تعـالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ (سورة القصص)، و﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قـوة ومـن ربـاط الخـيل تـرهبون بـه عـدو الله وعـدوكم﴾ (سـورة الأنفعـال)، وبمعنى الرهبة والخـشوع لله تعـالى قـوله فـى قـرآنه المجـيد ﴿إنمـا هو إله واحد فإياى فارهبونى﴾ (سورة النحل).

وقـد ظـل المفهـوم اللغوى متفقًا إلى حد كبير مع المفهوم الفكرى للكلمة فى الفكر العربى الإسـلامى، سـواء فـى تـناول الأشكال الإرهابية التى عرفها تراثنا متجلية فى أوسع صورها بحـركة الحـشاشين الإسماعيلـية أو فـى الـصراع الـذى شهدته أزمة الحكم السياسى خلال قـرون عديـدة ويـبدو أن هـذا المفهـوم لم يـتجاوز حـدوده حتـى فـى مؤلفات الفكر السياسى الإسـلامى المتأخـرة نـسبيًا، فأبـو عـبد الله بـن الأزرق فـى كتابه: (بدائع السلك فى طبائع المـِلـك)[2] . يعـد (الترهـيب) مـن أصـول إقامـة الشريعة فى الدولة ممثلة (بالخلافة التى هى نـيابة عـن الـشارع فـى حراسـة الدين وسياسة الدنيا به)[3]. ولكن (طاعة المحبة أفضل من طاعة الرغبة والرهبة)[4] ، كما أن ما كتبه (ابن خلدون) فى المقدمة المشهور والسابقة لكتاب (ابـن الأزرق) المذكـور بنـصف قـرن، لا يكـاد يخـرج عن إطار هذا المفهوم، إن لم يكن أكثر تطبيقًا للمفهوم ذاته[5].

---

(١) فؤاد افرام البستانى، المنجد، ط ١٥، بيروت ، ١٩٧٣، ص ٢٦٥.

(٢) بدائع السلك فى طبائع الملك، ج١، وظاهرة الإعلام، بغداد ١٩٧٧، ص ١٩٢ ـــ ١٩٥.

(٣) م . ن .

(٤) م . ن، ج٢ وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٧٨، ص ٣٩ وما بعدها.

(٥) انظر بخصوص و مفهوم الإرهاب ما يدعوه ابن خلدون بـــ (القهر والبطش والعقوبات والتنقيب عن عورات الناس) من قبل الملك، مقدمة ابن خلدون، دار البيان، بيروت، ص ١٨٨ وما بعدها.

مفهوم الإرهاب اصطلاحًا (التعريف)

بعد كل هذه الجولة، يبدو أن التساؤل بخصوص وضع تعريف اصطلاحى لابد أن يطرح نفسه فـى أكثر من موضع، لأن إطلاق صفة العجز فى معالجة الظاهرة السياسية لا يتناسب مطلقًا مـع العلمـية التى يعنى بوجودها فى التحليل السياسى، لذا فإن الخفاقات المنظمات الدولـية التـى حاولـت صـياغة تعـريف متفق عليه للإرهاب الدولى، ممثلة بمحاولات عصبة الأمـم المتحدة فى عام ١٩٣٧، ومنظمة الدول الأمريكية، عام ١٩٧١، والمجلس الأوربى عام ١٩٧٦ ورابطـة القانـون الـدولى عـام ١٩٨٠ واللجنة الخاصة بمعالجة مشكلة الإرهاب الدولى الـتابعة للأمـم المـتحدة يجـب ألا تجعلـنا أشـبه بالمتفـرج المحايـد، لأن العجز لا يكمن فى أدوات التحلـيل الـسياسي بقـدر تعلقـه بالطبـيعة المتعلقة بالظاهرة، من حيث كونها ظاهرة اجتماعية وسياسية معقدة ذات جذور ونتائج متعددة[١].

لـذا فـأن التعـريف الـشامل والتام للظاهرة، إنما هو ادعاء كبير لا يقدر مدى صعوبته إلا مـن يـدرك مـدى تـشعبه وارتدائـه الأشكال المختلفة والمتعددة والأهداف والمختلفة والمتناقضة والتـى يمكـنه أن يسعى إليها والمعانى التى يحتملها والتى ترتبط أبعادها ودلالالتها بالقضايا والدوافع والقيم التى يستحيل تعميمها وتوحيدها فى فهم موحد، ينطوى تحت إطار تعريف واحد.

إلا أن هـذا لا يمنع من القول أن هناك وبصورة عامة ثلاثة اتجاهات أو أساليب تناولت تعريف الظاهرة وهى [٢]:

١ ـ الأسلوب التعدادى الذى يعدد بصورة جامعة الأفعال التى يؤلف أى منها إرهابًا.

٢ ــ الأسـلوب العام أو المطلق أى صياغة التعريفات بعبارات عامة من دون ذكر الأفعال التى تؤلف إرهابًا.

---

(1) J.M.R. Deigado, The Nerwlogical Basic of Violence’s International Journal of Social Sciences, vol. Xxlll, 1971, pp 27 – 35.

(2) Otto kimeberg, “The Causes of Violence, op. Cit, p .106.

٣ ـ الأسلوب الثالث وهو القائم على صياغة التعريفات بعبارات عامة، إلا أنه يكون مصحوبًا بتعداد لأفعال إرهابية على سبيل التمثيل لا الحصر.

وهناك انتقادات عديدة لكل أسلوب من هذه الأساليب، لا موضع هنا لذكرها وليس هناك من مجال أو موضع أيضًا لذكر عشرات التعاريف المتعلق بها، ولكننا نميل هنا فى هذا الموضع إلى التعريف الذى وضعه الدكتور (أدونيس العكرة)[1] للظاهرة على الرغم من بعض الاعتراضات الجانبية عليه، ولكنه يظل أقربها إلى تفسير الظاهرة وتحديد أبعادها إذ عرف ظاهرة الإرهاب السياسى بأنها :

(منهج نزاع عنيف يرمى الفاعل بمقتضاه بواسطة الرهبة الناجمة عن العنف إلى تغليب رأيه السياسى أو إلى فرض سيطرته على المجتمع أو الدولة من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامة، أو من أجل تغييرها أو تدميرها).

---

(١) أدونيس العكرة، م . س. ذ، ص ٩٣.

الإرهاب والثورة الفرنسية

يـرتبط مفهـوم الإرهـاب فـى الفكـر الـسياسى المعاصر، إلى حد كبير بالفكر الفرنسى فقد تـبلورت عناصـر ظاهرة الإرهاب بعد قيام الثورة الفرنسية وما رافقها من أعمال عنف وتدمير وإشـاعة رعـب بغـية تـصفية أعـداء الثورة (بعد أن مهد مشرعو البرجوازية فى القرن الثامن عـشر لـشكلى العدمـية المعاصـرة، العدمـية الفـردية وعدمية الدولة) [1]. الأولى ممثلة بفلسفة المركيـز (دى سـاد) عن التمرد السلبى، والثانية جسدها(سان جوست) إذ دعا الأول إلى أن يباشـر الفـرد نـشر الإرهاب، بينما دعا الثانى إلى أن تطبقه الدولة، إذ يقول (سان جوست) فـى خطابـة إلى (Vilain D, A ubigny) عـام ١٧٩٢ الذى شهد (بداية حكم الإرهاب) فى فرنسا والممتدة بين (١٠/٨/١٧٩٢ ـ ٢٧/٧/١٧٩٤) معلنًا المبدأ الرئيس لحكم الإرهاب:

(إن الوطنـى هـو الإنـسان الـذى يـساند الجمهـورية مساندة عامة وكل من يعارضها فى التفاصـيل فهو خائن)[2] ومن ثم كانت (الحركة الجاكوبية) برئاسة (روبسبير) الذىكان يرى أن هـناك حلـين لا ثالـث لهمـا (إمـا الحـياة للجمهورية الثورية أو الموت) أنموذجًا لإرهاب الدولـة المـنظم إذ أعلـنت (الأيديولوجـية الجاكوبية) بوضوح أن أفرادها وحدهم على صواب ويجـب أن تنتـصر (حقيقتهـــم) وإلا انهارت الثورة والوطن[3] . إن كلمـــــة إرهاب بمعنى (Terrorisme) فـى الفرنسية، لم تتبلور فى مضمونها الحديث إلا فى القرن الثامن عشر، كمـا أسـلفنا، إذ ظهـرت ابـتداء مـن العام ١٧٩٤ إثر تطور أحداث الثورة الفرنسية وقد أبيد قادتهـا المتعاقـبون. وهـى مشتقة من كلمة رهبة (Terrier) ومن ثم المشتقة من أصل لاتينى هـو (Terreur Terser) ومعناهما جعله يرتعد ويرتجف وقد جاء تعريف الـ (Terreur) فـى قامـوس الأكاديمـية الفرنـسية عـام ١٦٩٤ بمـا يأتـى: (رعب، خوف شديد، اضطراب

---

(١) البير كامو، المتمرد، عبدالمنعم الحنفى، مطبعة دار المصرية، القاهرة، ص ١١٩.

(٢) نقلاً عن م. ن، ص ١١٦ ــ ١١٧.

(٣) نبيل هادى، أمراء الإرهاب فى الشرق الأوسط، شركة المطبوعات اللبنانية، دار الفارابى، بيروت ١٩٨٥، ص ٤١ ــ ٤٢.

عنيف تحدثه فى النفس صورة شر حاضر أو خطر قريب، ولكن ما الفرق بين المفهوم المتكامل للإرهاب (Terrorism) وبين الرهبة (Terreur) بعضهم يرى أنه يكمن فى التشديد على المضمون السيكولوجي والاجتماعى السياسى لهذه الكلمات والذى يبرز من الأسئلة التى تعطيه، ،ا قواميس أوروبية قديمة مثل قاموس (Furetiere) وقاموس (Richelet).. إلخ كالقول مثلاً (أرهب الأعداء) (نشر الرهبة فى كل الأمكنة)، فيما يرى بعضهم الآخر تحديدًا للمعانيين أكثر دقة: وهو أن كلمة الرهبة (Terreur) إن كانت تعنى فى السنوات الأولى للثورة الفرنسية، ردة الفعل التلقائية التى قامت بها الجماهير بدافع من حماستها الوطنية المتزمتة فأنها أصبحت تعنى وسيلة الحكم الذى يقوم على الإرهاب، مثلما تدل فى الوقت نفسه على المدة التاريخية التى مورست فيها الرهبة من خلال نظام الحكم هذا (حكم الإرهاب) والذى انتهى بسقوط (روبسبير) فى (٢٧ تموز ١٧٩٤) وتنفيذ حكم الإعدام به فى اليوم التالى، وقد كان لسقوط الحركة (الجاكوبية) أثره المباشر فى استعمال كلمة الرهبة (Terreur) فقد أدى هذا الحدث المهم فى تاريخ الثورة الفرنسية إلى نشوء كلمة إرهاب (Terreurism) التى أطلقها خصوم (روبسبير) على حكم الأجهزة الحكومية فى عهده، إذ اتهموه بجريمة ممارسى الإرهاب وحكموا عليه بالموت بوصفة إرهابيًا (Terrorist) وبهذه الصورة وفى هذه الظروف استعملت عبارة (Terrorist, Terrorisme) فى اللغة الفرنسية لأول مرة [1]. وتم الانتقال من عبارة (Torreur) إلى (Terrorism)، ومن هنا نرى اختلاف مضمون الكلمة فى اللغة العربية عن مفهومها فى اللغة الفرنسية التى عايشت تاريخ كلمة إرهاب، إذ كان لها مثلما كان لتاريخ فرنسا الحديث دور رئيس. فى تبلور المضمون السياسى لهذا المصطلح، وإذا حاولنا نقل هاتين المفردتين إلى العربية بالصورة المتعارف عليها معجميًا لوجدنا أن كلمة

(١) للمزيد عن حكم (الجاكوبيين الجدد) ومدة الإرهاب التي شهدها فرنسا بوصفها أنموذجًا لإرهاب الدولة وتأثير هذه الحركة في تاريخية المصطلح ودلالاته، انظر بشكل خاص، البير كامو، التمرد، م. س. ذ ص ٨٥ ــ ١١٥، و د. أدونيس العكرة، م . س. ذ، ص ٢٥ ــ ٣٩. ونبيل هادى، م . س. ذ، ص ٣٨ ، ٤٢، فضلاً عن مصادر أخرى تناولت الظاهرة أيضًا منها، د. صباح كريم شعبان، تحديد أفضل الوسائل والأساليب لمكافحة الإرهاب وصيانة المواطن العربى، مطبوع بالرونيو، بغداد من دون تاريخ، ص١ ــ ١١ ود. رشدى عليان، الخمينية والإرهاب، جامعة بغداد، كلية الشريعة، بحث غير منشور، بغداد، ص ٣ ــ ٥.

(Torreur) تـرادفها مفـردات (رعـب) أو (ذعـر) أو (رهـبة)،كما ترادفها اصطلاحيًا كلمة (إرهـاب) وذلـك للدلالـة على حكم الإرهاب الذى عرفته فرنسا. أما كلمة (Terrorisme) فترادفهـا فـى العـربية أيضًا كلمة (إرهاب) التى تدل على كلتا الحالتين: من دون أن يكون ثمـة مـا يميـز فـى المفردات الغربية بين خصوصيات كل حالة على حدة كما هو حاصل فى اللغـة الفرنـسية، أو فـى اللغات الأجنبية الأخرى، إذ أن كلاً منهما يدل على أنموذج معين من نماذج الإرهاب السياسى[1] .

وإذا كـان مفهـوم الإرهـاب الـذى سـاد فرنـسا قـد اسـتمر بهذا المعنى بضع عشرات من الـسنين فإن تغيرا مهما طرأ على معناه بفضل موقف سياسى جديد، ظل يختمر طوال القرن التاسـع، وهـو موقـف (الفوضـويين) و(العدمـيين الروس) من ظاهرة الإرهاب إذ كان تأثيرها كـبيرًا جـدًا فى معنى الإرهاب وفلسفة الإرهاب فى القرن التاسع عشر ومطلع العشرين، ولم يحـول اخـتلافهما المرحلـى فـى بلورة الموقف الجديد والمعنى الجديد الناتج عنه دون ذلك، لارتباطهما الإيديولوجى المشترك والتأثير المتبادل لكليهما فى مجال الأعمال والوقائع.

(١) د.أدونيس العكرة، م . س. ذ، ص ٢٩ ــ ٢٦.

الفوضوية والعدمية الروسية

إذا كانت تعاليم (روسو) عن الحكم والديمقراطية المجمع عليها، قد أوحت بظهور نظرية الدكتاتوريات فى فرنسا. والتى تبنتها (حكومة السلامة القومية) بين ١٧٩٣ ـ ١٧٩٤ فإن حكم الإرهاب الذى اتسمت به، لم يكن وليد التأملات الفلسفية، بل كان التطبيق هو وليد ظاهرة الإرهاب والعنف، أى أن النظرية عن العنف والإرهاب لم تسبق فى الزمن تطبيق العنف والإرهاب بل يمكن القول أنهما ـ النظرية والتطبيق ـ تطورًا معًا، إذ لم يكن اللجوء إلى الإرهاب فى بادئ الأمر إلا وسيلة لمواجهة أزمة عارضة ولكنها عميقة التأثير تسببت فى الثورة، والاجتياح العسكرى وحرب الـ (Vend, ee) وأخطر تضخم نقدى تعرضت له فرنسا، وشيئًا فشيئًا، كما ذكرنا، أخذ كل من (روبسبير وسان جوست) بالانتقال من فكرة الإرهاب ذى الأسباب العريضة التى تبنى الإرهاب القائم على أساس بنيانى إن صح التعبير[1]. أما فيما يتعلق بالحركة الفوضوية والعدميين الروس، فإن الأمر اختلف هذه المرة، إذ كان التنظير الفلسفى لسياسة استعمال العنف والإرهاب الفردى فى مواجهة السلطة الحاكمة قد سبق التطبيق العملى، بل يمكن القول أن الأعمال الإرهابية إنما كانت نتائج للتطبيق العملى للنظرية.

فالحركة الفوضوية التى تعود بأصولها الفكرية إلى الأفكار الاشتراكية التى سادت فى القرن التاسع عشر، عدت السلطة ممثلة بالدولة أداة للاستبداد فى شل نظام اجتماعى، وإن الملكية الفردية مبعث الظلم، ومن ثم نادت بإلغاء الملكية الفردية، والثورة على كل سلطة منظمة ولا سيما الدولة، إذ لا وجود للحرية الكاملة والعدالة المطلقة فى ظل نظام يقوم على فكرة الدولة والملكية الفردية، وقد ساد الحركة تياران رئيسان هما الأول، يقوده (ماكس ستيرنر) ويسمى بالفوضوية الفردية. والثانى يجمع بين نظريات المفكر الفرنسى (بيار

(١) موريس دوفرجيه، فى الدكتاتورية، ترجمة د. هشام متولى، ط٢، منشورات عويدا، بيروت ١٩٧٧، ص ١١٩ وما بعدها.

جوزيف بردون) والروسى (ميشال باكونين) ويسمى بالفوضوية المجتمعة إذ تغدو الفوضوية لديهما الهدم والبناء فى آن واحد أنها الفوضى العارمة والتفكك الكامل للمجتمع [1].

أما حركة العدميين الروس، وإن كانت تعود بأصولها الفكرية إلى الفوضوية بالأساس وإلى التيارات الاشتراكية الثورية، فإن تأثيرها كان كبيرًا فى الأعمال الإرهابية الفوضوية، ومع ستينيات القرن التاسع عشر بدأت الحركة بالظهور من خلال رفض كل فعل لا يصدر عن الذات، وكان (بيساريف) مشرع العدمية، الذى أنكر كل شىء لا تكون للذات فيه الكفاية معلنًا حرب العدميين على الفلسفة والفن بوصفها عبثًا وعلى الأخلاق الخاطئة والدين وحتى العادات والأخلاق الحسنة.. وهو فى ذلك يبنى نظرية إرهابية يقوم فيها الفكر بدور الإرهابى، ويلخص (بيساريف) جوهر الحركة العدمية التى اكتسبت اصطلاحها (العدمية) من رواية (تورجنيف) (الآباء والبنون) بقوله: (إننا لا نملك ما يمكن أن نفخر به سوى المعرفة المتأنية من الإدراك المجدب لإجداب كل ما هو موجود) وحين يسألونه: هل هذا هو ما يسميه العدمية يجيب (أجل هذا هو ما أسميه العدمية)[2].

وهكذا ركز العدميون الروس على استعمال الإرهاب وسيلة سياسية وأوضحوا موقفهم منه كلما كان لهم سبيل إلى ذلك، ففى برنامج المنظمة الإرهابية العدمية التى أطلقت على نفسها اسم (ناردنايافوليا) أو (إرادة الشعب) يمكننا الاطلاع على دور الإرهاب فى عملها السياسى إذ يقوم العمل الإرهابى على تصفية رجال الحكم الأكثر ضررًا منهم، وعلى دفاع الحركة ضد الجاسوسية وعلى معاقبة الأعمال العنيف والكثيفة التى يقوم بها الحكم والإرادة الحاكمة، إن هدف الإرهاب هو الحط من مكانة القوة والإرادة الحاكمة، إن هدف الإرهاب هو الحط من مكانة القوة الحكومية وإعطاء البرهان الثابت على إمكانية النضال ضد السلطة ثم إثارة الروح الثورية فى الشعب وتقوية إيمانه بانتصار القضية، وهدف الإرهاب أخيرًا تشكيل ملاكات قادرة ومدربة على النضال[3] .

---

(١) انظر بخصوص الفوضوية وقادتها (وليم جودون، برودون، تيسرنر، باكونين، وكروكتين، الموسوعة العربية الميسرة، ط ٢ دار الشعب ، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٢٦، وأيضًا د. أدونيس العكرة، م . س. ذ، ص ٣٩ ــ ٤٦.

(٢) انظر الموسوعة السوفيتية، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٥، ص ١٣٧ وما بعدها، وأيضًا القاموس السياسى باللغة الروسية، موسكو، ١٩٨٤، ص ١٠٤ وما بعدها.

(3) Rosand Gaucher. Lestcrroristes, Paris Albin Miched, 1993, P 25.

ولكن من أين جاء هذا التطور فى الفكر العدمى الروسى، بالتأكيد كانت لأفكار (باكوينين) و(بتشايف) الأثر الكبير فى ذلك، فالأول كان يرى (أن شهوة الدمار شهوة خالقة)، بينما دفع الثانى العدمية إلى أقصى حدودها حينما طالب العدميون (وباكوينين) نفسه بالتمرد والإرهاب عندما أعلن تأسيس (جميعة المنجل) واضعًا قانونها بنفسه داعيًا إلى استعمال العنف والكذب مقررًا المبدأ الرئيس للحركة وهو(أن الثوار يجب أن يدفعوا الحكومات إلى اتخاذ المزيد من الإجراءات التعسفية)[1] .

إن أهم ما أفرزته حركة العدميين الروس والحركة الفوضوية بخصوص ظاهرة الإرهاب متغيران أساسيان كان لهما الأثر الكبير ليس على الإرهاب بوصفه ظاهرة فردية وإنما بخصوص كونها أداة من أدوات السياسية الخارجية وهما [2]:

١ ـ إن الممارسة السياسية يجب أن تنطلق من مبدأ الإخراج المسرحى لتفيذ وإدارة أدوات الممارسة السياسية.

٢ ـ تفويض الخصم ليس من خلال المواجهة ولكن من خلال تحطيم القدرة الذاتية من الداخل قبل المنازلة.

ومن خلال ذلك نستنتج أن كلمة الإرهاب(Terrorism) قد حافظت على التركيبين الأساسيين، السيكولوجى والسياسى، إلا أن الفوضوية والعدمية قد غيرتا مضمون الركن الثانى وتوجيهاته بصورة جعلت تلك الكلمة تشتمل على عنصرين رئيسيين جديدين[3] .

(أ) أضحى الإرهاب نسقًا فى الصراع السياسى يعتمد على وسيلة الرعب بهدف تغيير نسق سياسى أو نظام سياسى.

(ب) إنه وسيلة يعتمدها المحكومون بصورة غير قانونية، ضد الحكام الذين يمارسونها بصورة قانونية، فالإرهاب بهذا المعنى إرهاب مضاد.

ولكن قبل أن نذهب بعيدًا نحو تحديد جوانب الظاهرة لابد لنا من التوقف عند تجربة أخرى أعطت للمفهوم تركيبه المعاصر المعروف وهى تجربة الإرهاب خلال الثورة الروسية ١٩١٧، إذ تميزت تجربة البلاشفة بممارسة الإرهاب ضد السلطة قبل الثورة بممارسة

(1) Eacychopedix Britancia, inc. Checago, U.S.A 1985, pp, 817_ 815.

(٢) د . حامد ربيع، الإرهاب الدولى ونظرية السياسة الخارجية ، م. س. ذ، ص ٤٣.

(٣) د. أدونيس العكرة م . س. ذ، ص ٤٨ وما بعدها.

إرهـاب الدولـة غـداة نجاحهـا فـيما بعـد، وهـذا مـا اعطـى (إرهـاب الأفـراد والمجموعات الـسياسية) معنـى سياسـيًا جديدًا غير الذى قدمته الفوضوية والعدمية الروسية ومن المعروف أن محاولـة اغتـيال (ليـنين) قـد اسـتثارت إلى أقـصى مدى ظاهرة العنف البلشفى، إلا أنـها طـرحت فكـرة جديدة فى هذا المضمار وهى تصفية الخصوم، قبل أن تتاح لهم فرصة توجيه الـضربة للـنظام. وكـذلك الأمـر فيما يخص إرهاب الدولة مما كان له الأثر الكبير فى التأثير فـى الإرهـاب فـى القـرن العـشرين مـن خلال الأصول الأيديولوجية ممثلة بالتجربة الروسية ومفكـريها وقادتهـا، إذ أصـبح الإرهـاب وسيلة مرتبطة بالعنف الأيديولوجى الثورى المنظم، والمـوجه ضـد العـدو الأيديولوجى بوصفة مجرمًا أخلاقيًا وتاريخيًا وأيديولوجيًا، وعلى الرغم مـن أن الإرهـاب يكـاد يكون من طبيعة واحدة، قبل تولى السلطة وبعدها وأن الاختلاف فى الـشكل هو سمة بارزة من سمات الاختلاف، يمكن القول أن ذرائع ممارسة النشاط الإرهابى لإسقاط نظام تختلف عن ذرائع الدولة فى ممارسة الإرهاب المنظم للحفاظ على النظام [1].

وفـى الغالب أن البشرية تنظر إلى عنف الدولة بارتياب أكثر مما تنظر إلى عنف الجماعات الـسياسية المتـصارعة مـع الـنظام، لأن (الحـق) والعمـل ضـد (الظلـم) وغيرهمـا من الشعارات والمقولات يقرران إلى مدى بعيد مضمون الإرهاب وجديته، ومن ثم يؤثران فى شكله.

وخلاصـة لكـل مـا تقدم نجد أن هناك صنفين من الإرهاب لكل منهما خصائصه وأدواته بوصفه ظاهرة مستقلة بحد ذاتها وهما :

١ ـ إرهاب الدولة.

٢ ـ إرهاب الأفراد والمجموعات السياسية.

ومـن هـنا نـنطلق فـى تعـيين مرتكـزات الإرهـاب الـسياسى وصولاً إلى تحديد متغيرات الظاهـرة ومن ثم استعمالها فى العمل السياسى والحرب النفسية بشكل خاص، فما هى هذه المرتكزات؟

---

(١) للمزيد عن الأصول الفكرية للظاهرة فى التجربة الروسية، انظر على سبيل المثال: لينين، ما العمل، دار الـتقدم، موسـكو، ١٩٦٨، ص ٢٢٦ ومـا بعدها، إذ فى الوقت الذى يبارك لينين (محاولة الاستيلاء على السلطة التى حضرتها دعاية تكاتشيف، والتى تحققت عن طريق الإرهاب (المخيف) والذى كان يخيف فعلاً، وكانت محاولة جليلة، فإن الإرهاب (التهيجى) الذى يدعو إليه تكاتشيف الـصغير هـو مـضحك لا أكثر ولا أقل..) وفيما يخص الموقف من الإرهاب ممثلاً بـ (لينين وتروتسكى وستالين) انظر أدونيس العكرة، م . س. ذ، ص ٤٦ ـ ٦٠.

خصائص الإرهاب السياسى

كأى ظاهرة سياسية لها تميزها واستقلالها من حيث المتغيرات المكونة لها، فإن ثمة ثلاث خصائص أو متغيرات تتسق فى ظاهرة الإرهاب هى [1]:

١ ـ العنف المادى أو المعنوى:

سمة العنف سواء أكان ماديًا أم معنويًا ونقصد هنا العنف السياسى من حيث كونه السمة التى تغطى مفهوم الإرهاب وتكون أهم عناصره على أساس أن العنف هو عمل أو قوة هائجة أو شعور غالبًا ما يكون هدامًا وتدخل فى مفهومه ممارسة أية قوة بدنية من أجل إيقاع الأذى أو إساءة الاستعمال فإن العنف بهذا المفهوم يختلط بالإرهاب إلى حد كبير بحيث يغدو العنف بحد ذاته أحيانًا إرهابًا عند الكثيرين، ولكى نحدد مفهوم الإرهاب وعلاقته بمفهوم العنف فلابد أن نحدد العنف بوصفه مفهومًا، فما هو؟

العنف المادى يقصد به استعمال القوة بغية إلحاق الأذى أو الضرر بالأشخاص أو الممتلكات، وتكون أدواته الأسلحة والمتفجرات وكل آلة أو وسيلة يمكن أن توقع الألم الشديد، أو تؤدى إلى الهلاك أو التدمير وما يتبع ذلك من ضحايا سواء أكانوا قتلى أم جرحى أو خسائر كبيرة فى الأموال والممتلكات.

أما العنف المعنوى فيقصد به التهديد باستعمال القوة ما لم يستجاب لأهداف القائمين بالعمل الإرهابى ومن قبيل احتجاز الرهائن واختطاف الطائرات والأشخاص.

وفى ضوء ذلك يتضح الفرق بين الإرهاب ومفهوم العنف، فالعنف يحدث لمجرد العنف ماديًا، بينما يكون الإرهاب ماديًا أو معنويًا، كما أن العنف ظاهرة عامة ولكن الإرهاب ظاهرة خاصة وكذلك العنف وسيلة أو أداة، ولكن الإرهاب ناتج للعنف. ولعله من المناسب

---

(١) انظـــر نعمة حسين على، مشكلة الإرهاب الدولى، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، رسالة ماجـــستير غير منشورة، بغداد ١٨٩٤، ص ٢٣ وما بعدها، وأيضًا ل. أ. موجود ريان، الإرهاب أكاذيـــب وحقائـــق، ترجمة عبد الرحمن المقداد، ماجد بطح، دار دمشق للطباعة و النشر، دمشق ١٩٨٦، ص ٤١ـــ ٨. وكذلك صباح كرم شعبان، م . س. ذ، ص ١١ ـــ ١٤.

هنا الإشارة إلى أن العنف قد يكون سمة القوى والجماعات والشخصيات العنيفة، أى السمة المنطوية عليها طبيعتها، والتى تعبر عنها فى الواقع ممارستها وأنشطتها، فى حين يكون الإرهاب ـ عادة ـ وسيلة مدروسة من أجل تحقيق غرض معين.

٢ ـ عامل القهر:

يتحدد باستعمال العنف أو التهديد باستعماله ويكون من الهول والشدة بحيث لا يمكن مقاومته ولا يسع الطرف الآخر أمام هذا القهر المتولد من العنف، إلى الاستجابة أو الرضوخ أو التسليم والرضا وتحمل النتائج التى تترتب على ذلك، إذا لم يستجب، وهو ما يعبر عنه بعنصر الترهيب أو إثارة الخوف والفزع.

٣ ـ الهدف المقصود :

أى عمل عنيف، يرتبط بأهدافه من حيث كونه فرديًا يحقق مصالح خاصة، أو نشاطًا سياسيًا يهدف إلى تحقيق أهداف سياسية معينة، ومن دون الهدف السياسى يبقى العنف مجرد وقائع وأحداث يمكن تصنيفها تحت أبواب وموضوعات بعيدة كل البعد عن ظاهرة الإرهاب السياسى. وهذه الميزة أو الخاصية هى التى أعطت الإرهاب هذا الغموض والتشتت والصعوبة فى التحديد والتعريف وذلك لأن الأهداف والغايات تظل متعددة ومختلفة باختلاف نظرة القائمين بالعمل والساعين إلى تحقيقه.

وهناك عامل آخر يرتبط بظاهرة الإرهاب ويعطيها تمييزًا آخر من أعمال العنف المجرد، وهو أن الإرهاب بعكس العنف، لا يهدف إلى إبادة الخصم وإنما يسعى إلى الترهيب والتخويف بالدرجة الأولى فهو ليس معركة بالمعنى الحربى للكلمة، وإنما هو قدرة متعددة الاتجاهات ومتنوعة الأسلحة، ومن بين هذه الأسلحة السلاح الفعال والمخيف الذى يتميز به الإرهاب وهو السلاح السيكولوجى الذى يشكل جزءًا أساسيًا من هذه الظاهرة، لا ينفصل عنها.

الإرهاب وأدوات السياسة الخارجية

قد يبدو استخدام الإرهاب أداة من أدوات السياسة الخارجية من أكثر الأمور غرابة ودهشة، بعد استعراضنا للمفهوم واستعمال الظاهرة تاريخيًا فعلاً سياسيًا سواء أكان على مستوى الدولة أم الأفراد، فالظاهرة كما بينا لا صلة لها بالتعامل مع الدول كما أن التقاليد السياسية قد جعلت من حق الدولة الالتجاء إلى العنف باسم الحرب والصراع المسلح ووضعت لذلك قواعده أيضًا، فكيف أضحى الإرهاب أداة من أدوات السياسة الخارجية.. قد يبدو هذا التساؤل منطقيًا، ولكن الواقع الذى نعيشه، والتطور الذى يشهده عالمنا المعاصر منذ الحرب الكونية الثانية، قد فجر مفهوم هذا المنطق فإذا بالظاهرة تصير أحد العناصر الأساسية فى ديناميات التعامل الدولى المعاصر، وفى الحقيقة أنه تكمن وراء هذه الظاهرة متغيرات عدة استطاعت أن تفرض وجودها على التعامل الدولى منذ الحرب العالمية الثانية، ومن ثم أن تفسح مجالاً واسعًا للإرهاب ليأخذ دوره فى نطاق التعامل بين أفراد الأسرة الدولية وهذه المتغيرات هى(١) .

أولاً: سيادة مفهوم (استراتيجية التوتر) فى التعامل بين القوتين الأعظم إبان الحرب الباردة، والتى يقصد بها العمل على خلق حالة من القلق والإضراب وعدم وضوح الرؤية من حيث الأهداف من جانب كل من الطرفين فى تعامله مع الطرف الآخر، فاستراتيجية التوتر لم تشجع الإرهاب فقط وإنما تجعل منه أداتها الحقيقية.

ثانيًا: الترابط بين السلوك الدولى والتعامل الداخلى، إذ أدى التطور الرهيب فى نظرية السياسة الخارجية إلى اختفاء كثير من المفاهيم التقليدية للسياسة الخارجية السائدة قبل الحرب العالمية الثانية، فلم تعد أدوات هذه السياسة منحصرة فى العمل الدبلوماسى والقتال العسكرى وإنما أضحت على الأقل سبعة عناصر كل منها يكمل وظيفة الأداة الأخرى، ويأتى فى مقدمتها الاتصال والدعاية والحرب النفسية وتشجيع القلاقل المحلية والتدخل العسكرى فضلا عن الحوار والتفاوض المتعدد الأطراف كما أن التداخل بين الصراع القومى

(١) د. حامد ربيع، الإرهاب الدولى ونظرية السياسة الخارجية، م . س. ذ، ص ٤٥ ــ ٤٦.

مـن جانـب والـصراع الطبقى والطائفى من جانب آخر خلق إطارًا مختلفًا للتعامل، إذ ترتب علـى هـذا التداخل سهولة التعامل الخارجى مع القوى المحلية وضد المصالح القومية وبذلك أضحى الإرهاب أداة مكملة لجميع أدوات تنفيذ السياسة الخارجية.

ثالـثًا : سـيطرة مفهـوم الـصراع الأيديولوجـى علـى نظرية الصراع الدولى فلم يعد صراعًا تحكمـه الظـروف الـسياسية التـى تـتحكم بهـذه المـتغيرات الاقتـصادية وطبيعة الصراع بين الـدول، وإنمـا أخـذ المفهـوم الأيديولوجـى ينشر ظلاله على ساحة الصراع، والحرب الباردة وإظهار المعسكر الغربى العداء للشيوعية أنموذج صارخ لهذه الحقيقة.

كـل هـذه المـتغيرات قـادت بـشكل وأخر إلى أن تصبح الصراعات والنزاعات القائمة بي دولـتين، تـتم فـى أكثـر الأحـيان بـشكل سرى مـن خلال استعمال الإرهاب وسيلة لحرب مـصغرة أو بديلـة، أقل كلفة من الحرب التقليدية الباهظة التكاليف وغير المضمونة النتائج، ومحـاولات حكـومة جـنوب أفريقيا ضد الحكومات الأفريقية، مثلما جرى فى (سيشل) عام ١٩٨٠ [١]. تقـدم لـنا أقـرب الـنماذج إلى ذلـك، لـذلك فليس غريبًا أن يتم الإرهاب المعاصر، بـأهم سماتـه المـرتبطة بـذلك، وهـو أنـه يكـاد ينفذ دائمًا على أرض الغير ويمول من مصادر أجنبية.

ولـو عدنا إلى جذور استعمال الإرهاب فى السياسة الخارجية فسنجد أكثر النماذج بروزًا أمامنا ما فعلته النازية أبان الحرب العالمية الثانية ثم الحركة الصهيونية بعد الحرب، ففيما يـتعلق بالـنازية نجـد أن (هتلـر) وفى مرحلة مبكرة كان يتبنى الإرهاب بوصفة أداة سياسية (حيث إن الإرهاب لا يسحقه إلا الإرهاب وأن فكرتنا لن تنشر ما لم تدعهما القوة وتوفر لها الحمايـة اللازمـة، فـإن ربـة الـسلم لا تقوى على الظهور ما لم يأخذ بيدها إله الحرب) كما يقـول فـى كـتابه (كفاحـى)[٢]. ومـن ثم تجلت هذه السياسة بتأسيس (إدارة شؤون السياسة الخارجـية) (مكـتب فولكـسد وينـشى المركزى) عام ١٩٣٦ وكان قد سمى فى البداية مكتب (كورسـيل) ثـم بـدلت التـسمية عـام ١٩٣٩ إذ قـادت هـذه الإدارة الأعمـال التخـريبية التى مهـدت للهجـوم الـنازى علـى تـشيكوسلوفاكيا وبولونيا من خلال الأقليات الألمانية والطابور الخـامس، وكانـت مهمـته الأساسـية هـى تفكـيك مؤخـرة الـدول المحاربـة لألمانـيا وإحباط

(١) ل . أ . موجودريان، الإرهاب أكاذيب وحقائق ، م س. ذ، ص ٤٣.

(٢) أدولف هتلر، كفاحى، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، من دون تاريخ ص ١٦٩.

المحاولات التى تمت فى أوروبا بخصوص ائتلاف البلقان والشمال، والتى جمعت بين دول أوربا الشرقية وأوربا الوسطى عام ١٩٣٣ـ ١٩٣٤ (١).

وفى صدد الكيان الصهيونى نقول إن نشاط الحركة الصهيونية فى فلسطين تمثل من خلال عدد من المنظمات الإرهابية الصهيونية (كالها غانا) و(غوديم) و(الأرغن)، وتعد تنظيرات (مناحيم بيغن) و(جابوتنسكى) بشكل خاص الإطار العام الذى ينطلق من عمق الأيديولوجيات الصهيونية، وقد وصل الأمر بالصهاينة إلى إطلاق تسمية (النبى المسلح) على (جابوتنسكى) بوصفه منظر الإرهاب الصهيونى وأكثر عناصره تطرفًا وقد اعتمدت المنظمات الإرهابية الصهيونية أساليب التشريد والاغتيال والقتل الجماعى لتحقيق أهدافها الاستيطانية وكان أبرز أعمال الإرهاب الصهيونى خلال الأربعينيات قتل (الكونت برنادوت) الوسيط الدولى للأمم المتحدة، وتفجير فندق (الملك داود) فى القدس، وتوجت هذه الأعمال بارتكاب مجزرة (دير ياسين) فى ٩ نيسان ١٩٤٨.

ومنذ الخمسينيات وحتى الآن اضطلعت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية،وجهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد) بتنفيذ سياسة الإرهاب الصهيونى وكانت أبرز عمليات الموسد عمليات الإرهاب ضد العلماء الألمان العاملين فى أحد المشاريع السرية فى مصر، إذ بدأت مع نهاية عام ١٩٦٢ الرسائل تنفجر فى أيدى المهندسين رفيعى المستوى فى مشروع (٣٣٣)، ثم اختفى الدكتور (Dr. Kurg) أحد المنظمين الرئيسيين لمؤسسة المحركات النفاثة، وعندئذ شمل الخوف على حياتهم جميع أولئك المشتغلين فى المشاريع المصرية السرية، ومن ثم أثرت الجهود الإسرائيلية فى سحب هؤلاء العلماء من مصر إبان حكم الرئيس جمال عبد الناصر (٢).

ثم جاءت عمليات الإرهاب الموجهة نحو العراق وبشكل خاص ضد مفاعل تموز النووى والمخصص لأغراض سلمية،والتى بدأها (الموساد) بتفجيرات المفاعلات فى فرنسا عام ١٩٧٩، ثم قتل العالم المصرى (يحيى المشد) فى حزيران ١٩٨٠، ثم القيام بهجمات ضد

---

(١) ل . أ . موجودريان، م . س، ذ، ص ٤٨ــ ٤٩.

(٢) أ . مستر م. هانـدل ـ ي بارجوزيف، دقيقتان فوق بغداد، (قصة الغارة على المفاعل الذرى العراقى ترجمة نديم الجيرودى، أحمد غسان سباس دار قتيبة للطباعة والنشروالتوزيع، دمشق، ١٩٨٥، ص ٤٣ ــ ٤٤.

شـركة (Sniutechint) ومديـرها فى روما، وتلت الهجمات هذه رسائل تهديد أرسلت إلى علمـاء فـى فرنـسا وإيطاليا كانت لهم إسهاماتهم فى حزيران ١٩٨١ مستغلة ظروف الحرب الدفاعية التى كان العراق يخوضها ضد إيران.

إن مـوجة الإرهاب التى اجتاحت العالم خلال عقد السبعينيات والثمانينيات إنما تفصح عـن مـدى تحكـم الظاهـرة فـى مجـريات الـتعامل السياسى داخليًا وخارجيًا بحيث لم يعد يقتـصر علـى نظـام بعيـنه وإنما غدت ظاهرة شاملة وليس أدل على ذلك من أن المدة الواقعة بـين عامـى (١٩٦٨ ـ ١٩٧٩) قـد شـهدت كثـرة مـن الحوادث الإرهابية فى مختلف أنحاء العالم بلغت (٣٣٣٦) حادثة، كانت موزعة جغرافيًا على النحو الآتى[1] :

- فى أوربا الغربية (١٢٦٧).
- فى أمريكا الشمالية (٨٦١).
- فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (٥٣١).
- فى أمريكا الجنوبية (٣١٨).
- فى آسيا (١٩٧).
- فى أوربا الشرقية (١٥).
- فى البحار والمحيطات (١٩).
- أربعة حوداث فى مناطق مختلفة من العالم.

وقـد أسـفرت الأعمـال الإرهابـية هذه عن خسائر فى الأرواح والممتلكات ولم تقتصر على الأشـخاص أو الجهـات التـى اسـتهدفتها، إذ بلغ عدد القتلى (٢٦٨٩) فردًا بينما بلغ عدد الجرحـى (٥٩٥٥) شخـصًا. وقـد اسـتمرت هـذه العملـيات بأنماطهـا المخـتلفة فى السنوات التالـية ولكـن حجـم الخـسائر البـشرية ازداد عـام ١٩٨١ بشكل كبير قياسًا بحجم الخسائر الماديـة إذ كان (٨٠٪) من هذه الأفعال موجهًا إلى الأشخاص، بينما كان (٥٠٪) فقط موجـهًا إلـيهم عام ١٩٧٠، وبلغ عدد الأشخاص الذين احتجزوا بين عامى (١٩٦٨ ـ ١٩٨١) رهائن (٨٠٨٨) شخصًا.

(1)Smith H. Thomas, Terrorism and political Associations, Annais of the American Academy of plotical and social Sciences. 463 (1982).

وهكـذا أضـحت ظاهـرة الإرهـاب فـى النـصف الثانـى مـن القرن العشرين أكثر الظواهر خطـورة علـى الـسلم والأمـن الإقليمى، وعاملاً خطيرًا فى نشوء الكثير من النزاعات بل ومن الصدمات المسلحة بين الدول.

وهـنا لابـد مـن أن نشير إلى أن هذا الاستعمال يتم من خلال متغيرين أساسيين يرتبطان بطبيعة الظاهرة نفسها، وهما:

١ ـ مـن حـيث كـون الإرهاب أداة من أدوات السياسة الخارجية، فإنه يستعمل بوصفة إجـراء تكتيكـيًا ضمن مخطط سياسى وعسكرى شامل، فهو يحتوى على عناصر استراتيجية فـى النـضال الـسياسى إنـه (الـسبيل الهجومـى الـذى يقضى بفتح معارك جانبية بسيطة أو باهـرة ضـد العدو، فيرغم هذا الأخير على الدفاع أو الدخول فى استنزاف. والسبيل الدفاعى الذى يتيح التمسك بالمواقع والاستعداد لمعارك أخرى. كما يتيح إبقاء جو الرعب مخيمًا على العدو، فيبقى فى حالة انتظار لعمليات أخرى فى كل لحظة) [1].

٢ ـ بقـدر كون الإرهاب أداة مكملة لأدوات السياسة الخارجية ، فإنه يصبح أداة رئيسة فـى الـوقت نفـسه، مـن خـلال كـونه أسـلوبًا مهمًـا مـن أساليب الحرب النفسية إذ ترتبط سيكولوجية هذا الأسلوب (بالدعاية من خلال الحركة) بشكل خاص، وبذلك يتجلى الفعل الدعائى للإرهاب من خلال هذا النوع من الاتصال الدعائى وهذا ما سنبحثه بعد قليل.

ومـن المهـم ـ هـنا ـ علـى تأكـيد أن صـلة الإرهـاب بالسياسة الخارجية توضح مصداقية العلاقـة بـين الـسياسة الخارجـية والـسياسة الداخلـية وتجـسيد لحقيقـتها الأيديولوجـية والاقتصادية والاجتماعية، ولنوع نشأتها، والأهداف المقترنة بذلك.

ومـن هنا فإن تنامى الإرهاب وأجهزته هو الموضوع الملموس لطموحات وأطماع أى منظمة أو جهـة، وهـذه الطمـوحات والأطمـاع منـصوص علـيها فـى الأهـداف والشعارات والبرامج العلنية والسرية.

وفـى الواقـع، إن انتهاء الحرب العالمية الأولى، وظهور المعسكرات الدولية والمجموعات الاقتصادية والسياسية الكبرى، كان فاتحة لصراعات من نوع جديد.

---

(١) نبيل هادى، أمراء الإرهاب فى الشرق الأوسط ، م س. ذ ص ٤٥ ـــ ٤٦.

وكـان لقـيام (الـشيوعية) و(الـنازية) دور انعطافى فى تصعيد عملية الصراع الدولى الذى أدت فـيه المخابـرات دورًا مهمًـا، إلى الحـد الذى أصبحت فيه حرب المخابرات سمة عقود زمنـية طـويلة، فكـان الإرهـاب عبر عمليات النشاط المخابراتى الدولى قد دخل عهدًا جديدًا استفادت مـنه تجـارب العمـل الإرهابـى اللاحقـة، حتـى فـى المـناطق الجغـرافية خـارج المعـسكرين الشرقى والغربى إبان الحرب الباردة واستمر حتى بعد انتهاء هذه الحرب رسميًا على الأقل.

الحرب النفسية ومتغير الإرهاب

مفهوم الإرهاب كما تبين، وعلاقته بأدوات السياسة الخارجية من أن كون الإرهاب أداة مكملة وفاعلة على جميع مستويات تنفيذ السياسة الخارجية، يرتبط بتغير هام لابد من التوقف عنده، وهو أن المفهوم التنسيقى لهذه الأداة بين أدوات السياسة الخارجية، يفترض وظائف عدة فى آن واحد هى[1] :

١ـ قدرة الإرهاب على إضعاف الأداة الدبلوماسية إن لم يكن شل فاعليتها.

٢ ـ إنه يعد أداة أساسية فى عملية خلق البلبلة والاضطراب فى الطبعة الحاكمة المتعاملة مع العالم الخارجى.

٣ ـ وكذلك هو أداة حاسمة فى خلق الاضطراب فى التعامل الاقتصادى اليومى.

٤ ـ خطورته بوصفة أداة فى عملية خلق القلاقل المحلية والإعداد لجيش مدنى مناوئى للتماسك القومى.

٥ ـ تعلقه بمتغيرات الأمن القومى من حيث قدرته فى الإعداد لتحطيم الدفاع القومى.

وهذه الوظائف بمجملها تتوزع على أكثر من دائرة تسير فى خطوطها عملية إدارة وظائف الدولة سواء أكانت هذه الوظائف ممثلة (بالأهداف البنائية أو الوظائف الجزائية) الأولى محورها الحقيقى خلق العلاقة المعنوية والفكرية الثابتة بين الفرد والدولة، والثانية تدور حول حماية الذات، ولكن ما يهمنا هنا وظيفتان أساسيتان تتعلقان بأدائهما وظيفة الحرب النفسية وموقعهامن وظائف الدولة هما:

١ ـ الوظيفة الاتصالية للدولة والتى تنتمى إلى الوظائف البنائية وينبع منها ويتوزع عنها خمس وظائف متداخلة ولكنها مميزة:

(أ) ترسيب نظام القيم الجماعية.

(ب) تدعيم مفهوم التماسك السياسى.

---

(١) د. حامد ربيع، الإرهاب الدولى، م . س. ذ، ص ٤٨.

(جـ) خلق الرضا القومى.

(د) الوظيفة الدعائية.

(هـ) الاستعداد للحرب النفسية العكسية.

٢ ـ الوظيفة القتالية وتنبع من حق الدولة فى رفع السلاح دفاعًا عن بقائها وعن حقوقها المشروعة.

وهنا نلاحظ وبشكل مميز من خلال هاتين الوظيفتين، أن الوظيفة القتالية لابد أن تقودنا فى أحد أبعادها إلى الحرب النفسية التى تخلق بدورها الترابط مع الوظيفة الاتصالية فى أكثر من بعد من أبعادها المتعددة إذ تغدو الحرب النفسية نوعًا من القتال الذى يخضع لجميع القواعد التى تسيطر على مفهوم الصراع القومى. ولكن من حيث كونها عملية تطويع للعناصر المعنوية وإعادة تشكيلها بما يتوافق مع مصالح من يشن تلك الحرب النفسية وبعبارة أخرى هى عملية تطويع للإرادة القومية من منطلق التعامل مع العنصر االمعنوى للوجود السياسى [1].

ولكن على أى تقنيات يرتكز فعل الإرهاب بوصفة متغيرًا من متغيرات الحرب النفسية، الفكر المعاصر يقف عند ظاهرة اتصالية مهمة يشير إليها من دون أن يعطيها شكلها المستقل، فى الأقل، ونقصد ارتكاز الحرب النفسية على اتصالية (الدعاية من خلال الحركة) والتى تعطى للإرهاب أبعاده الاتصالية أولاً وتأثيراته السيكولوجية ثانيًا فى المستوى الاتصالى من جهة والصراع الجسدى من جهة أخرى.

---

(١) بخصوص الوظيفة الاتصالية للدولة وموقع الحرب النفسية منها، انظر على سبيل المثال، د. حامد ربيع (إعادة كتابة التاريخ ونظرية الحرب النفسية م . س. ذ، ص ١ ــ٨) وأيضًا للمؤلف نفسه مقدمة فى العلوم السلوكية، م . س. ذ، ص ٢٧١ ــ ٢٧٤.

الفعل الإرهابى والدعاية من خلال الحركة
(Propaganda par'Lactio)

استعمل الفرنسى (بول بروس) الاصطلاح لأول مرة من خلال تعليقه على إعلان لاثنين من الفوضويين الإيطاليين وهما (مالا تستا) و(كافييروا) عام ١٨٧٦ وخلاصة مفهومها:

١ ـ إن الدعاية مجردة لا قيمة لها، إن لم تكن تقترن بأفعال ووقائع تعمل على تثبيت وتعميق الدلالة، فإذا كانت الدعاية البرجوازية قادرة على أن تزيل أثر الدعاية المجردة، فإنها لا تستطيع أن تمحو دلالة الواقعة.

٢ ـ إن الدعاية من خلال الحركة هى وحدها القادرة على إيقاظ ضمير الشعب ضد الظالم، فواقعة واحدة ضخمة تخدم الدعاية أكثر من آلاف المنشورات والخطب.

هذا المفهوم لم يقتصر على أن يكون تعبيرًا فكريًا، بل درس بعناية فى المؤتمر الفوضوى الذى عقد فى لندن فى تموز ١٨٨١[١] . وقد تجسد الأنموذج الأول لهذا النوع من الاتصال الدعائى ووصل قمته فى فرنسا بعد ذلك، من خلال تصرفات (رافاشول وفالان وأنرى) التى مهدت لمقتل الرئيس الفرنسى (دى كارنو) فيما شهد العالم فى أواخر القرن التاسع عشر موجة عارمة من الإرهاب، إذ جرت فى سنة ١٨٩٢ وحدها أكثر من ألف حادثة تفجير بالديناميت فى أوربا، ونحو (٥٠٠) نوع من هذا الحادث فى أمريكا، وفى سنة ١٨٩٨ أغتيلت الإمبراطورة النمساوية (اليزابيث) وجاء تأسيس (منظمة النضال) داخل الحزب الاشتراكى الثورى الروسى عام ١٩٠٣، ليعطى دفعة أخرى لهذا النوع من العمل الدعائى، إذ شهد عام ١٩٠٥، قمة ثلاثين عامًا من الإرهاب فى روسيا، ممثلاً باغتيال (سازوانوف) (لبليف) واغتيال (كاليايف) (للدوق سيرجى)[٢] .

---

(١) د. حامد ربيع، الإرهاب الدولى ، م . س. ذ، ص ٤٤.

(٢) انظر الموسوعة السوفيتية، باللغة الروسية ، موسكو، ١٩٧٥، ص ١٤٠ ــ ١٤٢.

وبعـد ثـورة أكتوبر ١٩١٧، جاء (لينين) ليعطى بعدًا جديدًا لهذا النوع من الدعاية التى أطلـق علـيها (دعايـة العمـل) بوصـفها ظاهرة نبعت من جذور ظاهرة الإرهاب الذى شهدته روسـيا وأوربـا فـى نهايـة القرن الماضى وبداية القرن الحالى، ولكن ما كان ينادى به، (كان يـتعارض مـع إرهـاب العدميين الروس والحركة الفوضوية بعدّة إرهابًا فرديًا)، هو (الإرهاب الجمـاهيرى) الـذى دعـا إلـيه صراحة إذ طرحنا مهمة (تسليح الجماهير وتحضير الانتفاضة الـشعبية، مـن دون أن ننكـر إطلاقًـا، من حيث المبدأ، العنف والإرهاب طالبنا بالعمل على تحـضير أشـكال للعـنف ترمـى إلى اشـتراك الجمـاهير مباشرة وتؤمن هذا الاشتراك ونحن لا نغمـض عيونـنا على صعوبة هذه المهمة ولكننا سنعمل بثبات وعناد على تنفيذها). كما يقول لينـين فى إحدى مقالاته المنشورة[1] . ويتلخص فى ضوء ذلك مفهوم (لينين) (لدعاية العمل) فى التقرير المقدم للمؤتمر الثامن للحزب الشيوعى عام ١٩١٩ بقوله [2]:

(إن كـنا فـى ما مضى قد قمنا بالدعاية بواسطة حقائق عامة فإننا نقوم بالدعاية بواسطة العمـل،و تلـك أيـضًا دعايـة، إلا أنهـا بواسـطة العمـل هـذه المرة، ولكن ليس بمعنى القيام بأعمـال منفـردة يـؤديها نفـر مـن الأدعـياء المغـرورين الأمر الذى سخرنا منه كثيرًا فى عـهد الفوضـويين والاشـتراكية القديمـة، إن مرسـومنا هـو نداء، ولكنه بغير مفهوم الأمس: (أيـها العمـال، هـبوا، واقلبوا البرجوازية)، كلا، إنه نداء إلى الجماهير، نداء إلى العمل التطبيقى، أن المراسيم، إنما هى تعليمات تدعو إلى القيام بعمل تطبيقى جماهيرى).

هـذان المفهـومان لم يبقـيا فـى إطارهمـا التاريخـى: إذ قـدر لهمـا أن يبرزا بوضوح على سـاحة الـتعامل الـدولى، عقـب الخمسينيات، بدأهما الاتحاد السوفيتى ولا سيما بعد إطلاق القمر الفضائى (سبوتنيك) وسرعان ما تلقفته السياسة الخارجية الأمريكية ليصير أحد أعمدة سياسـتها الإعلامـية ويمكن القول إنهما أصبحا اليوم أهم أدوات التعامل النفسي الدولى سواء علـى مـستوى القـوى الكبرى أو غيرهما بما فى ذلك التعامل النفسى الصهيونى، والذى يعد تعـاملاً لـه خـصوصياته انطلاقًا من الأيديولوجية الصهيونية نفسها، ومتغيرات الأمن القومى

---

(١) ليـــنين، ضد الجمود العقائدى والانعزالية فى الحركة العمالية، دار التقدم، موسكو بلا تاريخ، ص ٦٠ ــ ٦١.

(٢) عـــن مفهوم دعاية العمل، انظر لينين، التحالف بين العمال والفلاحين، دار التقدم، موسكو، بلا تاريخ، ص ٣٥٦ ــ ٣٥٧.

الإسـرائيلى وفقًـا لـتطوراته عـبر مـراحله المحـددة. إلا أن الخـبرة التـى قدمـتها الحـركة الصهيونية فى مجال استعمال مفاهيم العنف والإرهاب فى الحركة السياسية قد شكلت أحد المـصادر الرئيـسة فـى بـناء الـسياسة الإسـرائيلية التـى سـيطرت علـيها مـنذ البداية مفاهيم واتجاهـات الاستئـصال الجـسدى للعـربً لتفـريغ الأرض وممارسة الإرهاب والإكراه النفسى والفكـرى ضـدهم لحملـهم علـى تـركها ومـن ثـم بـدأت وتائر استخدام الإرهاب تتصاعد فى سياسـة إسـرائيل مـنذ تأسيسها وحتى الآن، وقد تبلورت بشكل خاص بعد حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ليـصبح العـنف والإرهـاب (الإسـرائيلى) مـنطقًا (للدولـة الإسـرائيلية) ويمنحـها المبرر لاستعمال كافة الوسائل والأدوات فى تعاملها مع الأخرين [١].

لقد شهدت تجربة الإرهاب خلال السبعينيات والثمانينيات من هذا القرن، تطورًا كبيرًا فـى سـيطرة مفهـوم (الدعايـة مـن خـلال الحـركة) إذ عادت السيادة للمفهوم الذى صاحب ظهور المصطلح فى نهاية القرن الماضى لكن هذه المرة بكل التطورات المصاحبة للظاهرة خلال هـذا القرن، وعلى مختلف المستويات، إذ أضحى مفهوم دعاية العمل (Propoaganda of deed) يعنـى بـشكل خـاص العـنف والإرهاب السياسى الذى تستعمله منظمات تنطلق مـن مفاهـيم أيديولوجـية بـوجه عام بالدرجة الأولى، ولكنه موجه بشكل انتقائى ومتخصص ضـد مؤسـسات ومـسؤولى ورموز السلطة والطبقات الاجتماعية وأيضًا الجماعات العرقية التى تحـدد بوصـفها العـدو، ومـتجاوزة العـنف والإرهـاب الجماعـى الـذى يـصاحب مخـتلف الفعالـيات وتعـبيرات الـسخط والغـضب لـدى الجمهـور تجـاه أى سلطة أو موقف[٢] . وهنا بـدأت دائـرة أخـرى بالاخـتلاط مـع الدائـرتين السابقتين ونعنى بها العنف السياسى الذى تستعمله الحركات الثورية فى دول العالم الثالث ضد قوى الاستعمار الصهيونية.. أنه مفهوم جديـد أسهم فى تطور مفهوم هذا النوع من الاتصال الدعائى والحرب النفسية وبحثه يحتاج إلى مجالات لا موضع لها هنا من هذه الدراسة.

---

(١) للمزيد انظر فلاح حسن طاهر، التطبيق الإسرائيلى لمفهوم الحرب النفسية، معهد البحوث العربية، رسالة دبلوم غير منشورة، بغداد ١٩٨٧، ص ٥٣ ــ ٥٦.

(٢) مارتـــا كرتشو، (مدخل تنظيمى لتحليل الإرهاب السياسى)، مجلة المنار، باريس، العدد (٢٢ ــ ٢٣) تشرين الأول، ١٩٨٢، ص ٧٩.

وأخيرًا لابد لنا من التفريق بشكل دقيق بين الدور الدعائى للإرهاب فى ظاهرتى إرهاب الدولـة، وإرهـاب الأفـراد والمـنظمات، ففـى الظاهـرة الأولى يـصبح العنصر الدعائى، عنصرًا دخـيلاً على العمل الإرهابى أى انه يتدخل من الخارج من أجل الدعم والتبرير، بينما يكون فى الظاهرة الثانية عملاً أساسيًا وملازمًا للعمل الإرهابى إذ يستغله هؤلاء الأفراد والجماعات والمنظمات، ليسمعوا أصواتهم وليعرفوا بأنفسهم وبقضيتهم اتجاه الرأى العام.

ومـن هـنا نرى بوضوح كيف أضحى الإرهاب متغيرًا أساسيًا من متغيرات ظاهرة الحرب النفـسية، بفعل الاستعمال التكتيكى له فى إدارة السياسة الخارجية للدولة، وبفعل الدعاية من خلال الحركة، التى تبرز القاعدة الفكرية والسيكولوجية لهذا الاستعمال بأوسع أشكاله.

المبحث الرابع
غسل الدماغ والتحويل العقائدى

- غسل الدماغ (تأصيل فى مفهوم الظاهرة)
- غسل الدماغ : التعريف
- غسل الدماغ والتحويل العقائدى
- الأساليب المستخدمة فى عمليات غسل الدماغ

غسل الدماغ والتحويل العقائدى

ما من ظاهرة اتصالية، اتسمت بالغموض والغرابة، وسوء الفهم مثلما اتسمت به ظاهرة، (غسل الدماغ)، والتى وصفت بأسوأ شهرة فى التاريخ النفسى والسياسى الحديث، إذ حفلت الدراسات الكثيرة عن الظاهرة بالكثير من التهويلات والغرائب التى تصل حدود العجب وإثارة الدهشةّ أما على مستوى الفرد العادى، فلا يسع الباحث والمتخصص إلا أن يفغر فاه مما يسمع من الأوهام والخرافات والغرائب!!

وهذا الغموض والاختلاف فى تحديد ودراسة ظاهرة اتصالية نفسية كغسل الدماغ، والتى تعد من أكثر أساليب الحرب النفسية خطورة، يرتبط فى حقيقة الأمر بمتغيرين أساسيين هما :

١ - حداثة دراسة (غسل الدماغ): بوصفها ظاهرة اتصالية، تمتلك كيانها المنفرد وأشكالها وأساليبها الخاصة فى التعامل،والتى لا تزيد على أربعة عقود من الزمان، فقد ظلت الظاهرة تستعمل بأساليب متعددة وتحت أسماء أخرى عبر القرون، ولم يوحد الموضوع بطريقة مثيرة حتى اندلاع الحرب الكورية[1] . فى أوائل الخمسينيات من هذا القرن.

٢ - الخلط فى عملية الدراسة بين (غسل الدماغ) وظاهرتين اتصاليتين أخريين هما (التثقيف) أولاً و(التحويل العقائدى) ثانيًا هذا من جانب فضلاً عن التصاق المصطلح نفسه (غسل الدماغ) باصطلاحات أخرى(كتغيير الاتجاه) أو (تقويم الأفكار) أو (التحرير الفكرى) أو (الاختراق الفكرى) أو (الإقناع الخفى)... إلخ.

من جانب أخر الأمر الذى أدى إلى الوقوع فى هذا القدر من التشويش والإرباك فى مفهوم المصلح وتطبيقاته.

---

(١) انظر عن دراسة ظاهرة غسل الدماغ بعد الحرب الكورية،كظاهرة مستقلة، هاى غيب فلييسج، الحـــرب على الدماغ، ترجمة مديرية الاستخبارات العسكرية العامة بغداد، ١٩٨١، ص ٢٥٥ — ٢٦٨.

وعلى ضوء ذلك، فإن النهج الأكثر صوابًا فى دراسة الظاهرة لابد أن يمضى بعيدًا فى تاريخية المفهوم وتعريفه، وتناول مستويات غسل الدماغ، من حيث كونها ظاهرة فردية أكثر من كونها اتصالاً جماعيًا وهو الخطأ الذى وقع به الكثير من الدارسين والباحثين.

إن عملية (غسل الدماغ) فى حقيقة الأمر، ليست بالظاهرة الحديثة فقد شهدت كل العصور والأزمان تطبيق هذه الظاهرة. وبالتحديد منذ أن عرف الإنسان قبل عشرات القرون مفعول الشعور بالإثم والندم والخطيئة على الدماغ وعرفه شعورًا مرهصًا وشدة ساحقة تؤثر فى فعالية المخ، والشدائد على أنواعها بطبيعة الحال تجعل المخ قابلاً للالتقاط والإيحاء ومن ثم الانعطاف من اتجاه إلى آخر فى المذهب والعقيدة.

لذا فإن فرض المذاهب والعقائد ليست ظاهرة جديدة فى المجتمع البشرى، وهى لا تختلف عن الظاهرة الحالية سوى أن (غسل الدماغ) يتم الأن بوسائل أكثر دهاء وتجريبية وتقصدًا، أى أن تلك الوسائل والفنون بقدر ما كانت تجريبية وعفوية، أصبحت الأن بفضل العلوم النفسية والفسلجية، ذات تقنية منسقة مخططة وعرضة للدرس والتطوير المستمر.

لقد ضم أدب الشعوب وتاريخ الأمم وحياة الأنبياء الكثير من أمثلة التحويل الفكرى المفاجئ والمدبر له، من خلال الفعل الطقسى والأناشيد والرقص من أجل تعديل الدماغ لأغراض دينية، فقد استعمل الإغريق الرقص الدينى فى علاج الأمراض العصبية مستغلين أنغام الناى وقرع الطبول فى تلك المراسيم إلى حدود الإنهاك الجسمى والإغماء والشعور بامتلاك الألهة له.

وما يجرى على (المنفى الجديد)، من طقوس ترمى بالنتيجة إلى تحقيق المذهبة وتصلد العقيدة. وما أسرار وغوامض الديانات الإغريقية القديمة إلاأمثلة صارخة على عمليات المذهبة تلك، ومن أشهر تلك المذاهب أو الديانات اليونانية (اليوسينية Eleusinian، والكورنيثية Corinithian والساموثراسية Samothracian)[1] . كما حلت الصين القديمة بالأمثلة العديدة للتحولات الدينية، وعقائد (الكونفوشيوسية والشنتو واللاوتسية ـ

(١) يصدد الجذور التاريخية للظاهرة، وبشىء من التفصيل. انظر على وجه الخصوص، د. فخرى الدباغ (غسل الدماغ)، دار الطليعة، بيروت، ص ٥٥ ــ ٦٠، ومحمد عبد القادر أحمد، دور الإعلام فى التنمية دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص ١٧٧ ــ ١٨٨، وأيضًا صلاح نصر، الحرب النفسية ج٢، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٦٧، ص ٦١ ــ ٧٣.

اتباع لاوتسى ـ) تجسدت فى رهبانها ورجالاتها المشهورين، جوانب متعددة من هذه التحولات [1]، ولم يقتصر الأمر على شرق العالم القديم وغربه فقط بل لا يكاد يخلو تاريخ شعب من شعوب العالم، من استعمال ظاهرة التحول الدينى والعقائدى، وحتى على مستوى الشعوب البدائية، ومن يطالع ما كتبه (جيمس فريزر) فى كتابه المعروف (الغصن الذهبى)[2] سيجد عشرات الأمثلة عن الطقوس والاحتفالات التى يتم من خلالها هذا التحول الذى نجد عند تفحصه، أنه لا يتجاوز ظاهرة متجانسة هدفها الاتباع للأعداء والخصوم، ومازال الكثير من الأساليب والوسائل التى استعملتها الشعوب القديمة والجماعات البدائية، يستعمل بعضها لحد الآن، إذ استعملت تلك الشعوب والجماعات وسائل الصوم والجوع والإرهاق الجسمى والعقاب والألم وإدخال الرعب إلى القلوب، أو بتنظيم عمليات التنفس بطريقة (اليوغا) والتطبيل والتزمير والرقص والغناء والنشيد الرتيب، ولاستعمال السموم أو العقاقير العشبية والبخور، التى تثير العاطفة الحادة من قلق وغضب وصراع عقلى وشعور بالرهبة والإحساس بالخطيئة والقابلية الشديدة على تقبل الإيحاء والتعاليم والأفكار الجديدة[3] .

ومن ثم جاءت العصور اللاحقة، شهدت فيها الديانات السماوية صورًا جديدة لم تعرف سابقاً ممثلة بالدعوات والعصبيات المذهبية التى لم تخل (بالطبع من تاريخ دموى عنيف، فمن أجل التبشير أو الدفاع عن النفس للاحتفاظ بالكيان المذهبى الخاص، حدثت مآس ومذابح لا يقرها إنسان ونذكر من تلك المآسى، صراع البروتستانت والكاثوليك، ومذابح (الهكنوت) فى فرنسا والحروب الدينية فى ألمانيا، ومذابح الكاثوليك فى أيرلندا على أيدى جنود (كرومويل) البروتستانت، ثم الحروب الصليبية ومطاردة وقتل السحر، فى أوربا،

---

(١) الكونفوشيوسية واللاوتسية والشنتو، من أشهر الديانات السائدة فى الصين والتى ترجع أصولها إلى حقبة زمنية متقدمة، ومازالت تنتشر فى شرق آسيا حتى الآن، بخصوص هذه الديانات، وعقائدها انظر المؤلف القيم لسليمان مظهر، قصة الديانات، دار الوطن العربى، القاهرة، من دون تاريخ، ص ١٧٢ ـــ ٢٤٣.

(٢) للمـــزيد انظر، جيمس فريزر، الغصن الذهبى، ترجمة بأشراف أحمد أبو زيد، ج ١، الهيئة المصرية العامـــة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١، أما عن التحولات الدينية والطقوس المستخدمة بشأن ذلك فى بلاد وادى الرافدين وبلدان حوض البحر المتوسط فانظر بشكل خاص، جيمس فريزر، أو دونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

(٣) فخرى الدباغ، م. . ذ، ص ٥٠ ـــ ٥١.

وأعمال محاكم التفتيش (كلها تعكس وتكشف عن صراع العقائد والأفكار العنيف المؤسف)[1].

وفى حقيقة الأمر، كل ما شهده الرايخ، من الأمثلة الكثيرة التى أشرنا إلى بعضها بعجالة ما هى إلا ظاهرة غسل الدماغ ثم التحول العقائدى وإن اختلفت التسميات ما بين التحول المذهبى والتحوير العقائدى... إلخ. ولكنها فى النهاية تظل تعبر عن الظاهرة فى جوهرها، وتكاد لا تخرج كثيرًا عن مفهومها المعاصر.. فما هو هذا المفهوم ..؟؟

غسل الدماغ.. تأصيل فى مفهوم الظاهرة

مما لاشك فيه أن عملية (غسل الدماغ)، ما كانت لتصبح ظاهرة سياسية فحسب لولا أن الحرب الكورية التى استمرت ثلاثة أعوام فى أوائل الخمسينيات (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣). قد جسمت تلك الناحية المثيرة من العقل البشرى أى قابلية التحوير للأفكار والعقائد أو مقاومة كل ذلك وذلك بعد انتهاء الحرب وعودة الأسرى من المعسكر الغربى إلى أوطانهم ليتحولوا من أعداء للشيوعية والاشتراكية إلى دعاة لها. بل كانوا أكثر حماسًا من غيرهم لعدوهم السابق، وأشد إعجابًا وامتنانًا لمعاملة الكوريين لهم وكان أكثر هؤلاء من الأسرى الأمريكيين، ثم الإنجليز فالنيوزلنديين وكانت هذه الظاهرة هى الأولى من نوعها فى تاريخ الحروب البشرية، لذا غدت محل اهتمام ودراسة عدد كبير من الدارسين والباحثين فى الظاهرة السياسية والنفسية، وكان من أوائل الذين اهتموا بهذه الظاهرة الصحفى الأمريكى إدوارد هنتر (Edward Hunter)، الذى أطلق عليها تسمية (غسل الدماغ) (Prain_ washing) وهو يعتبر مشتق عن الاصطلاح الصينى (hsinao) وذلك فى عام ١٩٥١، حينما نشر كتابه عن (غسل الدماغ) فى الصين. واصفا فيه الأساليب الصينية المتبعة فى هذا العمل، وذلك بعد أن حصل على معلوماته من مخبرين صينيين على أثر انتهاء الحرب الكورية، وهكذا اقترن اصطلاح (غسل الدماغ) بالأساليب الكورية ـ الصينية لتحوير أفكار الآخرين من الشوائب البرجوازية الغربية. أما الصينيون أنفسهم فقد أطلقوا اصطلاح (تقويم الأفكار) على محاولاتهم تلك وعدوها برنامجاً تثقيفيًا عامًا لا يقصد منه العدو أو الأجنبى،

---

(١) م . ن ، ص ١٠٩.

لأنـه جـزء مـن التربـية الاشتراكية للمواطنين الصينيين أنفسهم. وعن تاريخ هذه الأساليب، فقد أكـد هـنتر أن غسل دماغ جنود العدو قد تم بموجب أساليب جرى تطويرها فى الصين بعـد انـدلاع ثـورة ١٩٤٨ مباشـرة والتـى اسـتفادت مـن التجـربة الستالينية فى الثلاثينيات لتصفية الأعداء[١] .

إلاأن هـناك مـن يعـترض علـى هـذا التأصـيل التاريخـى كالدكـتور (ولـيام سـارجانت) William Sargant الـذى يـرى أن هـذه العملـية تعـود إلى مـدد تاريخـية أقـدم، إلا أن تطبـيقاتها تتجلـى بوضـوح فى تجارب بافلوف؟! واستعمال الشيوعيين لها، إلا أن (ريمون بـور) (Rajmond Bauer). قد عارض أفكار (سارجانت) بخصوص التطبيقات الشيوعية للظاهـرة، وذهـب إلى أن عملـية غـسل الـدماغ الشيوعية لم تتميز بقسوتها وإنما باختلافها، فهى فى عهد (ستالين) لم تكن إلا شعورًا عاما ولم تكن حديثة فى الخمسينيات؟! كما أنها لم تكـن ناجحـة وأن الكـثيرين الـذين ادعـوا أنهـم تعضوا لعمليات (غسل الدماغ) ما هم إلا مشوشون فكريًا [٢].

إن مـصطلح (غـسل الـدماغ) مـنذ إطلاقـه فـى أوائـل الخمسينيات، قد أصبح فى الفكر الغربـى، الـذى تناول هذه الظاهرة يعنى الأساليب الملتوية واللاشرعية والمهنية فى التحويل الفكـرى والمذهبـى باسـتعمال الـضغط ووسـائل الإيـذاء الجسدى والتهديد، المطبقة فى الدول الشيوعية للوصول إلى الهدفين الآتيين (أحدهما أو كلاهما)[٢]:

١ ـ إرغـام الـشخص الـبرىء علـى أن يعـترف بكل إخلاص ذاتى أنه قد ارتكب جرائم خطيرة ضد الشعب والدولة.

٢ ـ إعـادة تـشكيل معـتقدات الـشخص الـسياسية حتـى ينكر معتقداته السابقة ويصبح داعية للشيوعية.

فـيما ظـل الفكـر فى المعسكر الشرقى، يرى أن الأمر لا يتعدى عملية (التقويم الفكرى)، أو (الإصـلاح الفكـرى والأيديولوجى)، وليس له علاقة بما حدث فى معسكرات النازية إبان

---

(١) عن إطلاق مصطلح (غسل الدماغ)ن وبداية دراسة الظاهرة بوصفها ظاهرة نفسية مستقلة، انظر هاى غيس فليبج، م . س. ذ، ص ٧٥٥ ــ ٢٥٧. وفخرى الدباغ، م. س. ذ، ص ١٠ ــ١١.

(٢) هاى غيب فليبج، م . س. ذ، ص ٢٥٦.

الحـرب الثانـية أو ما تقوم به بعض الأنظمة فى أنحاء مختلفة من العالم، وكما نرى أن كلا المفهـومين ظـل يعـبر عـن رؤيـة أيديولوجـية أكثـر مـن كـونه مـوقفا علميا رصينا، ينظر إلى الظاهرة، بوصفها كيانًا مستقلاً وبنظرة حيادية[١].

غسل الدماغ .. التعريف

مـنذ أن بـرز فـى العقد الأول من النصف الثانى للقرن العشرين اصطلاح (غسل الدماغ). ظـل يعنـى بمفهـومه كل محاولة للسيطرة على العقل البشرى وتوجيهه لغايات مرسومة بعد أن يجـرد مـن ذخيرتـه ومعلوماته ومبادئة السابقة إلا أنه من حيث كونه تعريفاً ظل موضع اخـتلاف مـنذ أن أطلقه (إدوارد هنتر) كما أسلفنا، والذى قام أيضًا بأول المحاولات فى هذا الـصدد حيـنما عـرف(غـسل الـدماغ) على أنه المحاولات المخططة أو الأساليب التى اتبعها الشيوعيون لإقناع غير الشيوعيين بالإيمان والتسليم بمبادئهم وتعاليمهم [٢].

فيما عرفه آخرون بعد ذلك على أنه (كل وسيلة تقنية مخططة ترمى إلى تحوير الفكر أو الـسلوك البشرى ضد رغبة الإنسان أو إرادته أو سابق ثقافته وتعليمه)[٣] . وهذا التعريف كما يظهـر محمـلاً بمعانـى الآلية والميكانيكية والقصرية، الأمر الذى أدى إلى إطلاق اصطلاحات أخرى أكثر عمومية وشمولية وهى التى أشرنا إليها من قبل.

أمـا الموسوعة البريطانية لعام ١٩٧٤[٤] . فقد عرفته بـ (أنه نشاط إكراهى قسرى بجهود مـنظمة مـبرمجة لإقـناع شخص أو مجموعة أشخاص لتغيير الولاء والمبدأ) أما الفكر العربى، فقـد ظـل فـى أغلـب ماترجم وكتب عن هذه الظاهرة، بعيدًا عن التناول والتعريف الواضح، مقتصرًا على التفسير وحده، وتكاد جهود الدكتور حامد ربيع بهذا الاتجاه، تكون منفردة،

---

(١) انظر أحمد بدر، الاتصال بالجماهير بين الآعلام والتنمية والدعاية، م. س. ذ، ص ٢٧٦ ـــ ٢٧٧.

(٢) فخرى الدباغ م . س. ذ، ص ١٢.

(٣) صلاح نصر ج٢، م . س. ذ، ص ١٣.

(4) Encyclopedla Brltannica Voloum 18 Psychology. 1974 Drintin A House Encyclopedia BritannicaLondon Pahe 675 _ 725.

وكذلك انظر

Encyclopedia International psychology military voloum 18 year 1976. Paitin a Houst Canada Limoted. Pahe 142 - 150

إذ يـرى الدكتور ربيع، أن غسل الدماغ يمكن تعريفه بأنه[1] : (أسلوب من أساليب التعامل النفسى يـدور حول تحطيم الشخصية الفردية بمعنى نقل الشخصية المتكاملة أو ما فى حكم المـتكاملة إلى حـد التمـزق العنـيف بحيث يصير من الممكن التلاعب بتلك الشخصية للوصول بها لأن تصر أداة طيعة فى يدى المهيج أو مثير الفتن والقلاقل).

وعلـى ضـوء ذلـك نـرى أن هـذه التعـريفات بجملـتها تعنى أن (غسل الدماغ) يعنى أن تمحـى الأفكـار الموجـودة لـدى الفـرد والاتجـاه غـير المـرغوب فـيه بدفعها إلى إحدى زوايا اللاشعور لتقـبع فـيها، وأن يهيـئ ذهـنه لتقـبل أفكـار واتجاهات جديدة قد تكون مناقضة لـلأولى ثـم يـبدأ تلقيـنه بالأفكـار التى تلائم القائم بعملية (غسل الدماغ* وتتسم هذه العملية بكـونها تـستهدف بطـريقة مقـصودة تجـريد الفرد أو انتزاعه من ذاته، ومن ثم القيام بعملية بـناء شـىء جديـد علـى أسـاس ما تبقى من أثار فى هذه الذات ـ ذات الفرد ـ المتهاوية عن وجودها الأصلى.

غسل الدماغ.. التحويل العقائدى

لم يحـدث خلـط بين مستويات التعامل النفسى، مثلما حدث من خلط وتشويش وارتباك بـين هـذين المـصطلحين، فعلى الرغم من أن (غسل الدماغ) (Brainwashing) والتحويل العقائـدى (Indoctrination) بوصـفهما مـصطلحين يـنطوى كـل مـنهما ويـندمج تحـت الظاهـرة نفـسها، التـى تعنـى بعملية تشوية المنطق والارتفاع إلى مرتبة التلاعب فى مقومات الشخـصية الفردية. إذ يصبح جوهر العملية هو الإمساك بالعناصر النفسية للفرد، وعن طريق الـتلاعب بـتلك العناصـر، ومـن ثـم الوصول بتلك الشخصية إلى حالة من الاختلال فإذا بها تصير أداة طيعة فى يد المهيج أو مثير الفتن والقلاقل.

إلا أن هـناك تميزًا واضحًا فى مفهوم كلا المصطلحين، فإن كان (غسل الدماغ) يعنى كل الوسـائل التقنـية والفنـية المخططـة والـرامية لتحطـيم الشخـصية الفـردية بحيث تكون أداة

(١) د. حامد ربيع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، م. س. ذ، ص ٣٧.

طبيعة بيد القائم بعملية (غسل الدماغ) ومن ثم إمكانيته لتحوير فكر وسلوك تلك الشخصية بالشكل المطلوب[1].

فإن التحويل العقائدى (Indoctrination) يعرف بأنه صورة من صور (غسل الدماغ) ولكنها تتجه إلى المجتمع الداخلى بقصد خلق الأصدقاء والمتعصبين وبعبارة أخرى، هى دعوة عقائدية ولكنها لا تقتصر على الإقناع وإنما تسعى إلى خلق القوى العنيفة فى تعصبها، المبالغة فى التزامها والرافضة لأى مواقف لا تتضمن الصلابة المطلقة [2].

إذن ومن خلال التعريفين السابقين نجد أن التمييز بينهما يتم من خلال أكثر من متغير واحد من حيث المصدر وهدف العملية نفسها إذ أن [3]:

١ ـ (أ) عملية (غسل الدماغ) تتجه إلى العدو لتجعل منه أداة تنقل البذور الهدامة.

(ب) التحويل العقائدى يتجه إلى المجتمع الداخلى بقصد تحقيق نفس الهدف ولكن فى صورة أيديولوجية بقصد خلق الأصدقاء المتعصبين، أى أن (غسل الدماغ) يتجه إلى العدو والتحويل العقائدى إلى الصديق.

٢ ـ (أ) عملية (غسل الدماغ) القصد منها بذر بذور الفتنة فى مجتمع العدو الذى تسعى إلى القضاء عليه.

(ب) عمليات التحويل العقائدى تتجه إلى الاحتواء والسيطرة بقصد تحطيم أو شل المعارضة أو إمكانيات الرفض.

ولكن هل جاء هذا التمييز عملية لاحقة لتأصيل ظاهرة (غسل الدماغ)، بعضهم يرى، أن عملية التحويل العقائدى وإطلاق هذا المصطلح عليها. بمعناه المتعارف عليه الآن (Indoctrination). قد سبقت اصطلاح (غسل الدماغ) فى الإطلاق، إذ كان شائعا فى الاستعمال بوصفه (تربية عقائدية) أو (تبشير عقائدى)، ومعناه حث الناس على قبول عقيدة ما عن طريق تربية تقليدية مقننة تعتمد على التسليم والقبول أكثر من البحث والمحاورة

---

(١) د. حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، م . س. ذ، ص ١٧٦.

(٢) حامد ربيع، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، م . س. ذ، ص ٣٨.

(٣) فيما يخص التميز بين الظاهرتين انظر بشكل خاص، حامد ربيع، مقدمة فى العلوم السلوكية م. س. ذ، ص ٧٤ ــ ١٧٣.

والنظر العقلى أو التحليل النقدى لمفردات موضوع التعلم، وقد اختلفت هذه التربية أو التبشير باختلاف النظم السياسية والمثل والمعايير التى توجهها.

بينما يطلق آخرون على (التحويل العقائدى) اصطلاح (الاختراق الفكرى)، ويعرفونه على أساس أنه (محاولة النفوذ إلى عملية التأمل والتقدير بقصد التأثير عليها وتوجيهها توجيهًا معينًا يريده المخترق وقصد إليه)[1] . أى أن (عملية الاختراق الفكرى ليست غاية بحد ذاتها، فالمخترق لا يقوم بعملية الاختراق لذات الاختراق أو لمجرد الاختراق، وإنما هو وسيلة لتحقيق غاية، هى توجيه المختَرق باتجاه يريده المخترِق ويهدف إليه، وهو تحقيق غايات يقصدها المخترق، وهى فى الغالب تحقيق مصالحه أو مصالح الجهة التى يعمل المخترق لصالحها، ومن هنا فإن التمييز بين الاختراق (الفكرى) و(غسل الدماغ) يتجلى بالآتى[2] :

١ ـ الهدف فى عمليه (غسل الدماغ) هو قتل الإرادة وإنهاء تأثيرات العقل بحيث يصبح الفرد آلة تحرك من دون هدف معين، فى حين الاختراق لا يعنى قتل العقل والإرادة وإنما التأثير فيها وتوجيهها مع بقائها حرة مختارة أى عن طريق الإقناع.

٢ ـ تقتضى عملية (غسل الدماغ) وسائل إكراه وضغط، فى حين أن عملية الاختراق تستند إلى المحاكاة والجدل والإقناع.

٣ ـ تتطلب عملية (غسل الدماغ) وقوع الشخص بيد من يقوم بالعملية سواء كان فرد أو مجموعة، كالأسرى والسجناء ومن فى حكمهم بينما لا تتطلب عملية الاختراق ذلك. وعليه يمكن القول أن هناك فرقا بين عملية (غسل الدماغ) وعملية (الاختراق الفكرى) بحيث لا يمكن أن تنصرف عمليات الاختراق إلى أنها (غسل الدماغ) بمعناه الفنى الدقيق ولكن أيًا كانت التسميات سواء (تربية عقائدية) أم (تبشير عقائدى) أم (اختراق فكرى)، فإنها بأى حال من الأحوال لا تخرج عن مفهوم مصطلح (التحويل العقائدى)، فهى العملية نفسها ولكن بتسميات تنطلق من فهم وأرضية أيديولوجية معينة، انعكست على عملية إطلاق المصطلح، وتبيان جوانبه بالمعنى الفنى للظاهرة.

وقد يعترض بعضهم على أساس أن (التحويل العقائدى) لا يخرج عن إطار دائرة (التثقيف)، ولكن الأمر فى حقيقته عكس ذلك تمامًا، لأن التثقيف بوصفه عملية بطيئة

---

(١) الاختراق الفكرى، منشورات مركز الإعداد والتطوير الثقافى، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٦.

(٢) م . ن ، ص ٥٢ ــ ٥٣.

تستهدف أن تجعل الذات الفردية تكتشف أسلوبًا يدور حول كيفية التفكير، يسعى إلى خلق العقلية المفتوحة. بينما التحويل العقائدى وغسل الدماغ يسعيان إلى جعل الفرد يفكر بطريقة معينة فهما يسعيان بشكل خاص لخلق العقلية المقفلة للفرد سواء كان صديقًا أم من الأتباع فيما يتعلق بالتحويل العقائدى أو كان عدوًا فيما يتعلق بـ (غسل الدماغ) وبقدر اختلاف عملية (التثقيف) عن التحويل و(غسل الدماغ) كما بينا.. فإن عملية التعليم تقع فى المضمون نفسه، ولكن باختلاف بسيط عن (التثقيف) والفرق الوحيد بينهما هو أن عملية التعليم تحتاج إلى وسيط بشرى لنقل الثقافة، بينما لا يشترط ذلك فى عملية التثقيف ذاتها[1]. إلا أن أهم ما يجب تبيانه بخصوص هاتين الظاهرتين (غسل الدماغ) و(التحويل العقائدى)، أنه فى كلتا الحالتين تظل العملية فردية لا يمكن أن تتم إلا من خلال الإمساك بالمواطن فردًا وتحطيم مقومات شخصيته فيصير أداة طيعة أو بعبارة أخرى يروض على أن يقوم بما أمره به مروضه، لذا فإن أى حديث عن ظاهرة الجماعية للمستويين أعلاه، لا يعدو أن يكون لغطًا بلا طائل، وعدم فهم للعملية الاتصالية برمتها، ويظل أى تناول لظاهرة (غسل الدماغ الجماعى)، ليس أكثر من سوء إدراك وفهم وخلط مع ظاهرة أكثر اتساعًا وشمولية وهى، (التسميم السياسى)، الذى يعد عملية غسل الدماغ على المستوى الجماعى، تعتمد على عملية غرس مفاهيم معينة لابد وأن تقود الخصم أو الصديق إلى الاقتناع بها. وهذه المفاهيم بالطبع فى صالح القائم بعملية التسميم السياسى[2] . ومن هناك فأن بعض الكتاب الذين حاولوا تصوير حدث فى إيران (بغسل الدماغ الجماعى) قد وقعوا فى دائرة الخلط والوهم التى أبرزنا جوانبها هنا بوضوح [3]، مثلما وقع فى هذا الخلط فيما يخص ظاهرة (التحويل العقائدى)، باحثون آخرون إذ عدوه (غسل الدماغ)[4]. والحكم على ذلك ينطبق على الحالة السابقة فى خلط المفاهيم.

---

(١) د. حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية م . س. ذ، ص ١٩٦.

(٢) د. حامد ربيع، مقدمة فى العلوم السلوكية، م . س. ذ، ص ٢٧٤.

(٣) د. حامد ربيع، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، م . س. ذ، ص ٣٨.

(٤) أغلب الكتابات غير المتخصصة تقع فى هذا اللبس بل وحتى المتخصص منها، انظر على سبيل المثال، غسل الأدمغة وحرب الخليج، الحلقة الثالثة، صحيفة الأنباء، الكويت، العدد (٤٤٥٦) الصادر فى ١٩٨٨/٥/٢٨، إذ يتحدث الكاتب عن (عملية غسل الدماغ الجماعى فى إيران، والذى أعدته أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية)..!!

الأساليب المستخدمة فى عمليات غسل الدماغ

١ ـ عزل الشخص عن الحياة العامة:

وذلك بزج الشخص فى زنزانة منفردة وتقطع عنه جميع أنواع الاتصال ولمدة طويلة جدًا.

٢ ـ الضغط النفسى:

كأن يترك هذا الشخص وفى ضمن الظروف السابق ذكرها من دون أى تهمة موجهة إليه. هذا الوضع يجعل الإنسان فاقدًا للتمييز ومن ثم مستعدًا لتقبل أى فكرة توجه إليه. إلا أن هذا الحديث يجب أن لا ينسينا أن الأشخاص مختلفون من حيث قدراتهم على تحمل مثل هذه الأوضاع فبعضهم يصل إلى مرحلة الانهيار فور تعرضه لمثل هذه الأساليب وبعضهم الآخر قد يستمر مدة طويلة قبل أن ينهار وهناك آخر قد يموت من دون أن تنجح هذه الأساليب. كما تدخل تحت هذا الأسلوب عمليات العنف غير المباشرة أى قد يتعامل مع هذا الشخص بشكل هادئ ويخبر ضمنًا بأن شخص آخر قد عذب بسبب وضع مماثل لوضعه، أو أن يجعلوه يسمع ويرى السجناء الآخرين وهم يتعرضون لأعمال العنف والتعذيب. هذا الأسلوب مزدوج الفائدة فالشخص قد يرتعب مما يرى ويسمع فينهار ويستسلم أو لربما يخدع بالمعاملة الحسنة التى يعامل بها فى حين أن آخرين فى وضع وموقع مماثل له يعاملون معاملة سيئة جدًا مما يدفعه إلى التجاوب والتخلى عن مبادئه وأفكاره.

٣ ـ الضغط البدنى:

وأشكاله مختلفة منها التعذيب الجسدى والحرمان من الطعام أو من النوم، ومسألة الطعام مهمة جدًا. فالإنسان يحتاج لكى يصمد ويتمتع بالصفاء الفكرى والذهنى إلى الطعام الذى تتوافر فيه العناصر الغذائية الكاملة لا مجرد طعام يبقيه على قيد الحياة، لذا فإن هذا الأسلوب فعال جدًا فحرمان الإنسان من الطعام المتكامل سيجعله فى حالة انهيار نفسى وفكرى وجسدى يمنعه من الصمود ويجعله مادة طيعة لعملية (غسل الدماغ). كذلك فإن مسألة النوم هى الأخرى حساسة جدًا. وحرمان الإنسان منها يقوده إلى الانهيار أو الجنون أو الانتحار لأنه يؤدى إلى تشويش الملكات العقلية له ويفقده الإحساس. وعن أهمية النوم

فـى عملـية (غـسل الـدماغ) يقـول الدكـتور لـوجن الأستاذ فى كلية الطب فى جامعة جورج واشـنطن "أن مثل هذه الحالات تؤدى إلى فقدان الإحساس بالواقع وتشويش الملكات العقلية فيـصبح الفـرد كالحـالم فـى حالـة انفـصال عـن العالم. والفرد الذى عانى الحرمان من النوم يـصبح أكثر قابلية لتقبل الإيحاء وأكثر استعدادًا لتنفيذ تعليمات الذين يطلبون منه أن يسلك سلوكًا معينًا كما يقل احتمال مقاومته لطلب أى إنسان من ذوى السلطة" [1].

٤ ـ الدروس والمحاضرات:

وغالبًا ما تكون دروس يومية وجماعية تتضمن الأفكار الجديدة المراد ترسيخها فى عقول الأشـحاص الذين تمارس معهم عملية (غسل الدماغ). وتتضمن المحاضرات مسألتين مهمتين الأولى هـى أسـئلة تـوجه إلى الأشخاص المستهدفين بغية معرفة مدى استيعابهم للمحاضرات والأفكـار الجـيدة إذ تعد وتقوم هذه المحاضرات بموجب الأجوبة الواردة. أما المسألة الثانية فهـى أن يمـارس الأشـخاص المـستهدفون نقدًا لأنفسهم بموجب العقيدة الجديدة يرافق ذلك اعـتراف مـنهم بأخطـائهم. وعمـومًا فـإن اللجـان المـشرفة على عمليات (غسل الدماغ) تقوم بعملـية تقـويم لـدى اسـتيعاب الـشخص مـن خـلال أجوبته ونقده لنفسه ولرفاقه فضلاً عن تحديد مستوى الاستيعاب من خلال سلوكه اليومى وتعاونه مع الإدارة أو اللجنة المسؤولة.

أن هـذه الأسـاليب التـى تـتراوح بـين العـنف واللين إنما تساعد كثيرًا فى نجاح عملية (غـسل الـدماغ) وذلـك لأنهـا تهـدف عمـومًا إلى"إثـارة القلق وغرس الشعور بالذنب وإشاعة الاضـطراب فـى نفسية المتهم وعقله كما تهدف إلى خلق حالة له لا يعرف فيها ما سيحدث له بين دقيقة وأخرى" [2].

إن العـرض الـسابق لغـسيل الدماغ يوضح لنا أسلوب التعامل مع الأفراد الذين هم تحت متـناول الـيد وذلـك بالاتـصال والـتعامل المباشـر معهـم، إلا أن العملية نفسها على المستوى الجماعـى تـتخذ صـيغًا أخـرى لـذا يلجـأ فى هذه الحالة إلى جميع أدوات ووسائل التعامل النفـسى فـضلاً عـن المعلـومات والحقائـق نظـرًا لكـون العملية تتسم فى هذا الموقع بالشمولية والـتدرج. الوسائل تم التعرف عليها فى موضع سابق من هذا المبحث أما الأدوات فسنتعرض

(١) صلاح نصر، ج ٢ م. س. ذ، ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) م . ن ، ص ٢٠٠.

لهـا بعد قليل، إن هذا العرض الموجز للحرب النفسية ولأساليب التعامل النفسى التى تخدم مفهـوم الحـرب النفـسية يوضـح لـنا مدى الأهمية التى تبلغها هذه الحرب. إنها حرب ضد العقـول وضـد الأفكـار والإدراك والـسلوك وهى تتعامل مع الوسائل كافة التى تتضمن تحطيم الخـصم وتشتيته وإثارة النعرات التخريبية الهدامة والممزقة لوحدته وجبهته الداخلية، يقول هتلـر " أن أسـلحتنا هـى الاضطراب الذهنى وتناقض المشاعر والحيرة والتردد والرعب الذى ندخلـه فـى قلـوب الأعـداء فعندما يتخاذلون فى الداخل ويقفون على حافة الثورة وتهددهم الفوضـى الاجتماعـية تحـين الـساعة للفـتك بهـم بـضربة واحـدة"[١] . كـذلك قـال الجنرال الأمريكى جيمس جانين " إن الغرب قد أعاد النظر فى جميع استراتيجية الحرب وطبيعتها لأن الخطـط الاسـتراتيجية الجديـدة تهتم بالعامل الأيديولوجى أو السيكولوجى ولذلك يمكن أن نقـول إن الحـرب الفعلـية الـيوم أضـحت حـربًا سيكولوجية شاملة"[٢] . لذا فإن الحرب النفـسية الـيوم علـم واسـع وفـن دقيق النجاح فيه يؤدى إلى النصر أما الإخفاق فى استعماله فيعود على مستخدميه بالأخطار.

(١) مختار التهامى، الرأى العام والحرب النفسية، ج١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤ظ، ص ١٢٥.

(٢) كـــرم شلبى، الراديو فى الحرب النفسية، معهد التدريب الإذاعى والتليفزيونى، بغداد، ١٩٧٣ ص ١٤.

المبحث الخامس

التسمية السياسى

- تعريف التسمية السياسى
- التخطيط لعمليات التسمية السياسى
- أشكال التسمية السياسى

التسميم السياسى

إن مصطلح (التسميم السياسى) (Intoxication) من المصطلحات الحديثة التى برزت للظهـور فـى الأدبـيات الفرنـسية فـى أواخر الستينيات وهو يدور حول زرع أفكار معينة من خـلال الخديعـة والكـذب بحـيث تـؤدى إلى تـصور معـين للموقـف يختلف عن حقيقته مما يترتـب علـيه عـند اكتشاف تلك الحقيقة نوع من الصدمة النفسية تؤدى إلى شلل نفسى ومن ثـم عـدم القـدرة على المواجهة وهو بهذا المعنى أى التسميم يكون إما مقدمة لمعركة أو لاحقا لهـذه المعـركة، يقـدم بحـيث يـسمح بتحقـيق النصر العضوى بأقل تكلفة ولاحقا لها بحيث يكمـل الانتـصار بالقـضاء المطلـق علـى الخصم بوصفة وجودًا ذاتيًا يناضل فى سبيل التمسك ببقائه الحضارى[1] .

إلا أن جوهـر التـسميم مـنطلقًا وأسـلوبًا للتعامل الاتصالى يعود إلى منتصف القرن التاسع عشر وربما ارتبط بظهور الدولة القومية فى أوروبا، إلا أن صياغته فى إطار نظرى متكامل لا تـزال فى مرحلة التكوين، كما أن التعامل معه يتصف بالنسبية، ويعد مؤلف العالم الفرنسى (فـورد) الصادر عام ١٩٧١ من الدراسات الحديثة التى أصلت لهذا المفهوم من خلال الوقائع التجريبية[2] . وينطلق (التسميم السياسى) من أربعة مفاهيم أساسية هى[3] :

١ ـ إمكانية خلق التحلل فى نظام القيم الجماعية بطريق غير مباشر.

٢ ـ تطويع الإرادة القومية من الداخل من خلال التعامل النفسى المباشر.

٣ ـ الـتدرج فـى عملية التوجية السياسى من مستوى زرع القيم إلى مستوى تضخيم القيم المزروعة.

---

(١) د. حامد ربيع، الحرب النفسية، م. س. ذ، ص ٣٧.

(٢) د. حامد ربيع، الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٣٤.

(٣) م . ن .

٤ ـ جعل مفهوم تفتيت الوحدة الوطنية أساسا مطلقا بوصفة مقدمة لتخطى الصراع العضوى فى مواجهة الاستعمار التقليدى.

فـ (التسميم السياسى) من خلال هذه المنطلقات يعنى (عملية غرس قيم دخيلة فى نظام القيم السائدة فى المجتمع السياسى ثم تضخيم تلك القيم تدريجيًا لترتفع إلى مستوى القيمة العليا بما يعنيه ذلك من إضعاف لتلك القيمة العليا التاريخية وإحالتها إلى مستوى القيم الفرعية التابعة والثانوية) [١].

التخطيط لعمليات التسميم السياسى

إن تحليل عملية التسميم السياسى تتطلب التمييز بين مراحل ثلاث للتعامل بفرز أسلوب التخطيط لعمليات (التسميم السياسى) بأدواره المترابطة ضمن تقسيم تصاعدى يسمح بالانتقال من دور لآخر وهذه المراحل هى[٢] :

المرحلة الأولى : وهى مرحلة التعامل مع أدوات حمل العدوى الفكرية أى التوجه فى التعامل إلى كل من لا يشعر بالتجاوب مع المجتمع القومى بغرض استعماله أداة لتحقيق أهداف (التسميم السياسى) ثم تأتى عمليات التخريب وقتل القادة واختلاق الخيانات لتكمل وتساند العملية الأولى بهدف خلق عدم الثقة فى الذات القومية.

المرحلة الثانية: وتتركز بتطويع الطبقات المختارة والمثقفة التى تمثل عناصر المقاومة فى الجسد السياسى. والمفاصل المتحكمة فى هذا الجسد بهدف إضعافها، وذلك عبر مسالك وأدوات عديدة منها، الدعوة العقائدية والحرب الأديولوجية، وحرب المعلومات، وتطويع الطابع القومى.

المرحلة الأخيرة: وهى مرحلة الإغراق الجماهيرى بمعنى الصراع المباشر على المستوى الجماهيرى، إذ تبرز الأداة الدعائية أداة مباشرة فى التعامل وفى هذه المرحلة يوسع نطاق

---

(١) م . ن .

(٢) د. حامد ربيع، الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى، م . س، ذ، ص ٨٢ ـــ ٨٣.

القيم التى تزرعها الجهة القائمة بعملية التسميم السياسى إذ تبدأ القيم التقليدية القومية فى الوقت نفسه بالانحسار لتحل الأولى محلها مرتفعة إلى مستوى القيم الأساسية.

أشكال التسميم السياسى

إن التسميم فى حدود تأثيراته فى الجسد السياسى المستهدف يتخذ صورة أو أكثر من الصور والأشكال الآتية[1] :

١ ـ **التطبيع** : بمعنى إيهام الطرف الأخر بالتحول من حالة العداوة التقليدية والصراع المصيرى إلى حالة التعايش الطبيعى بانتزاع إرادة المقاومة من العقول التى تؤدى بالنتيجة إلى انتزاع الأسلحة من الأيادى والاستسلام لحالة الاسترخاء وقبول الأمر الواقع الذى بات يسمح بتعايش (اللص مع صاحب المنزل)، كما هو الحال على سبيل المثال فى قضية التطبيع مع العدو الصهيونى.

٢ ـ **التطويع**: وهو تسيير الإرادة من طريقها الطبيعى والأصيل إلى طريق آخر إذ يروضها القائم بعملية التسميم وغالبًا ما يحاصر فى إطار هذه الصورة القيادات الفكرية والنخب المثقفة التى تتحول إلى فرس رهان لمفاهيم ومدركات أجنبية بوعى أو من دون وعى، وبالنتيجة فإن تأثير هذه القيادات والنخب فى عملية التسميم يبدو مضخمًا بل ويكسبها شرعية فى التسلل إلى باقى أجزاء الجسد مما يسهل عملية الاختراق الخارجى.

٣ ـ **الاغتراب** : أى جعل الفرد مغتربًا عن مجتمعه والثقافة التى يعيشها ودفعه إلى اتخاذ موقف غير ودى منها وتبعًا لذلك فالتسميم لهذه الصورة يعمل على خلق حالة من الصراع بين الذات الفردية ومحيطها الاجتماعى والثقافى.

٤ ـ التفجير: وهو صورة من صور فك الأواصر بين عناصر الجسد السياسى وبعثرتها بحيث يغدو كل عنصر عاجزًا عن أداء وظائفه الطبيعية بشكل كامل وإزاء هذا النقص يبدو

---

(١) عباس جاور، توظيف المتغير الإعلامى والثقافى فى العلاقات الدولية (نموذج التسميم)، معهد البحوث والدراسات العربية، رسالة غير منشورة، بغداد ص ١٠٤ ــ ١٠٥.

القائم بالتسميم بصورة المحسن الذى لا يبخل بتقديم خدماته للجسد المريض بجرعات محسوبة.

٥ ـ الاحتواء : إذ يأخذ الجسد السياسى بعد أن تقطع أو صاله صورة التبعية الشاملة للأجنبى أى باستيعابه كليًا، كما أن الإفراط فى (ثمالة التسمم) تقود إلى شكل من أشكال (الانتحار السياسى).

وإن كان هذا هو الإطار العام فإن جزئيات التعامل هى الأخرى على درجات من التعدد بحيث يصعب حصرها واستخراج قوانين أو ثوابت مطلقة والتى تستهدف فى النهاية دفع الخصم إلى الاستجابة المطلقة، أو إلى قوة سحيقة مفضية إلى مخاطر غير محسوبة إذ يصير المنطلق الأساس هو خلق قيم جديدة فى العدو تقوده إلى النتائج نفسها التى تستطيع أن تصل إليها من خلال الصراع المميت باسم الحرب النفسية [١].

---

(١) حامد ربيع، الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى، م. س. ذ، ص ٨٢ ــ ٨٣.

المبحث السادس

الحرب الاقتصادية

- مصطلح الحرب الاقتصادية
- تعريف الحرب الاقتصادية
- أسلحة الحرب الاقتصادية

الحـــرب الاقتصادية

قـد يـبدو غـريبا استعمال هـذا المـصطلح (الحـرب الاقتـصادية)[١]، بـدلا مـن (الضغوط الاقتـصادية)، وهـو المـصطلح الـذى اعـتادت أغلـب الأدبيات الدعائية تناوله، بوصفه أحد أسـاليب عملـية (الحـرب النفـسية)، وفـى حقيقة الأمر، أن مصطلح (الحرب الاقتصادية)، يعـد أكثـر دقـة وشمـولا مـن اصطلاح (الضغوط الاقتصادية)، وذلك لاعتبارات عدة تأتى فى مقدمـتها كـون هـذه الضغوط ما هى ألا أدوات ووسائل الحرب الاقتصادية، من حيث كونها معنـى شموليًا، يـرتبط ارتباطًا وثقيًا (بنظرية الحرب الشاملة)، التي برزت إلى الوجود على يـد (لودندروف) بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لا سيما بعد إخفاق نظريات (كلاوزفيتز)، التـى كانت أساس النظرية الألمانية فى هذه الحرب، إذ أكد (لودندروف) والذى أصبح أحد مـساعدى هتلـر فـيما بعـد- ضـرورة توافـر شرط آخر مع القدرة العسكرية وهو أهمية مقاومة العـدو فـى المـيدان الاقتـصادى[٢]، إذ يـتوقف كـسب الحـرب علـى إمكانـية تحويل الموارد الاقتـصادية إلى مـواد ضاربة، تحمى البلد المحارب من جهة، ونحولها إلى قوة سياسية فى إضـعاف قـدرة العـدو علـى المقاومـة والاستمرار فى الحرب من جهة أخرى. ولكن يجب أن نفهـم أن مـا نعنـيه بالحـرب الاقتـصادية لـيس الحـرب نفـسها لذا فإن الحرب الاقتصادية كالحرب البرية والجوية والبحرية تتصف بكونها هجومية ودفاعية إذ[٣]:

---

(١) برز هذا الاصطلاح (الحرب الاقتصادية)، قبيل اندلاع الحرب الكونية الثانية بسنوات قليلة، تعبيرًا عـــن أهمـــية العامل الاقتصادى فى الحرب، وقد ساد الفكر السياسى المعاصر والعربى منه بشكل خـــاص، انظـــر بخـــصوص مفهـــوم هذا الاصطلاح، صلاح نصر، الحرب الاقتصادية فى المجتمع الإنسانـــى القاهرة، ١٩٦٥، ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) فولـــودندروف، الأمة فى الحرب، ترجمة عبد المطلب محمد، مطبعة الشعب، بغداد، ص ٣٩ وما بعدها.

(٣) انظـــر بهذا الخصوص البحث القيم الذى اعتمدنا الكثير من نتائجه فى تحديد جوانب هذا المفهوم عـــدنان مناتـــى، العوامل الاقتصادية وأثرها فى الحرب، كلية الإدارة والاقتصاد ـــ جامعة بغداد، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بغداد، ١٩٨٧، ص ٦٣ ـــ ٧١.

١ ـ تستعمل (الحرب الاقتصادية الهجومية) أدوات متعددة منها الحصار الاقتصادى، والحصار الجوى، والتدمير بسلاح الطيران والمقاطعة الاقتصادية، ونظام القائمة السوداء، ونظام المشتريات التحويلية وتجميد الأموال الأجنبية.

وهى بذلك لا تنحصر فى أهدافها ضمن الميدان الاقتصادى، وإنما تستهدف أغراضًا أخرى، سياسية وعسكرية ونفسية واجتماعية، وذلك بفعل تشابك وسائل وأدوات الصراع فى التأثير والتأثر.

٢ـ أما أدوات الحرب الاقتصادية الدفاعية فتتمثل بعملية تحقيق الأمن لمناطق الإنتاج المهمة، وحماية الخزين الاستراتيجى من التدمير المعادى، ثم الحفاظ على الطاقات الاقتصادية من خلال فعاليات الدفاع المدنى، والإنقاذ والترميم للمراكز المدمرة.

وعلى ضوء ذلك، فإن أهداف هذه الحرب الدفاعية تكمن بشكل أساسى فى ترصين القدرة الاقتصادية للبلد وتقويتها لخدمة الدفاع الوطنى فى زمن الحرب، ولاسيما أن (الحرب الاقتصادية) فى التاريخ المعاصر قد أدت دورًا هامًا يعادل دور الحرب السياسية العسكرية، وذلك لأن تدمير اقتصاد البلد المعادى لا يقتصر أثره فى ميدان الاقتصاد فحسب وإنما يشمل كل الجهد الحربى سواء فى القطاع العسكرى أم القطاع المدنى. هكذا ويتضح لنا أن ما نعنيه بتأثير (الحرب الاقتصادية)، هو فاعلية التدابير والأسلحة الاقتصادية (الهجومية والدفاعية)، على الصعيدين المادى والمعنوى وهو ما يهمنا هنا فى هذه الدراسة، فى تقرير نتائج الحرب.

أسلحة الحرب الاقتصادية

أما أسلحة (الحرب الاقتصادية) سواء كانت هجومية أم دفاعية فإنها تصنف إلى ما يأتى:

١- الحصار الاقتصادى سواء أكان بريًا أم بحريًا أم جويًا.

٢- المقاطعة الاقتصادية[1].

٣- نظام المشتريات التحويلية أو نظام الشراء المانع، والقصد من هذا السلاح هو حرمان العدو من الحصول على المواد الاستراتيجية.

٤ - التخريب المادى للمنشآت الاقتصادية الحيوية.

٥ - الاتجار غير المشروع بالسلع، أو بالعملة النقدية بهدف التأثير فى سياسة البلد الاقتصادية.

٦ _ استعمال سلاح الإشاعات الاقتصادية.

٧ - سحب القروض والإخلال بشروطها للتأثير فى نتائج الحرب.

٨ - الدور التخريبى للشركات المتعددة الجنسية.

٩ -التصدى للاستثمارات الخارجية للبلد العدو.

١٠ - التدابير المادية المتخذة ضد البلد العدو، كالسيطرة على أمواله المودعة فى بنوك الدولة أو تجميدها، وبذلك تؤثر فى اقتصاد العدو وجهده الحربى.

إذن من خلال (الحرب الاقتصادية) تسعى الدولة المحاربة من أجل تحقيق أهداف حربها النفسية بوصفها إحدى أدوات الصراع الأساسية إلى وضع اقتصاد عدوها تحت رحمة سياستها، وبذلك يصبح المتغير الاقتصادى الأهداف والدوافع الاقتصادية، وليست الشكل الاقتصادي للحرب التى وقعت عبر المسيرة التاريخية للمجتمعات البشرية، وإنما نعنى بها الأسلحة ذات الطبيعة الاقتصادية الصرفة، تعبيرًا عن دور العوامل الاقتصادية فى الحرب.

---

(١) م . ن ، ص ٧٢ وما بعدها.

والتـى تـستعمل مع أدوات إدراة الصراع الأخرى والبعد النفسى (للحرب الاقتصادية) يعطى لهـذا الأسـلوب ميـزتين أساسـيتين أولاهمـا كـونه أداة فعالة ورئيسة لحسم الصراع وثانيهما إسـهامه في بعده النفسى، فى تحطيم معنويات العدو، ورفع معنويات المقاتلين وذلك يتجسد تـأثيره المـادى مـن جانـب والمعـنوى مـن جانب آخر، فى كسب الحرب أو تقرير مصيرها. ولعـل مـا حدث لألمانيا خلال الحرب الكونية الأولى، حينما أوشك اقتصادها على الانهيار، يوضح إلى أى مدى يمكن أن يؤدى ذلك إلى انهيار الروح المعنوية للجبهة الداخلية وإلى الحد الـذى عـده (لـيدل هـارت)[1]، العامـل الأول الـذى أدى إلى خـسارة ألمانيا بالشكل المعروف تاريخيًا.

وقـد جـاءت المرحلة الممتدة ما بين الحربين الكونيتين وما شهده العالم المعاصر من تطور عـسكرى وسياسـى مـذهل لتعنى بوصفها مفهومًا عامًا، التدابير والإجراءات المتخذة لتسهيل مواصـلة الحـرب بجانبـيها الهجومـى والدفاعـى، وسواء أكانت هذه الإجراءات عسكرية أم دبلوماسية فإن هدفها هو خلق نتائج ذات خاصية اقتصادية ضد العدو، تنعكس بدورها على مجمل ميادين الصراع عاملاً قويًا لتبديد إرادة الخصم، وقد أظهرت التجارب التاريخية، أن كـل سـلاح من الأسلحة (أسلحة الحرب الاقتصادية) يمثل معنى من معانى الحرب النفسية فـيما يتعلق بالظروف والحالات الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التى يخلفها فى بلاد العدو وتـسبب ضـغطًا وإرهاقًا. وهذا على جانب عظيم من الأهمية والخطورة، إذن فى مثل المناخ. الاقتـصادى الـسيء يمكـن اسـتعمال الوسـائل والأدوات كافة لتصعيد فعالية الحرب النفسية بمفهومها الواسع[2].

وتعد (المقاطعة الدولية) أهم أدوات (الحرب الاقتصادية الهجومية) وقد ظهرت بوصفها مـصطلحًا فـى معجـم القامـوس الـسياسى فـى أواخـر القـرن التاسـع عـشر لتعنى (المقاطعة)

---

(١) الاستراتيجية وتاريخها فى العالم، ترجمة الهيثم الأيوبى، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨ ص ١٨٣.

(٢) عـــن مفهـــوم المقاطعة وأنواعها وأشكالها ونماذج استعمالها فى مختلف الحروب التى شهدها العالم خلال المدة السابقة، انظر بشكل خاص، د. عبد الحسين القطيفى، المقاطعة الاقتصادية فى العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد (٧) ١٩٦٧ ص ٥٤ وما بعدها، وأيضًا مدخل إلى العلاقات الدولية، ط ١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٧، ص ١٤١ ـــ ١٤٧.

(Bovcottage) الفعل المركز الهادف إلى قطع العلاقات الاقتصادية والاجتماعية مع شخص أو مجموعة يأخذ عليها موقعو المقاطعة مأخذًا منكرًا، إذ شهدت أيرلندا استعماله في العلاقات بين المستأجرين ومالكى الأرض، أول الأمر، ومن ثم تطور مفهوم المصطلح مع ظهور تجارب الحربين الكونيتين اللتين شهدهما القرن الماضى والفكر السياسى يرى الآن أن المقاطعة الاقتصادية بمعناها العام يقصد بها وقف العلاقات التجارية مع فرد جماعة أو بلد لتحقيق غرض اقتصادى أو سياسى أو عسكرى فى السلم أو الحرب، وهى قد تتناول الامتناع أو منع التصدير وحظر الشحن الكلى والجزئى إلى البلد أو بلاد معينة.

وبغض النظر عن التقويمات المختلفة للمقاطعة الاقتصادية فإن أشكال المقاطعة فى حالة الحرب هى التى تهمنا فى هذا الموضوع إذ تتخذ أشكالاً عدة هى:

١ـ نظام القوائم السوداء.

٢ ـ نظام التعهد بعدم إعادة التصدير.

٣ ـ الرقابة على صادرات العدو.

٤ ـ نظام شهادات الملاحة.

٥ ـ نظام الشهادات المرافقة.

٦ ـ نظام جواز مرور السفن.

٧ ـ الرقابة على صادرات البلاد المحايدة.

٨ ـ نظام الحصص.

الفصل الثالث

الحرب النفسية المعاصرة

(دراسة نماذج)

المبحث الأول
الحرب النفسية الأمريكية ضد العراق

- خصائص وإدارة الحرب النفسية الأمريكية.
- الحرب النفسية فى السياسة الخارجية الأمريكية.
- تخطيط وإدارة الحرب النفسية الأمريكية.
- أساليب الحرب النفسية الأمريكية الموجهة ضد العراق.
- أدوات الحرب النفسية الموجهة إلى الوطن العربى.
- التضليل الإعلامى ضد العراق.

الحرب النفسية الأمريكية ضد العراق

لم يتعرض بلد فى العالم، كالعراق، منذ الحرب الكونية الثانية إلى إعلام معاد بهذا الحجم والاتجاه، ويكفى أن يدير المرء مؤشر المذياع ليكتشف ضخامة هذا التركيز على مهاجمة العراق وقيادته. ومهما كان حجم الأزمة أو طبيعتها فإن أحداثًا أكثر خطورة شهدها النظام الدولى المعاصر لم تنل مثل هذا الأتساع على الساحة الإعلامية، إلا أن من الواضح أن وراء ذلك كله متغيرات عديدة أهمها:

١-أن الصراعات الإقليمية التى شهدها هذا القرن، ومنها الصراع العربى - الصهيونى، لم تشهد مثل هذا التحشيد الدعائى ضد بلد معين وبشكل خاص من الدول الاستعمارية والحركة الصهيونية ضد دولة أخرى، الأمر الذى يعنى أن الصراع فى الخليج العربى قد خرج من كونه صراعًا إقليميًا إلى صراع عنصرى تقوده الصهيونية العالمية ضد دول تحاول أن يكون لها وجودها الإقليميى والدولى بعيدًا عن سيطرة الدول الاستعمارية ومفاهيمها العنصرية تجاه العرب.

٢ـ لكن أبعاده القومية والدينية تبدو أكثر وضوحًا، إذ ترفض أمريكا وحلفاؤها. أن يكون للعرب أى مكان فى النظام الدولى الجديد كما يرفض العرب العدوان الأمريكى وتحديه الساخر للأمة الإسلامية من خلال هذا الاحتلال المقنع بشرعية عربية وإسلامية زائفة.

٣ـ يضاف إلى ذلك كله، أن هذه الحملة إنما تجسد الهيمنة الأمريكية والغربية على النظام الدولى بعد الانكفاء السوفيتى ومحاولة أمريكا فرض إرادتها على المنطقة من خلال سيطرتها على البترول العربى لكى تكون الأكثر قوة وقدرة على التحكم بالعلاقات الدولية فى نهاية هذا القرن.

ولكى نحدد أبعاد الحرب النفسية المعادية للعراق، وبالذات الحرب النفسية الأمريكية وسبل مواجهتها من خلال الحرب النفسية المضادة لابد لنا من بحث ماهية الحرب النفسية فى طابعها الهجومى والدفاعى والوقائى وبيان أساليب عمل إدارة الحرب النفسية الأمريكية ووسائلها من جانب وبحث الأفكار السياسية التى ينبغى الاستعانة بها على مواجهتها من خلال الحرب النفسية العراقية المضادة من جانب آخر.

خصائص وإدارة الحرب النفسية الأمريكية

إن التحرك الدعائى والنفسى أضحى اليوم علمًا قائمًا بذاته، يملك قواعده ومنطقه، والأهم امتلاكه فلسفته المستقلة والمميزة تبعًا لأنموذج التعامل النفسى. فهناك فلسفة (بافلوف) التى سادت النظرية السوفيتية وفلسفة (فرويد) التى سادت الدعاية النازية، ثم فلسفة (ديوى) التى هيمنت على تقاليد التعامل النفسى الأمريكى، وأساسها الاتجاه نحو تثقيف الأفراد بالثقافة الأمريكية والإعجاب بالآنموذج الأمريكى، إذ يدين الفرد الذى يتعلم بالجامعات والمعاهد الثقافية الأمريكية، بالولاء لأمريكا ونمطها الذى قامت عليه فلسفة التعامل النفسى الأمريكي من خلال نظرية (ديوى) المعروفة وهذا ما انعكس على طبيعة هذه الحرب وأدواتها وبشكل خاص فى توجهها ضد الوطن العربى إذ اتصفت بما يأتى[1]:

١ ـ السعى إلى تطويع القيادات العربية، وبشكل خاص حكام منطقة الخليج العربى وهو ما نجحت فيه فعلاً، من خلال خلق القناعة بالنظام الأمريكى وبأسلوب الحياة الأمريكية. ومنطق التغلغل فى ذلك هو ما يسمى ب "نظرية التنمية" ومحوره هو مجتمع الرفاهية وأسلوب الحياة الاستهلاكية بحيث استطاعت الدعاية الأمريكية من خلال عملية "التسميم السياسى" أن تطوع هؤلاء الحكام وأن تخلق طبقة المنتفعين وأن ترسب فى المجتمع العربى القناعة بأن الأنموذج المثالى للحياة هو المجتمع الأمريكى بخصائصه المعروفة وبذلك خلقت وضعًا مأساويًا فى هذه المنطقة بحيث باتت عروبة الخليج عرضه للاستيطان الأجنبى من خلال العمالة الواسعة.

٢ ـ تشويه الطابع القومى العربى وتصويره على أنه يرفض جميع صور التقدم الحضارى، وأن النظم السياسية فى الوطن العربى لا تعبر عن واقع العصر، ولتؤكد تكامل

---

(١) انظر عن خصائص الحرب النفسية الأمريكية، كراسة العمليات النفسية الأمريكية، بغداد ١٩٨٤ ص ١٠١ وما بعدها.

هـذا المـنطق لابـد أن تلقـى بظلالهـا علـى الوظـيفة التاريخـية للحضارة الإسلامية على وفق التصور الأمريكى، وكذلك الحال فيما يتعلق بالوحدة العربية.

٣ ـ يتـصف الـتعامل النفـسى بكـونه يتعامل تعاملاً غير مباشر، فالدعاية الأمريكية هى دعايـة غـير مباشرة وظاهرها التسميم السياسى، بما تمثله من تلاعب بالنظام القيمى العربى وجعل القيم الثانوية والمصطنعة هى القيم الأساسية.

٤ ـ وتـبعًا لانطلاقهـا مـن نظـرية (ديـوى) فهـى تـسعى إلى تثقـيف الـذى يـدين بولائه للجامعات الأمريكية حيث يتحدد هيكلها الوظيفى بالبعدين الآتيين:-

الأول: أنهـا تـتخذ مـن عملـية التوعـية والتثقـيف غطـاء لأهـدافها الدعائـية، لـذلك فهـى تخطـط بـالإعلام وتركـز اهـتماماتها فـى مجـال الـثقافة الـسياسية كالجامعـات وقصور الثقافة والمكتبات ومراكز البحوث العلمية.

والثانـى: أنهـا تعمـل علـى تدعـيم مواقـف الأصـدقاء لتوسـيع سـاحة الاسـتجابة وترسـيخ مـدركات التأثـر. إن الأهـداف الرئيـسة للعملـيات النفـسية الأمـريكية هـى المجمـوعات الـسياسية والاجتماعـية والاقتـصادية والثقافـية والعـرفية والعنـصرية والدينية والعسكرية... إلخ.

ولكـل مجمـوعة مـن هـذه المجمـوعات وسـائل تـتلاءم وطبـيعة المجمـوعات. وهـنا علينـا أن لا ننـسى مـا فعلـته الجامعـة الأمـريكية فـى بـيروت. ثـم الـدور المخـرب للعلاقة بـين الأقـباط والمـسلمين فـى مـصر إذ أدت الجامعـة نفـسها فـى مـصر دورًا كـبيرًا فـى تخـريب هـذه العلاقـة، ناهـيك عمـا تقـوم بـه المراكـز الثقافـية الأمـريكية فـى الـوطن العربى من دور تخريبى خطير فى الاتجاه نفسه

٥ ـ أنهـا بقـدر اسـتهدافها المـواطن العـادى- تركـز بالوسـائل الاتصالية المقنعة على ما يـسمى بقـادة الـرأى العـام أو بالعناصـر الأكثـر أهمـية فـى المجـتمع وبالذات الذين يكنون الإعجـاب بالأنمـوذج الأمريكـى والـتأثير المـرجو هنا هو "الخطوة الثانية" فى انتقال الرسالة الاتـصالية الدعائـية علـى وفـق الفهـم الأمريكـى من كونه يضخم التشويه الأمريكى للحقائق مـرتين: الأولى مـن المرسل الأمريكى، والثانية من ناقل الرسالة الاتصالية الدعائية الأمريكية وهـو العنـصر المحلـى. وخلاصـة القـول أن فلـسفة الدعاية الأمريكية تقوم على مجموعة من المفاهـيم كمفهـوم (الـثقافة الـسياسية) الـذى اخـتلط مع ما يسمى بـ (الثقافة المدنية) ثم عاد

ليختلط مع مفهوم (التنمية السياسية)،والذى أضحى اليوم مرتبطاً بظاهرة (التسميم السياسى)، إذ تحول علم السياسة الأمريكى إلى أداة دعائية ليتخلى فى قسط معين منه عن وظيفته العلمية أى البحث عن الحقيقة لذاتها، ومن مظاهره فى المجال فرض مفهوم ديمقراطية المشاركة على وفق الخبرة الأمريكية وتقديمه للعالم على أنه الأنموذج المثالى الوحيد للوجود السياسى الذى ينبغى على الشعوب الأخرى تقبله واحتضانه[1].

الحرب النفسية فى السياسة الخارجية الأمريكية

لقد أضحى النشاط الدعائى والإعلامى حقيقة واضحة فى نطاق العلاقات الدولية، مع المتغيرات التى طرأت على خصائص المجتمع المعاصر، ممثلة بطغيان الأبعاد الأيديولوجية وانهيار الحواجز بين المجتمعات السياسية، وسيطرة النواحي الجماهيرية على السلوك السياسى ثم التطور الهائل فى تكنولوجيا أدوات الاتصال، وهذا التطور قاد إلى أن تكون الحرب النفسية والاتصال الدعائى إحدى أدوات تنفيذ السياسة الخارجية لأية دولة، ولكنها تبرز بوضوح فيما يتعلق بسياسات الدول الأخرى بفعل متغيرات عدة لا موضع لبحثها هنا، أو فيما يتعلق بصانع القرار السياسي فى الولايات المتحدة الأمريكية، ألا أن هناك متغيرين أساسيين يحددان جوانب الفلسفة الأمريكية بخصوص التعامل الدعائى الخارجى هما[2]:

١ ـ إدراج السياسة القومية فى منطق التعامل الدولى، بمعنى تقديم الدولة "أى الولايات المتحدة" أمام الرأى العام الخارجى على أنها لا تمثل "نشازًا" ولا تخرج عن القواعد

(١) د. حامد ربيع، الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإدارة التكامل القومى، دار الموقف العربي، م . س. ذ، ص ٧٠ ــ ٧١.

(٢) انظر عصام عبد الحسين، الاستراتيجية الأمريكية فى الخليج العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، رسالة ماجستير غير منشورة بغداد، ١٩٨٨، ص ٤٠ وما بعدها.

المتداولة فى السلوك الدولى. وتأكيد السلوك السلمى والتواضع القيادى وعرض التقاليد الداخلية على أنها أنموذج التقدم والديمقراطية.

٢ ـ خلق الهيبة الدولية، بمعنى ترسيخ القناعة فى الإطار الدولى بأن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل الاستقرار والتناسق فى التعامل السياسى الذى تكمن خلفه قيادة "ديمقراطية" ترفع مستوى المعاهدات وتعبر عن خصائص رجل الدولة بمعناها الحقيقى.

"مبدأ التنسيق" فى السياسية الخارجية يكمن فى قيام الإدارة الأمريكية بتجاوز حالات الخلط والاندماج فى مهام العمل الدعائى فى الخارج عن مهام السياسة الخارجية، إذ يعتمد "مبدأ التنسيق" على التصرف بصلاحيات وإمكانات الإدارة الاتصالية من دون الانحراف والخروج عن الاتجاه السياسي للولايات المتحدة. والاستراتيجية التى تقوم عليها علاقاتها الدولية. كما أنه خلال هذا المبدأ يتستر خلف الدور الدعائى فى الخارج العديد من الأدوات المكملة لتنفيذ السياسة الخارجية ومنها بشكل خاص (وكالة المخابرات المركزية) التى تعتمد معظم عملياتها فى حقل الصحافة على نشر المعلومات الكاذبة والملفقة سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم علمية بحيث تخلق هذه العمليات انطباعات عكسية تناقض الحقيقة[1].

إن عملية تنفيذ وتخطيط وإدارة السياسة الخارجية الأمريكية وعلاقتها بالعمل الدعائى، تتجلى فى ثلاث متغيرات أساسية تحدد طبيعة وخصائص التحرك الأمريكى فى الخارج وهذه المتغيرات هى:

١ ـ التركيز على الدوائر التى تقرر السياسة الخارجية فى أى بلد من بلدان العالم، والتى تكون ذات صلة بأهداف الاستراتيجية الكونية الشاملة للولايات المتحدة الأمريكية.

٢ ـ إدراك القدرات والمؤهلات والفرص الموجودة لتمرير أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، فى مراكز القرار فى الدول الأخرى.

٣ ـ القيام بجمع وتوزيع المعلومات لخدمة الموقف بعبارة أخرى، تعد عملية تحديد مراكز صنع القرار، ومستويات اتخاذه وميكانيكية صنع هذا القرار من المتغيرات المهمة جدًا فى التحرك السياسى والدعائى الأمريكى، وبالطبع فإن توافر المعلومات حقيقة هامة لفهم

---

(١) فيتا بتروسينكو (وكالة المخابرات المركزية ووسائل الإعلام) ترجمة مركز البحوث والمعلومات، سلسلة كتب مترجمة، العدد (١٣)، بغداد، ١٩٨٥، ص٧٢.

كـل ذلك وبيان أسلوب التحرك السياسى وهنا تتداخل عملية الحرب النفسية الأمريكية مع "ظاهرة التسميم السياسى"إذ يركز على القيادات المعنية فى البلدان الأخرى من خلال العمل الاتصالى الإعلامى بأوسع مفاهيمه، والعمل على التلاعب بمدركاتها بحيث تقودها بشكل أو بآخـر إلى اتخـاذ قـرارات خاطئة تخدم السياسة الأمريكية، وما حدث بعد عام ١٩٦٧ لعدد مـن القـيادات العـربية، وما يحدث الآن لأمراء ومشايخ البترول فى الخليج العربى، إنما هو تعبير عن هذه الحقيقة بكل أبعادها.

وفـى هـذا الـصدد نلاحـظ أن الإدارة الأمـريكية اسـتطاعت أن تخلـق مخـاوف مرضـية بخـصوص الـتوجهات العـراقية فى المنطقة. كذلك فأن خصائص الطابع العراقى فردًا وشعبًا ونظامًـا كمـا صـورتها بـصفة خاصـة الدعاية المعادية زادت من حجم القلق والخطر المحتمل الـذى يهـدد أمن دول الخليج. فقد نظر إلى المواطن العراقى وإلى المجتمع العراقى وإلى النظام العراقـى، علـى أنـه ثلاثـى يجمـع من الخصائص السلوكية ما يدعو إلى القلق. وقد برز ذلك واضحًا فى فتح باب الهجرة العمالية غير العربية إلى المنطقة بوصفها أداة من أدوات التوازن فى مواجهة العمالة العربية، كما يقول الدكتور (حامد ربيع)[١].

وهكـذا يتـضح أن أبعـاد الاسـتراتيجية الأمـريكية فـى الخلـيج العربـى قـد ارتكزت فى تنفيذها على:-

١ ـ العمـل النفسى بكل مستوياته وأبعاده، الذى سبق "الأزمة" بمدة طويلة واستطاع أن يخلق المناخ المعادى فى الخليج ضد العراق.

٢ ـ العمـل الدبلوماسـى والعـسكرى وهنا تبرز لنا عملية الإعداد لغزو الخليج من خلال إنـشاء قـوات الانتـشار الـسريع، والتـى جـاءت لتجـسيد "مـبدأ كارتـر" المعروف بخصوص المـنطقة، ثـم اسـتمرار "ريغـان وبـوش وكلنـتون" فـى الاتجـاه نفسه والذى حقق أهم أهدافه باحتلال آبار النفط فى الجزيرة العربية.

---

(١) العراق فى لعبة الأمم، معهد البحوث والدراسات العربية، بحث مطبوع بالرونيو، بغداد، ١٩٨٥ ص ٨ ــ ١٤.

تخطيط وإدارة
الحرب النفسية الأمريكية

يرتكـز جوهـر الاسـتراتيجية النفـسية الأمـريكية، مـثلما أو ضـحنًا على أن أى تفوق أو تمييـز أو فـصل بـين التخطيط السياسى والتخطيط الدعائى لا وجود له فيما يتعلق بالسياسة الخارجـية الأمـريكية، لأن كليهما ينبعث من إطار واحد للحركة، فى عملية إدارة الصراع، والتـى تأخـذ أشـكالا ثلاثـة: أولهـا الإعـداد للاخـتراق وثانيها التغطية والتمويه فيما يتعلق بالأهداف العدوانية والأمريكية وثالثهما التبرير وخلق الشرعية.

ولكـى نوضح تخطـيط وإدارة الحـرب النفسية الأمريكية لابد لنا من تناول حقيقة مهمة وهـى دور أدوات الاتـصال الإعلامـى فـى الـولايات المـتحدة فـى صـناعة القـرار الـسياسى الخارجى الأمريكى، إذ تقوم بثلاث وظائف أساسية بهذا الشأن هى[1]:

١- أنهـا أداة أساسـية يعـتمدها صانعو السياسة للتعبير عن مواقفهم وسياستهم وكسب التأييد لها.

٢- أنهـا وسـيلة مهمـة لنقل آراء وتفصيلات الرأى العام وجماعات المصالح المختلفة إلى صانعى السياسة.

٣- أنها قناة مهمة لتعبئة الرأى العام من صانعى السياسة إزاء القضايا المتعلقة بالشؤون الخارجية.

ويمكنـنا أن نحـدد تـأثير وسـائل الإعـلام الأمـريكية في عملـية صـنع قـرار الـسياسة الخارجية من خلال وجهتين مرتبطتين ببعضهما أشد الارتباط، إذ ترتكز الواجهة الأولى على تـأثير وسـائل الإعـلام فـى الـرأى العـام الـذى يؤثـر بدوره فى صانعى القرار الأمريكى أما الـوجهة الثانـية فترتكـز على تأثير وسائل الإعلام المباشر فى صانعى القرار بتوفير المعلومات والأفكـار والـصور المخـتلفة التـى تـشكل رؤيـة هؤلاء للعالم ولدور الولايات المتحدة فيه، لذا

(١) J. Whiliam fulbight chaiman united state foreign policy U. S. A. 1973 P 232 – 336. Idib p 230.

يمكـن القـول أن هـناك بعدين فى هذه العلاقة، البعد الأول هو ظاهرة سياسية مجتمعة، أما البعد الثانى فهو تجربة مباشرة وشخصية.

وإذا مـا تفحـصنا هـذه العلاقـة مـن جانـب وعملـية صـنع القرار السياسى فى الولايات المتحدة من جانب آخر لتوضحت لدينا عملية تخطيط وإدارة الحرب النفسية الأمريكية فكما هـو معلـوم أن هـناك ثلاثـة مـستويات أساسـية تـسهم فـى عملـية صنع القرار السياسى فى الـولايات المـتحدة: المـستوى الأول يتمـثل بالبـيت الأبـيض ووزراء الخارجـية والـدفاع (البنـتاجون) ووكالـة المخابـرات الأمريكية، والثانى بأعضاء مجلس الشيوخ والنواب وخاصة أعـضاء لجـنة الـشؤون الخارجـية بمجلـس الـشيوخ ومـساعدوهم، وكـذلك كبار المعلنين فى الـصحافة والتليفزيون وقادة الرأى المهتمون بالشؤون الخارجية، ثم المستوى الثالث، ويتمثل بمراكـز دراسة الشؤون الخارجية، وشؤون الشرق الأوسط فى الجامعات والقيادات السياسية والمالـية وجماعـات الضغط وبالذات "اللوبى" الصهيونى وتؤدى عناصر هذه المستويات عملها فى الحياة السياسية الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية أو تحدد خصائص القرار السياسى الخارجى وطبيعة وأسلوب تنفيذه[1].

وكـل هـذا انعكـس علـى عملـية الإدارة والتخطيط إذ أصبح النظام الأمريكى يتسم بتنوع أجهـزة العمـل الدعائـى بمعنى أن هناك دعاية حكومية وأخرى غير حكومية، ولكن يسيطر علـى تنظـيمها مـبدأ الـتعدد، وبـذلك تـوزع الأدوار الدعائـية التـى تصب في هدف واحد إذ تتـضافر بـرامجها النفـسية المـنظمة علـى دعم الخدمات العسكرية الأمريكية وعمل الوكالات والأقسام الأخرى المختصة بالأمن القومى.

لقـد مـرت عملـية التخطيط وإدارة الحرب النفسية الأمريكية بمراحل عدة عكست تطور مفاهـيم العمـل النفـسى وارتباطها بالعمل الدبلوماسى والعسكرى فى الوقت نفسه، ثم بتطور بنـية الـنظام الـسياسى الأمريكيى وأساليب صنع القرار السياسى فيه، إذ نلاحظ أنها قامت

---

(١) للمـــزيد عـــن تطور مؤسسات الدعاية الأمريكية وتطورها خلال الحربين الكونيتين ومن الوقت الحاضر انظر

Howard Wilson Education foreign policy and international relations in Robert Blum cultural affairs and foreign relations N. J, Prentica _ Hall I.n.c 1963. p 82 – 90.

فـى أثـناء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٢) بإنشاء مكتب للخدمات الاستراتيجية(OSS) وهى المؤسـسة التـى سـبقت وكالـة المخابـرات المركـزية(CIA) وفـى نفـس العـام أنـشىء مكتب المعلـومات الحـربية (OWI) لـيقوم بالدعايـة فـى الـداخل والخارج. وفى الواقع أن مكتب المعلـومات الحـربية كـان المؤسـسة التى سبقت إنشاء وكالة الاستعلامات الأمريكية فى عام ١٩٥٣. والتـى أصـبحت مـسؤولة عـن النـشاط الدعائـى فـيما بعـد، وقـد كانت العلاقة بين المؤسـستين وثـيقة تمامًـا إذ كـان لـدى مكـتب المعلـومات الحربية شبكة إخبارية واسعة فى العالم ،كما كان يقوم بتحليل الإذاعات

التى تذيعها محطات الإذاعة فى جميع أنحاء العالم[1].

وكان للمكتب إدارتان للدعاية هما[2]:

١- الإرادة الأمريكية المعنية بالدعاية الداخلية.

٢- الإدارة الأجنبية وتتبعها (صوت أمريكا) أى الخدمة الإذاعية الرسمية.

وفي عـام ١٩٤٥ أعـيد مكـتب تنظـيم المعلـومات الحربية، وأصبح تابعًا لوزارة الخارجية تحـت اسـم (International information service) وبـذلك أصـبحت وزارة الخارجـية مـنذ ذلـك العـام مـسؤولة بشكل مباشر عن العمل الدعائى الذى كان يخضع قبل ذلـك لمكـتب المعلـومات الحربية بما فى ذلك إذاعة (صوت أمريكا) وشبكة محطات الإذاعة التـى تتـبع القوات المسلحة (AFN) التى أنشئت فى عام ١٩٤٣ لتقديم الخدمات الدعائية للقـوات المـسلحة الأمـريكية خـارج الـولايات المـتحدة. ولكـن فـى عام ١٩٤٦ أنشأت وزارة الخارجـية الأمـريكية (مكـتب المعلومات الدولية والشؤون الثقافية وغيرت تسميته فى أواخر عام ١٩٤٧ إلى مكتب "مكتب المعلومات الدولية والتبادل التعليمى").

وفـى عـام "١٩٥٣" أنـشئت وكالـة الاسـتعلامات الأمـريكية (VSIA) وكـان الهـدف الأساسـى لإنـشائها تطويـر وسائل تحقيق أهداف الأمن القومى والسياسة الخارجية لولايات المـتحدة الأمـريكية، وتنـسيق حمـلات الحرب الباردة ضد المعسكر الشرقى والدعاية للنظام

---

(١) Robetr G. Meadow. politics as communication I. N. J. ably publisher. 1980. p 228.

(٢) د. جيهان رشتى، الدعاية واستعمال الراديو فى الحرب النفسية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٥ ص ٣٢٩.

الرأسمالى، وتجميل صورة أمريكا وسياساتها لدى شعوب العالم الثالث، وقد لخص الرئيس الأمريكى (ترومان) أهداف هذه الوكالة بقوله "سنحاول أن نعمل على أن تتلقى الشعوب الأخرى بشكل عام وعادل صورة للحياة الأمريكية وأهداف وسياسات حكومة الولايات المتحدة".

وإذا ما عدنا إلى عملية إدارة السياسة الخارجية الأمريكية وصنع القرار السياسى فى الولايات المتحدة، سنجد أن (مجلس الأمن القومى) (NSC) هو المسؤول عن وضع الاستراتيجية العليا، وتحديد الأهداف تبعًا لأهميتها ووسائل تنفيذها لذا فإن وكالة الاستعلامات تعد أحد أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، فى إطار هذا المجلس، ويتولى عملية التنسيق بين هذه الأدوات مجلس تنسيق العمليات (OCB) الذى يعد مسؤولا عن تحديد الأهداف القومية فى مجال "الاستراتيجية السيكولوجية" بينما توفر وزارة الخارجية، لوكالة الاستعلامات (Usia) التوجيهات السياسية الدعائية للولايات المتحدة،من خلال التنسيق مع المؤسسات العسكرية فى "البنتاجون" والخارجية والمكاتب التنفذية لرئيس الجمهورية وللكونغرس الأمريكى وتضم وكالة الاستعلامات مؤسسات عدة هى:

١- مكتب خدمات المعلومات (USIS) وهو خاص بفرع الوكالة للعمليات الدعائية الخارجية.

٢- خدمات الصحافة والمطبوعات.

٣- خدمات السينما.

٤- خدمات مركز الاستعلامات.

٥- خدمات الإذاعة، وتختص بإذاعة صوت أمريكا (VOA) بشكل خاص.

٦- خدمات التلفاز.

ولكن كيف يخطط ويعد للعمليات النفسية؟

فى الحقيقة إن عملية الإعداد تتم من خلال المعلومات التى تقدمها وكالة المخابرات (CIA) ثم الوكالات التى لا تنتمى لوزارة الدفاع، وهى:

١- وزارة المالية.

٢- مكتب التحقيقات الفيدرالى.

٣- الشعبة السياسية فى السفارات الأمريكية.

٤- وكالة الاتصالات الدولية.

٥- الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

٦- وكالة خدمات الإعلام الأجنبى.

٧- مكتبة الكونجرس.

ونظام المعلومات الأمريكى الذى تشترك فيه هذه الوكالات يقدم الخدمات الأساسية الأولى فى عمليات التخطيط إذ يتولى وحدة العمليات النفسية فى الجيش والقيام بما يأتى:

١- تهيئة تقديرات العمليات النفسية للموقف.

٢- تهيئة ملاحق العمليات النفسية.

٣- تحليل الجماعات المستهدفة الخاصة بالعدو.

٤- تحديد نقاط ضعف العدو.

٥- تحليل وسائل الإعلام القادمة من المنطقة المستهدفة.

٦- تحليل الدعاية الملائمة للهدف.

٧- إعداد الدراسات النفسية الأساسية.

أساليب الحرب النفسية الأمريكية
الموجهة ضد العراق

إن الحرب النفسية الأمريكية ليست وليدة اليوم، وإنما سبقت بدء الأحداث بالخليج بوقت طويل، ولنتذكر المواقف الأمريكية المشينة عندما أثارت وسائل الإعلام الأمريكية ما يسمى بحقوق الإنسان فى العراق ثم موضوع الأسلحة الكيماوية، بحيث لم تشهد أية أزمة سياسية من العالم مثل هذا الكم الهائل فى الإعلام الموجه ضد بلد معين، الأمر الذى يفسر لنا على الأقل زيادة ساعات البث من راديو (صوت أمريكا) والـ (BBC) البريطانية، وعدد آخر من الإذاعات الأوروبية الموجهة باللغة العربية إلى العراق ومنطقة الخليج العربى. وكذلك استعمال الحرب الاقتصادية ضد العراق أداة نفسية من خلال تصوير هذه الحرب بأنها تنهى المقاومة العراقية خلال أشهر.

وكذلك استعمالها "استراتيجية الرعب" ضد العراق من خلال التهويل بحجم القوات الأمريكية وبالأسلحة الأمريكية المتقدمة، فتأكيدها أن هذه القوات وصلت إلى مليون و(٢٥٠) ألف جندى ما هو ألا محاولة لتهويل حجم هذه القوات والتأثير فى معنويات المواطن العراقى.

إن العامل النفسى هو الهدف الأساسى الذى يركز عليه الأمريكان الآن، ومن ثم فإنهم يراهنون على أن من يكسب جولة الصراع النفسى هو الذى يكسب جولة الصراع بأكملها.

إن الولايات المتحدة الأمريكية قد استعملت فى حربها النفسية ضد العراق، منذ بدء الأزمة فى المنطقة، أساليب نفسية متعددة فضلاً عن الأساليب الدعائية الفنية، والتى نقصد بها المجموعة العناصر القادرة على خلق رد فعل معين مقصود لدى المواطن العراقى، حيث يؤدى من خلال التأثير العاطفى والمعرفى إلى محاولة إقناع الجمهور العراقى المستهدف ومن ثم تحقيق الأهداف الدعائية الأمريكية. وهذه العناصر تتضمن أنظمة إقناعية تتستر خلف نظام تعبيرى فى الوقت نفسه. أى أن اللغة الدعائية تصبح قناة للظاهرة الأسلوبية، فهى تعبير وأسلوب فى الوقت نفسه، والأسلوب الفنى يحقق الأهداف الدعائية.

إن أهم الأساليب التى استعملها الأمريكان هى:

أولاً: إطلاق التسميات: يقصد به قيام الخبير الدعائى بربط مفهوم معين بكلمة أو بعبارة تعكس أنموذجًا للتوفيق وتثير شحنة انفعالية تقود إلى نوع من التحيز ضد من يوصف بهذه الكلمة. وهى فى هذا الاتجاه كانت تصف ما حدث بصور مهولة فى نشرات الأخبار والتقارير السياسية. فيما تطلق ألقابًا ونعوتًا معينة على القيادة السياسية فى العراق.

ثانيًا- الاختيار الانتقائى للوقائع: وذلك من خلال اختبار الموضوعات التى تلائم المنطق الدعائى الأمريكى وتنبع منه. وهى فى ذلك تركز على اقتطاع العبارات والجمل التى تخدم الرسالة الدعائية فيما يتعلق بالتقارير والأخبار والتصريحات الواردة من العراق. ولاسيما، اقتطاع أجزاء معينة من رسائل السيد الرئيس ومبادراته.

ثالثًا- التحويل: أى تحويل الانتباه من الموضوع الرئيس إلى موضوع آخر يشكل أهمية أكثر للمخطط الدعائى الأمريكى. وفى هذا الاتجاه عمل الأمريكان على تحويل الانتباه عن موضوع ما حدث إلى حديث عن التهديدات العراقية لـ (نجد والحجاز!) ومن تبرير التدخل والاحتلال للأرض المقدسة تحت هذا الغطاء.

رابعًا- الإجماع الكيفى: ويقصد به الاستعانة بآراء المختصين والسياسيين والعسكريين فى دعم الحجج الرئيسة للمنطق الدعائى. ومن هنا عمل الأمريكان، على الاستعانة بعشرات الأفراد فى هذا الصدد، ومن خلال عملية انتقائية فى إيراد مقاطع معينة فى هذه الآراء، والاستعانة فى كل ذلك بإغراق إعلامى واسع من خلال زيادة ساعات البث الموجه باللغة العربية.

خامسًا- أسلوب الصمت: ويعنى فى أبسط مفاهيمه تركيز الكره والعداء حول شخص واحد، غالبًا ما يكون الزعيم أو القائد السياسى أو العسكرى وينطوى هذا التركيز على ميزة الفرد والجماعة فى تفضيل مواجهة شخص معين على مواجهة قوة متمثلة بجماعة أو شعب أو جيش. وفى هذا الصدد نلاحظ أن الأمريكان قد عمدوا إلى تركيز عدائهم لشخصية. السيد الرئيس القائد صدام حسين مستهدفين فى ذلك رمزيته من حيث كونه قائدًا قوميًا، ودور سيادته الوطنى والقومى بقيادة الثورة فى العراق لمواجهة التحديات الأجنبية، إقليمية كانت أم دولية.

ومـن الأسـاليب الفـرعية لأسـلوب التبـسيط فـى هـذا أسلوب توحيد الأعداء والخصوم، والـذى تـنطلق مفاهـيمه مـن أن مهاجمـة شخص واحد وجهة واحدة أسهل بكثير من تعدد جبهات القتال، ومواجهة قوى واضحة اكثر يسرًا من مواجهة قوى غريبة أو غامضة أو غير محـدودة، وقـد عمـل المخطـط الدعائى الأمريكى بهذا الاتجاه إلى الإيحاء بأن العالم بأجمعه يـساند أمـريكا، وأن العـراق يقـف وحـيدًا أمـام الرفض الدولى، وأن مجلس الجامعة العربية يقـف ضـد العـراق أيـضًا. كما استعملت وطبقت في الولايات المتحدة أى كما تستخدم وتطبق الحـرب النفـسية أسلوبية الصمت وعدم الإشارة إلى موقف إيجابى للعراق فى العالم. وكذلك أسلوب تكرار المعلومة لمرات عدة وبأساليب مختلفة.

أدوات الحرب النفسية الموجهة إلى الوطن العربى

قـد يبدو أن هناك تساؤلاً ملحًا بخصوص، الحرب النفسية الأمريكية الموجهة إلى الوطن العربـى، وهـو هـل أن طبـيعة هذه الحرب وأدواتها تختلف كثيرًا وقليلاً عما هو موجه نحو دول أخـرى كالاتحـاد الـسوفيتى سـابقًا أو دول أخـرى فى أمريكا اللاتينية..!! ونعتقد أن الإجابـة هـى.. نعـم.. هـناك اخـتلاف واضـح ومـرد ذلـك هو أن أهداف هذه الحرب تكاد تخـتلف كلـيًا عن أهدافها فيما يخص بقاع أخرى من العالم، فهناك أولاً: البعد الحضارى بكـل ما يمثله الوطن العربى من تصادم أيديولوجى مع (صليبية الغرب) دينيًا والذى أخضع المـنطقة لغـزوات مـتعددة وصـراع مديد، ولاسيما إذا وضعنا فى أذهاننا حقيقة هامة وهى أن الـسياسة الخارجـية الأمـريكية تجـاه المـنطقة العـربية إنمـا تنـبع مـن الإدراك "الأنكلـو ـ سكسونى" بخصوص المنطقة والاستراتيجية الأمريكية هى وليدة هذا الإدراك وتنبع عنه فى تعاملـها مـع العـرب والمـسلمين. وثانـيهما: أن اخـتلاف الأنظمة الحاكمة فى الوطن العربى وتـدرجها مـن الـرفض الـتام للوجود الأمريكى إلى التبعية التامة والخنوع التام له فى الوقت الـذى تمـثل فـيه جـسدًا عـربيًا إسـلاميًا واحـدًا، لـه خصائـصه المتـشابهة، قـد جعل هذه الأدوات، تختلف فى أسبقية استعمالها من ناحية، وفى أسلوب التعامل النفسى من جانب آخـر، الأمـر الـذى يعنـى أن هـناك اخـتلافًا واضـحًا علـى سـبيل المـثال فى الغزو الدعائى الأمريكـي لمـناطق الـنفط فـى الخلـيج، عـن المـواجهة مـع العراق وذلك لأسباب متعددة تقع

خارج نطاق هذه الدراسة، ثم يأتى المتغير الثالث وهو أكثرها أهمية وينبع من اختلاف النظام القيمى لأفراد مجتمع الدول المتقدمة عنها عن الدول التى تنتمى إلى العالم الثالث، وهنا تبرز إشكالية أخرى وهى أن الوطن العربى على الرغم من وضعه بأنه ينتمى إلى دول العالم الثالث ولكنه فى التعامل الدولى يخرج عن نطاق هذا العالم ليمثل حالة فريدة لها خصائصها، ممثلة بالبعد الحضارى، والموقع الاستراتيجى والثروة النفطية الهائلة، فهو بعد ركونه خاضعًا للنهب الاستعمارى من جهة إلا أنه يمتلك فى الوقت نفسه القدرة على الوقوف ندًا قويًا وعنيفًا حينما تتوافر له الإرادة الموحدة ضد القوى الكبرى.

إن أهم ما يلاحظ فيما يتعلق بأدوات الحرب النفسية الأمريكية الموجهة إلى الوطن العربى اعتمادها ثلاثة أبعاد، وهى تداخل استعمال أدوات الاتصال الدعائى، والأدوات الثقافية، مع الأدوات العسكرية والإرهاب لتحقيق قدر معين من الردع النفسى، ولما كان الوطن العربى يبعد آلاف الأميال عن القارة الأمريكية فإن التكنولوجيا قد تحكمت فى هذه الأدوات، وحددت بطبيعتها هذه الأدوات المستخدمة وفقًا لأسبقية معينة إذ ترى على سبيل المثال أنه فيما يتعلق بأدوات الاتصال الجماهيرى نجد أن استعمال الاتصال الإذاعى يأتى فى المقدمة، بينما يتراجع الاتصال التليفزيونى من خلال وسائط هى التليفزيونات العربية وأفلام الفيديو كاسيت والأقمار. لذا فإننا نبحث هنا أهم هذه الأدوات:

إذاعة صوت أمريكا باللغة العربية[1]:

بدأت إذاعة صوت أمريكا بثها لأول مرة فى الرابع من شباط ١٩٤١، بخطاب ألقاه رئيس الولايات المتحدة (روزفلت) بعد (٧٩) يومًا من الغارة على ميناء (بيرل هاربر).

أما البث من الإذاعة باللغة العربية فلم يبدأ إلا فى الأول من كانون الثانى (١٩٥٠) فى برنامج مدته نصف ساعة يذاع من مدينة نيويورك على الموجة القصيرة فقط، ثم أصبح فى

---

(١) عن إذاعة صوت أمريكا الموجهة باللغة العربية، انظر د. ماجى الحلوانى، مدخل إلى الإذاعات الموجهة دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٣، ص ١٠٥، وهيريدن، آ. شيللر، المتلاعبون بالعقول ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٦، ص ٢٧ ـــ ٣٠، وأعداد متفرقة من مجلة صوت أمريكا، واشنطن، العدد الأول، ربيع ١٩٨٦، والعدد الثانى، صيف ١٩٨٦، العدد الثالث شتاء ١٩٨٦، ١٩٨٧ والعدد الرابع صيف ١٩٨٧، وأيضا:

World Radio T.V. Hand Book 34th Annualwed A. Bidu Boaro Publication, 985, P 405 - 408.

عـام (١٩٥٢) سـاعة كاملـة يـبث علـى المـوجة المتوسـطة والقصيرة، ومن أجل إيصال البث وتقويـته فـى المنطقة فقد أقام الأمريكان محطة إرسال على ظهر سفينة تابعة لخفر السواحل الأمريكية كانت ترسو بجوار شواطئ جزيرة (رودس) فى البحر المتوسط.

وقـد مـر تطـور هـذه المحطـات بمـراحل عـدة خلال الخمسينيات والستينيات. فى عام ١٩٧٧ إلى مـرحلة اسـتعمال الأقمار الصناعية فى بث برامجها إلى محطات الإرسال والتقوية فـى جزيـرة (رودس) ومن خلال مدة بث وصلت فى عام (١٩٨٥) إلى تسع ساعات ونصف، وخـلال الأزمـة وصـل هـذا الـبث إلى مـا يقـرب من (١٤) ساعة يوميًا. وتمتلك إذاعة صوت أمـريكا عـددًا مـن المكاتـب الإقليمية فى المنطقة هى المكتب الإقليمى فى عمان مهمته تغطية عمـان والـضفة الغـربية ولبـنان وسـوريا والعراق وبلدان الخليج العربى، عدا السعودية والتى فـيها مراسـل يـبعث رسـائله مباشرة إلى إذاعة صوت أمريكا، فضلاً عن مراسليها فى الرباط وتونس والخرطوم وبغداد، ومراسلون ناطقون باللغة العربية جنيف وفينا وباريس وديترويت.

وقـد تركـز الجهد الأمريكى خلال المواجهة التى يخوضها العراق من خلال هذه الإذاعة إذ تمـثل ذلـك بـزيادة سـاعات الـبث وتخصيص برامج كاملة ونشرات أخبار متعددة خلال ثـلاث فـترات للـبث هـى : (عـالم الـصباح) و(بين الظهيرة والمساء) ثم أضيفت إليهما فترة (المـساء) التـى تنتهى بحدود الساعة الثانية بعد منتصف الليل بتوقيت بغداد وذلك قبل بدء العدوان الثلاثينى على العراق وخلاله.

وقـد اتـسعت مـوجات الـبث مـن المـوجة المتوسـطة إلى عـدة مـوجات قـصيرة أخـرى، واسـتعملت محطـات التقوية فى جنوب شرق آسيا فى تقوية البث الإذاعى الأمريكى الموجه إلى الطـرف والـوطن العربى، بوصفه تكتيكًا خاصًا من أجل مواجهة حرب الموجات العراقية المضادة.

وهـى فى الوقت الذى كانت تواصل فيه بث سمومها ضد العراق ومواقفه العادلة، فإنها واصـلت أيـضًا إيـصال المعلـومات إلى الـرعايا الأمـريكان فـى العـراق ومـن خـلال اسـتعمال تكتـيكات متعددة، وكذلك فى تقديم المشورة من أجل تلافى موجات التشويش المضادة ولكن يظـل مـا تبـثه هـذه الإذاعـة وأغلـبه مركـزًا على الموضوعات الإخبارية، ليس إلا تعبيرًا عن العدوانية الأمريكية التى يعرف العراقيون والعرب أهدافها الخطيرة جدًا.

التليفزيون :

منذ عام ١٩٣٩، بدأ لأول مرة البث التليفزيونى المنتظم، وخلال ثلاثة عقود، وصل عدد أجهزة التليفزيون فى الولايات المتحدة إلى (١١٢) مليون جهاز كما أظهرت الإحصائيات فى عام ١٩٧٥، وتهيمن على البث التليفزيونى ثلاث محطات قومية تغطى الولايات المتحدة وهى [1]:

١ ـ شركة (N.B.C) وهى من أقدم الشركات التجارية الأمريكية تأسست فى عام ١٩٢٦ وهى تهيمن على (٢٠٠) محطة بث تليفزيونى محلية.

٢ ـ شركة (C.B.S) تأسست عام ١٩٢٧، وتعد من أهم وأقوى الشركات التليفزيونية الأمريكية، إذ تسيطر على مئات الشركات الإذاعية والتليفزيونية.

٣ ـ شركة (A.B.C) وتشغل المكان الثالث فى أمريكا، إذ تهيمن على حوالى (٢٠٠) محطة بث تليفزيونية محلية.

ويبلغ حاليًا عدد المحطات التليفزيونية فى الولايات المتحدة نحو (٩٤٠) محطة تليفزيونية تجارية وخاصة، فضلاً عن شبكة التليفزيون التربوى (NETV) التى تغطى الولايات المتحدة الحادية والخمسين.

إن استعمال التليفزيون فى الدعاية الخارجية الأمريكية وبشكل واسع إلى مرحلة ما بعد الحرب الكونية الثانية، صحيح أن البث التليفزيونى كان محدود النطاق، إلا أن وكالة الاستعلامات الأمريكية قد اهتمت بهذا الجهاز الحيوى اهتمامًا واسعًا منذ عام ١٩٥٥ إذ كانت البرامج تسجل وترسل إلى الدول (الصديقة) للولايات المتحدة لتقوم ببثها، ومن ذلك على سبيل المثال البرامج الأمريكية التى كانت تبث إلى ألمانيا الشرقية سابقًا من ألمانيا الغربية، إذ تمثل تطور استعمال التليفزيون إلى مرحلة متقدمة، لقد كانت الوكالة فى عام ١٩٦٩ تزود أكثر من (٢٠٠) محطة تليفزيون فى(٩٠) دولة ببرامج وأفلام مسجلة، وفى المدة ما بين (١٩٦٥ ـ ١٩٦٨) أعد حوالى (١٧٤) فيلمًا تسجيليًا مميزًا (Specials)

---

(١) محمد خيرى الوادى، دليل أجهزة الإعلام فى العالم، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٤٢ ـــ ٢٤٣. د. إبراهيم الداقوقى، الأنظمة الإذاعية، مطبعة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٩٦.

وبالطبع كانت هذه الأفلام لا تمثل إلا الدعوة إلى تقليد الأنموذج الأمريكى، يكفى أن نذكر أن ميزانية (خدمة أفلام السينما والتليفزيون) (IWV) التابعة لوكالة الاستعلامات كانت تنفق نحو (١٠) ملايين دولار على العمل الدعائى.

وفى عام (١٩٨٣) بدأت الوكالة بإقامة شبكة تليفزيونية دولية عرفت باسم (ورلدنيت) (Worldnet)، وذلك لتفسير السياسة الأمريكية فى عهد (ريغان) والتى مثلت الاستراتيجية الأمريكية بكل تطرفها وعدوانيتها فى الثمانينيات ولا سيما بعد أحداث غرينادا.

ويقوم هذا ا لنظام على برامج تبث على نقاط مختلفة توصل ببعضها البعض بواسطة الأقمار الصناعية (Hookups)، ويقع مركز هذه النقاط فى السفارات الأمريكية فى مختلف دول العالم، وتحقق للصحفيين الأجانب الفرصة لمقابلة المسؤولين الأمريكيين وطرح القضايا التى تهم الولايات المتحدة والسياسة الدولية، ويعد هذا النظام من أكثر النظم الدعائية الأمريكية فعالية، من حيث ضمان وصول وجهة النظر الأمريكية بشكل سريع إلى كل أنحاء العالم: وهى بذلك تقدم نموذجًا جديدًا باستعمال تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى خدمة الدعاية الأمريكية [١].

إن خطورة التليفزيون الأمريكى بشبكاته المتعددة، تتجلى فى مواصلته تشوية الصورة القومية للعرب فى داخل الولايات المتحدة وخارجها، فضلاً عن تسويق الأنموذج الأمريكى بوصفه (أنموذجًا حضاريًا فريدًا) إلى الأقطار العربية ويكفى أن نشير بخصوص استعمال التليفزيون فى تشويه الصورة القومية للعرب، إلى أن العربى قد أصبح يظهر فى كل أسبوع فى التليفزيون الأمريكى، "حيث يصور على العموم كشخصية ساذجة تثير الضحك والاشمئزاز فهو: أما إرهابى أو طاغية أو شيخ متخلف العقل أو زير نساء أو محدث ثراء، أو تاجر مخدرات أو تاجر رقيق أبيض أو مهرب أسلحة، ولا يكاد يخلو مسلسل واحد من المسلسلات التليفزيونية المعروفة من إشارة سيئة للعرب فى أكثر من حلقة من حلقاته" [٢].

---

(١) د. جيهان رشتى، الدعاية واستعمال الراديو فى الحرب النفسية، م. س. ذ، ص ٣٣٣ ــ ٣٣٤.

(٢) انظر حول الصورة السلبية للعرب فى وسائل الإعلام الأمريكية مقابل الصورة الإيجابية (لإسرائيل).

Michael Wsutem, National stereoupes Asweapons in the ARAB – Israel Confict. Joumal of Palestine Studies, vol, 3, No. 3 ispring. 1974, pp 109 – 121. Michale. C. Hupson and Ronatp. C. ARABS (WASHIGTON D.C. Center for Contemporary ARAB Studies, George, town university, 1986) p. 9 13-36.

ونماذج البرامج والمسلسلات التلفزيونية العديدة هى تعبير عن هذا التصور ففى المسلسل (إمرأة شرطية) يعمل العرب على أخذ أمريكيات إلى حريم زعماء مملكتين وهميتين وفى حلقة من (ست سمارت) يظهر أمير عربى استبد به الغرور فتزوج من (٣٣) امرأة، وفى برنامج (أليبزنطوم) يظهر (الإرهابيون العرب) ووجوههم كوجوه الخنازير وما ظهر العرب قط فى صورة أبشع وأشنع من هذه الصورة [١]. ومن أكثر المسلسلات الأمريكية تعرضًا بالعرب (ملائكة شارلى) و(ملفات روكفورد) والنتيجة أن العربى فى نظر (٣٠٪) من مشاهدى التليفزيون الأمريكى هو مرادف للإرهابى، ويمكن القول أن شبكات التليفزيون الأمريكية قد قدمت صورة العرب على النحو الآتى [٢] :

١ ـ العربى قذر وناكر للجميل.

٢ ـ العربى جبان ومنحط.

٣ ـ العرب ومساعدهم سفاكو دماء ومحتكرو النفط ومتعطشون للجنس غشاشون غدارون.

٤ ـ شيوخ النفط يقتنون السيارات الفارهة إلى جانب الجمال، وهم خاطفو عذارى يتاجرون بالرقيق الأبيض ويهملون الحريم من أجل شقراوات الغرب.

٥ ـ العرب أغبياء ومتخلفون ومهووسون جنسيًا.

٦ ـ العرب مخادعون مظللون محتالون متوحشون.

٧ ـ العرب متعصبون دينيًا، ومجانين لا يحكمهم العقل.

٨ ـ العرب إرهابيون ويريدون تدمير العالم.

ولا نعتقد أن شعبًا آخر كالشعب العربى قد شوهت صورته بهذه البشاعة.

---

(١) وليد شميط (العرب فى العيون الأمريكية) (مال وحريم ونفط)، مجلة المنار، باريس، العدد ٢ شباط ١٩٨٥، ص ٢١٥.

(٢) نصار علمية، سيطرة إسرائيل على الولايات المتحدة الأمريكية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، نقلاً عن مصطفى الدباغ، الحرب النفسية الإسرائيلية/ م . س. ذ، ١٩٨٠، ص ١٠٨.

السينما الأمريكية:

لقد سبق استعمال السينما فى العمل الدعائى أستعمال التليفزيون بمدة طويلة، وقد ساعد تركز وتطور صناعة السينما فى الولايات المتحدة الأمريكية وحجم الإنتاج السينمائى إلى ما يشبه الهيمنة الأمريكية فى مجال السينما، وقد عملت وكالة الاستعلامات الأمريكية وبإشراف وكالة المخابرات الأمريكية، على الترويج لأنموذج الحياة الأمريكية وتمجيد كل ما هو أمريكى، أما فيما يخص صورة العرب، فإنها وفى أواخر النصف الثانى من هذا القرن فإن هذه الصورة فى الأفلام السينمائية قد أظهرت ارتباط العربى (بالفسق والغدر والخديعة المتعطشة للدم، حيث يظهر منحلاً ذا طاقة جنسية مفرطة قادرًا على المكيدة البارعة والمراوغة) [1].

وقد عملت الهيمنة الصهيونية فى هوليوود على تقديم الكيان الصهيونى مركزًا للديمقراطية والحضارة فى وسط بقعة من التخلف والوحشية التى يمثلها العرب، فكانت افلام (طائر العنقاء) و(كارتون سندباد) فى الأربعينيات، أما فى السبعينيات فإن صورة (الإرهابى العربى) وفيه يختطف العرب المغاربة امرأة أمريكية ويطلبون فدية من الرئيس الأمريكى وفيلم (الأحد الأسود) الذى يصور تآمر مجموعة من العرب لقتل المتفرجين فى مباراة لكرة القدم، لولا تدخل ضابط (إسرائيلى)، وفيلم (شبكة التليفزيون) الذى يعلن فيه أن العرب يستولون على أمريكا والمدهش أن هذا الفيلم قد حاز على أربع جوائز (أوسكار) فى عام ١٩٧٧ [2].

وكالات الأنباء الأمريكية [3]:

تمتلك الولايات المتحدة أكبر وكالتين للأنباء فى العالم، تستحوذان على تدفق الأخبار فى العالم وهما :

---

(١) Micheal W. Suleim, op Cit, p. 110.

(٢) مصطفى الدباغ، م . س. ذ، ص ١١١.

(٣) للمزيد عن الهيمنة الأمريكية على تدفق الأنباء، أنظر عوض عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤، ص ٧٤، وما بعدها/ محمد خيرى الوادى، م .س .ذ ، ص ٢٤٣ ـــ ٢٤٤.

(أ) وكالة (الاسويشتدبريس) والتى تعد واحدة من أكبر وكالات الأنباء فى العالم، تأسست عام (١٩٤٨)، ومركزها فى نيويورك وتمتلك الوكالة (٥٠٠٠) مشترك أجنبى ولها مكاتب أخبارية فى (١٠٠) بلد فى العالم.

(ب) وكالة (يونايتدبرس، انترناشونال) وهى الوكالة الثانية فى أمريكا تأسست عام (١٩٥٨) نتيجة لاندماج وكالتى يونايتدبرس وانترناشونال نيوز سيرفس) ولها (٦٥٠٠) مشترك منهم (٢٠٠٠) داخل الولايات المتحدة وقد افتتحت نحو (٢٦٠) مكتبًا إخباريًا فى أقطار العالم.

فضلاً عن هاتين الوكالتين فهناك وكالة (يدبينين) للأخبار المصورة وهى تابعة أصلاً لوكالة (اليونايتدبرس) وتملك (يدبينين) حاليًا شبكة واسعة من المراسلين فى العالم وتزود مئات الشركات التليفزيونية العالمية بالأخبار المصورة وتقدم هذه خدمة يومية إخبارية منتظمة بلغات متعددة، وتعد من أهم أدوات مد النفوذ والهيمنة الأمريكية، فاضطرار الدول النامية، نظرًا لعدم توافر شبكة مراسلين خاصين بها وإمكانيات تقنية كافية، إلى الاشتراك فى وكالات الأنباء العالمية سعيًا منها للحصول على المعلومات والأنباء التى تجرى فى العالم، قد أتاح فرصة واسعة للوكالات الأمريكية للأنباء للاستحواذ على ايصال المعلومات وإيرادها بما يخدم الأهداف السياسية الأمريكية من جانب وفى تحقيق الاحتلال فى التوازن الإخبارى بين الشمال الصناعى والجنوب (المتخلف) فوكالة (يونايتدبرس) مثلا تجد أن أكثر من (٧٠٪) من أنبائها مكملاً للأحداث الجارية فى شمال العالم، وتخصص)٣,٢٪ من أنبائها لأمريكا اللاتينية و(١,٨٪) لأحداث أفريقيا، و(١,٥٪) للاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية.

وإذا ما عدنا إلى دور هاتين الوكالتين خلال حرب تشرين (١٩٧٣) نجد أنهما قد مارستا عملية تشويه وتضليل كبيرة ضد الأقطار العربية، ومن خلال التغطية المشوهة للأحداث، ومحاولة استعداء الرأى العام العالمى ضد الأقطار العربية ومحاولتها استعمال حقها المشروع فى استعمال النفط سلاحًا فى معركتها القومية ضد الكيان الصهيونى الحليف الأول للغرب الاستعمارى.

أما خلال الحرب فإن الكم الهائل الملىء بالدس الذى قامت به هاتان الوكالتان فإنه يحتاج إلى دراسة خاصة ومفصلة.

الأدوات الثقافية:

لقد أصبح المتغير الثقافى واحدًا من أدوات الحرب النفسية الأمريكية سواء أكان هذا المتغير قد أخذ صورة (العلاقات الثقافية الدولية) أم (الاتصال الثقافى الدولى) أم (الدبلوماسية الثقافية)، وقد بدأت الولايات المتحدة متأخرة فى استعمال الأدوات الثقافية فى حربها النفسية قياسًا إلى فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفييتى السابق، وهى الدول التى سبقت الولايات المتحدة بذلك، ففى عام ١٩٣٨ أنشئ قسم العلاقات الثقافية التابع لوزارة الخارجية، وكان حكرًا على الدول الغربية، حتى عام ١٩٤٣ ثم صدر قانون (فولبرايت) فى عام ١٩٤٦، الذى وفر دعمًا خاصًا إذ بدأ معهد التعليم الدولى خدماته لتبادل المنح الدراسية والأساتذة والخبراء من دول العالم، وفى عام ١٩٤٨ خول قانون (سمث - موندت) برنامجاً للعلاقات الثقافية والخدمات الإعلامية على مستوى العالم من خلال تأسيس مكتب خدمات الإعلام ودائرة التبادل التربوى، وفى عام ١٩٦١ نظم قانون (فرلبرايت - هايس) برنامجاً واسعًا للعلاقات الثقافية ووفر تنسيقاً بين مكتب التعليم والشؤون الثقافية فى وزارة الخارجية وبين جميع النشاطات والبرامج الحكومية وغير الحكومية إذ عقدت صلات جديدة بين التعليم والسياسة الخارجية والعلاقات الثقافية الدولية، وقد أخذت عملية التربية والتعليم والتثقيف والدعاية تختلطان فى الغالب[١] فى الاتصال الدعائى والنفسى الأمريكى.

ويمكننا أن نحدد الفلسفة الثقافية الأمريكية بهذا الخصوص من خلال القاعدة التى تنص على (أن الثقافة ينبغى أن تكون الغلاف الخلاب لأية بضاعة سياسية) وهذا ما أكده (Yves Euses) فى كتابه (غزو العقول) فى تحليله لمفهوم السياسة الأمريكية لوظيفة الأجهزة الثقافية، وفحوى الخطاب الثقافى إذ ينظر إلى كل نتاج ثقافى مهما كان شكله أو نوعه على أن يكون له محتوى أيديولوجى واضح.

إن أهم الأدوات الأمريكية المستعملة فى تحقيق الغزو الثقافى فى الوطن العربى قد تركزت فيما يأتى[٢]:

---

(١) Robert Blum. Op, p 82.

(٢) انظر عن ذلك، د. حامد ربيع، احتواء العقل المصرى (التوافق الإسرائيلى الأمريكى)، الأهرام الاقتصادى، العدد (٧٣٨) القاهرة ١٩٨٣ ص ٩، وما بعدها. ورفعت سيد أحمد، محاولة الاختراق

١ ـ المراكز الثقافية الأمريكية المنتشرة فى الوطن العربى.

٢ ـ مراكز البحوث الأمريكية كما هو الحال مع مركز البحوث الأمريكية، معهد دراسات الشرق الأوسط، ومعهد التربية الدولية المتخصص فى منح السلام.

٣ ـ الجامعات الأمريكية فى بعض الأقطار العربية التى لها صلات وطيدة بالمخابرات الأمريكية، إذ ينحصر دورها فى إعداد الصور الموضوعية لواقع الوطن العربى بالرصد والإحصاء، والفرز والتبويب وأن دورها الخفى غير (الأكاديمى) يشتمل على تقديم المادة الخام لأجهزة التحليل الدقيق من المخابرات المركزية إلى أن تستخلص النتائج لنفسها، فضلاً عن ممارستها للتسميم السياسى على عقول طلبتها وهذا ما أظهرته أكثر الدراسات فيما يخص هؤلاء الطلبة.

٤ ـ الكتب والمنشورات الدعائية ولعل ما قامت به مؤسسة (فرانكلين للطباعة والنشر) من غزو ثقافى للمنطقة العربية والدور التخريبى الذى مارسته على الثقافة المصرية يفصح عن جهود المخابرات المركزية الأمريكية لمواجهة الروح التحررية فى المنطقة.

للعقل العربى والعمل العربى المشترك لمواجهته، (تجربة مصر)، مجلة شؤون عربية، العدد (١٤) بيروت كانون الأول ١٩٨٥، ص ١٥١ ــ ١٥٤.

التضليل الإعلامى ضد العراق

منذ توقف العمليات العسكرية فى الحرب العدوانية ضد العراق فى شباط ١٩٩١، صدرت عشرات الكتب والدراسات والمقاولات، التى تناولت مختلف جوانب (أزمة الخليج) و"العدوان الثلاثينى"، ومع ذلك يشعر الدارس أن ما قيل لا يمثل إلا الجزء الظاهر من جبل الجليد الغاطس ولا سيما فيما يخص خفايا الإعداد للحرب والتضليل الإعلامى الذى لم يشهد له عالمنا المعاصر مثيلاً، وسيكون موضع بحث للدارسين لسنوات قادمة أخرى، ولذا فإن البحث فى موضوع التضليل الإعلامى فى الحرب العدوانية ضد العراق، سيظل فى الموضوع الأكثر سخونة وإثارة للجدل والبحث على المستوى الإعلامى فى العالم أجمع، ويعود ذلك إلى أسباب عديدة منها:

١ ـ لم يشهد العالم فى تاريخه حربًا تكنولوجية وإعلامية كالحرب العدوانية، تجلى فيها التفوق التكنولوجى عسكريًا كما تجلى إعلاميا وكان البعد الإعلامى فى هذه الحرب بعدًا أساسيًا اتسم بالسلب، وليس من المبالغة كما يرى بعض الباحثين القول من أن البشرية لم تعرف حربًا بلغ فيها تشويه الإعلام وتزويره مثل الحد الذى بلغه فى (الحرب العدوانية) إذ وقع العبث بالرأى العام فى كل مكان. وداست حق الإنسان أجهزة ما انفكت تدعى الدفاع عن حقوق الإنسان. وقد نتج عن هذا الموقف توخى أساليب إعلامية تتناقض تمامًا وأخلاقيات المهنة الإعلامية. التى غيبتها بشكل فظيع، فحل محلها الكذب والتزوير ومغالطة الرأى العام، إلى حد أن أحدهم سماها (حرب الكذابين) لأن كذب دول التحالف المعادى للعراق كان هو سيد الموقف فيها فى جميع المستويات السياسية والعسكرية والإعلامية.

٢ ـ إنها أول وأوسع حرب تلفازية عمد فيها (التلفاز المحارب) بحسب وصف دوكلاس كليز إلى تركيب أكبر عملية تضليل ودعاية، لم تتعرض لها أمم العالم من قبل، وكانت أسطورة الحرب النظيفة والأسلحة الذكية، تنقل ما يحدث من مآس فى الحرب، على أنها أشبه بلعبة (البيسبول) الأمريكية، وبما لا يثير وخزة ضمير لدى أحدٍ، وكل ذلك جرى لتغييب الوعى وتغليب المشاعر لصالح الماكينة الدعائية والعسكرية الغربية

والأمـريكية، والكارتلات الصناعية التى وجدت فى هذه الحرب فرصتها لتصريف منتجاتها ولا سيما أن أغلب شركات التلفاز، شركات تابعة لها، فالتضليل الذى تعرض له الرأى العـام الأمريكـى والأوربـى بـل وحتـى العربـى يوضح إلى أى حـد كان دور التلفاز والحرب التلفازية خطيرًا جدًا، ويستدعى المزيد من التوقف والتأمل.

٣ ـ لقد أثـارت عمليات التـضليل والخـداع الواسـعة فـى الحـرب العدوانية الكثير من التساؤلات والمخاوف بخصوص الحريات الإعلامية وأخلاقيات المهنة، وحق الاتصال، الذى أضحى حقًا أصيلاً من حقوق الإنسان، ومخاطر الهيمنة الإمبريالية على وسائل الإعلام فى العـالم، فلقـد قـرعت (حـرب الـثلاثين دولـة) ضـد العراق ناقوس الخطر أمام شعوب العالم أجمـع عـن مـستقبل الحقـيقة فى وسائل الإعلام الغربية والهيمنة الإمبريالية الإعلامية على هذه الوسائل وخرافة حرية الإعلام التى يتشدق بها العالم الرأسمالى.

وبعـيدًا عـن الخـوض فـى هـذه المـتغيرات، سـنتعرض فى هذا البحث إلى دور التضليل الإعلامـى فـى الحـرب العدوانـية ضد العراق والأساليب التى استعملت لخداع الرأى العام، وتحـويل مـواقفه الرافـضة للحرب إلى موقع القبول والحياد فى الأقل، من خلال البحث فى فلـسفة التـضليل الإعلامـى لـدى صـانعى القـرار الإعلامى الغربى، والتطبيقات العملية لهذه الأسـاليب. والتـى تفـضح وبـشكل مأساوى خرافة حرية الإعلام وأخلاقيات المهنة الإعلامية فى الغرب.

مفهوم التضليل الإعلامى

مثلما قادت الحرب إلى تطور حاسم وهام فى مفاهيم الاستراتيجية العسكرية، فإنها على صعيد نظرية التعامل النفسى، أظهرت مفهومًا جديدًا يضاف إلى مفاهيمها السابقة وهو (التضليل الإعلامى) وبغض النظر عن وجهات النظر التى تعد هذا المفهوم أسلوبًا من أساليب الحرب النفسية أو جزءًا من مفهوم الحرب الإعلامية، فإنه بوصفه مفهومًا منفصلاً أخذ مكانه فى ضمن مستويات ظاهرة التعامل النفسى. على الرغم من أن جوانبه لم تتأصل من حيث كونه ظاهرة إعلامية وموقعه من فن إدارة وتخطيط الصراع الإعلامى.

(التضليل الإعلامى) من حيث كونه مفهومًا عامًا يعنى الكذب والتشويه والخداع وإخفاء الحقائق للتأثير فى اتجاهات الرأى العام والقيادات العسكرية من خلال تضليلها للحقائق والوقائع، بأحدث فنون التسويق الدعائى والسياسى وتقنيات التعامل النفسى وباستعمال التكنولوجيا المتقدمة إعلاميًا لتحقيق أهداف استراتيجية معينة.

وإذا ما تابعنا تطبيقات هذا المفهوم، فإننا نجد عشرات الأمثلة التى طبقتها الإدارة الأمريكية بنجاح فى الحرب الكورية ثم الحرب الفيتنامية ولكن بحدود، وفى عمليات تصعيد التدخل العسكرى فى فيتنام تعد حادثة خليج (تونكين) أنموذجًا لذلك، ومن ثم ما قامت به الدعاية الصهيونية بخصوص قضية فلسطين، وتشويه صورة الطابع القومى العربى وتطبيقات أخرى لا تقل أهمية عما ذكرنا ولكن الشىء الخطير فى الحرب العدوانية هو أن ما جرى من تضليل إعلامى، قد جرى خلال مدة قصيرة وحقق أهدافًا كبيرة ومن ثم فإن انكشاف أمر هذا التضليل فيما بعد ليس بذى أهمية فى عالم غدت فيه أخلاقيات السياسة والإعلام فى الدول الرأسمالية من الموروثات القديمة التى لا تتلاءم ومتطلبات (النظام الدولى الجديد).

وإذا ما تفحصنا أساليب وتقنيات التضليل الإعلامى سنجد أنه يعد ظاهرة يتميز بما يأتى:

١ ـ من حيث استهداف القيادات،فإنه يختلط هنا بظاهرة (التسميم السياسى) التى تعنى فى واحد من أهم أبعادها التلاعب بإدراك القيادات السياسية، ودفعها لاتخاذ القرارات غير الصائبة، وما حدث للقيادات المصرية فى حرب ١٩٦٧ أنموذجًا لذلك. أما فى (أم المعارك) فكانت المحاولات مستمرة ودائبة، ولكن إدراك القيادة العراقية لما تريد ووضوح أهدافها، جعل من الحملات التضليلية الكبرى بهذا الاتجاه ليست بذات أهمية مادامت قد فشلت فى تحقيق أهدافها.

٢ ـ إن التضليل الإعلامى للرأى العام، ليس فى حقيقته إلا تعبيرًا عن ظاهرة غسل الدماغ فى مستواها الجماعى للإخلال بالنظام القيمى وإعادة ترتيب سلم الأوليات، وكانت عملية تشوية صورة العراق، وأنه الخطر الذى يتهدد العالم، قد استثمرت تبرير الذعر الذى أصاب سكان نيويورك وعواصم أوربية وعربية عديدة من مخاطر الصواريخ الكيماوية العراقية المزعومة كما أن هذا الموضوع بحاجة إلى البحث لتبيان دلالات نجاح هذا النوع من التضليل والذى قاد بشكل وآخر إلى التأثير الكبير فى اتجاهات الرأى العام المناهض للحرب.

٣ ـ لقد قادت أسطورة (الحرب النظيفة) والعمليات الجراحية إلى اعتماد آخر مبتكرات تكنولوجيا الاتصال، لتقديم (صورة إلكترونية أنموذجية) عن الحرب. فهناك طائرات تطير وأخرى تحط، وصواريخ تنطلق وقذائف تتساقط، لكن من دون أن يظهر إلا القليل من الدم، ومن ثم جرى تهميش الوعى. والتساؤل الذى يجب أن يطرح.. أين خسائر هذه الحرب؟! وعلى من تسقط آلاف الأطنان من المتفجرات؟! إنها أسئلة ما عادت تطرح أمام آلاف النماذج التى صيغت بواسطة أجهزة الكمبيوتر لمواقع المعارك، وسير المعارك، إنها كما عبر عنها أحد الإعلاميين الأمريكان (إن حرب الخليج كانت عن الأشباح).. فلم يحدث أبدًا أن سيطرت الصور الإلكترونية المصممة بعناية إلى هذا الحد على (التغطية الإعلامية لأية حرب، فإن مشاهدها التصويرية كانت تنسجم تمامًا مع خطط البنتاغون لإخفاء القتل) وكان وصف (رالف فامليغينا) مدير وسائل إيضاح لأخبار شبكة (إن . بى سى) أكثر دقة عندما قال [1]: (الناس لم تكن تعرف ما يجرى، فقد كانت تزيد قليلاً على كونها ألعابًا.. وكنت قلقًا على أطفالى!! وبطريقة يجعلون بها الحرب تبدو مسلية).

---

(١) م . ن. ص ٩٥.

منطق التضليل الإعلامى الأمريكى

المنطق الإعلامى فى أوسع مفاهيمه لا يعدو أن يكون عملية إقناع أو دعوة للإقناع، وهو بهذا المعنى منطق كلى، ومتكامل يقوم على أساس التناسق وعدم التناقض من حيث مقوماته الداخلية، ويتكون من مجموعة من الحجج التى تؤيد وجهة النظر المخالفة. والحجة تتكون بدورها من العديد من العناصر المنطقية، الإيجابية والسلبية، تتساند جميعها لخلق تناسق فى المنطق الداخلى لكل حجة أولاً، ثم لمجموعة الحجج أى العلاقة فيما بينها ثانيًا، ثم فى العلاقات المتقاطعة بين مختلف أنواع المنطق ثالثًا [(١)].

وكل ذلك يفترض نوعًا من التدرج فى إيراد الحجج وصولاً لتحقيق أهداف المخطط الإعلامى، وتكن أهمية هذا التدرج فى صياغة الأهداف جزئيًا ومرحليًا تحقيقًا للهدف الأساسى، وما جرى فى الحرب العدوانية كان تدرجًا واضحًا لمنطق التضليل الإعلامى فى الحرب من الإدارة الأمريكية ودول التحالف خلال المدة التى سبقت أحداث الثانى من آب ١٩٩٠. ثم إبان (أزمة الخليج) حتى بدء العدوان العسكرى ١٩٩١/١/١٧، وانتهاء العمليات العسكرية واستمرار العدوان فيما بعد.

تدرجات منطق التضليل الإعلامى الأمريكى، قامت على أساس النظرية التى وضعتها العالمة الألمانية الأصل والأمريكية الجنسية (مارتا ولنفشتاين) التى تبدأ بمرحلة ما قبل العنيفة ثم المرحلة العنيفة وتليها المرحلة الثالثة مرحلة ما بعد المرحلة العنيفة،الأولى سبقت أحداث آب وانتهت مع بدء الحرب، والثانية استمرت طوال (٤٢) يومًا من الحرب العسكرية المتواصلة، والثالثة أعقبت هذه المرحلة ومازالت مستمرة. وما يهمنا هنا هو تبيان منطق التضليل الإعلامى الأمريكى خلال المرحلة ما قبل العنيفة ثم المرحلة العنيفة إذ نلاحظ على تدرجات هذا المنطق ما يأتى:

١ ـ لقد بدأت بإثارة العداء تجاه العراق وتشويه صورته من خلال قضية الجاسوس البريطانى (بازوفت) وموضوع (المدفع العملاق) و(المتسعات) ومن خلال تهويل القوة

---

(١) د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية. م.س. ذ، ص ١٩٥.

العسكرية العراقية ومخاطر هذه القوة على المنطقة والعالم والادعاء بامتلاك العراق الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية، وصواريخ تحمل هذه الأسلحة فضلاً عن المدفع العملاق، وتأكيد أن المواقف الرسمية العراقية تمثل تهديدًا للسلام ومن الضرورى اتخاذ مواقف وإجراءات قانونية مضادة وأن هناك موقفًا سلبيًا تجاه العراق ولا بد من محاصرة العراق علميًا لوقف مخاطر التهديد (الإسرائيلى) و(للسلام فى العالم) [1].

٢ ـ مع بدء أحداث الثانى من آب . ١٩٩٠ اتخذ المنطق التضليلى الأمريكانى أبعادًا أخرى وعلى النحو الآتى [2].

(أ) من اليوم الأول اكتفت الإدارة الأمريكية بالإعلان أنه ليس هنا معاهدة للدفاع عن الكويت بخصوص ما جرى من دخول القوات العراقية للكويت.

(ب) تحولت هذه النبرة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لابد لها من الدفاع عن الشرعية الدولية ضد (الاحتلال العراقى للكويت).

(جـ) التدرج الثالث كان هو أن الولايات المتحدة الأمريكية سترسل قواتها إلى السعودية للدفاع عنها ضد خطر غزو عراقى محتمل.

(د) وبعد أن اكتمل حشد القوات رفعت الإدارة الأمريكية شعار (تحرير الكويت).

٣ ـ ومع بدء العدوان العسكرى فى ١٧ كانون الثانى ١٩٩١. كان المنطق الضليلى قد أخذ تدرجًا أخر.

(أ) تحول شعار (تحرير الكويت) إلى عملية تدمير البنية العسكرية والصناعية فى العراق.

---

(١) بخصوص قضية الجاسوس بازوفت والمتسعات والحملة الدعائية التى تعرض لها العراق قبل أحداث الثانى من آب، انظر باسل محمود سلوم، توظيف الأخبار فى الدعاية، قسم الإعلام، كلية الآداب ـــ جامعة بغداد ـــ رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٩١، ص ١٩٨ وما بعدها.

(٢) انظـــر عن ذلك مصطفى الدباغ، الخداع فى حرب الخليج، مكتبة الرسالة الحديثة، عما ١٩٩٣، ص ٥١١، وأيضا جين إدوارد سميث، حرب جورج بوش، ترجمة محمود برهوم وتقولا ناصر، دار الفكـــر عمـــان، ١٩٩٢، ص ٨٥، وما بعدها، ورامزى كلارك، النار هذه المرة، جرائم الحرب الأمريكية فى الخليج، ترجمة مازن حماد، الشركة الأردنية للصحافة والنشر، عمان ١٩٩٣، ص ٣ وما بعدها.

(ب) ثم تحول الهدف إلى تدمير العراق بأكمله لإعادته إلى العصر الحجرى.

(جـ) ثم أصبح بعد ذلك استهداف السيد الرئيس القائد صدام حسين نفسه.

(د) ثم تحول المنطق إلى تغيير النظام العراقى بأكمله، لإنهاء الحرب والحصار.

وإذا ما تفحصنا هذه التدرج فى منطق التضليل الإعلامى سنجد أن الهدف الأساسى الكامن وراء ذلك هو تدمير العراق واستهداف الوجود العراقى بأكمله، وبتحقيق هذا الهدف ستكون الإدارة الأمريكية قد ضربت القدرة العربية فى الصميم وأمنت الحماية للكيان الصهيونى وهيمنت على الثروات النفطية العربية.

أساليب التضليل الإعلامى

لقد مارست الإدارة الأمريكية وحلفاؤها ضروب الكذب والخداع والتعتيم شتى، لتمرير أهدافها، وقد سقطت مع هذه الأساليب أخر دعاوى حرية الإعلام، وديمقراطية النظام الرأسمالى وأخلاقياته، إذ لم تتورع الإدارة الأمريكية عن ممارسة أبشع الوسائل وأشدها قذارة تجاه العراق والرأى العام الأمريكى والأوروبى بل والرأى العام الدولى برمته وأن المساوئ التى يلحقها الأمريكان والغرب بالدعاية النازية، تقف متضائلة مما حدث فى الحرب العدوانية من فقدان الأخلاقيات الإعلامية إن لم نقل انعدامها، وقد اتخذت هذه الإدارة ثلاثة اتجاهات عامة هى:

أولاً : تشويه صورة العراق:

إنه لأمر عجيب هذا الخليط المتنوع من الكذب والخداع لتبرير شن العدوان أولاً ثم لتنفيذ خطة التدمير الشامل ضد العراق بهدف إخراجه ـ كما صرح وزير الخارجية الأمريكى ـ من القرن العشرين وإعادته إلى العصر الحجرى، ويجمع المحللون والدارسون للإعلام فى حرب الثلاثين دولة أن وسائل الإعلام التى سخرها الغرب لحملته على العراق كرست أقصى الطاقات والإمكانات لتشويه الحقائق وإسباغ الشرعية والعدالة على حرب مدمرة ظالمة[1]، وكان هدف التشويه الأساسى، تجسيد صورة الشر بالعراق بعده عدوا خطرا إن لم نقل أنها صورته على أنه يمثل كل الشرور فى العالم التى تهدد الديمقراطية والحرية والإنسانية فيه. وهناك الكثير من الشعارات الزائفة، ومن أبرز صور هذا التشويه:

١ ـ التلويح بخطر ما أسمته بالتوسع العراقى ووجود مخططات عراقية لتقسيم الجزيرة العربية تشارك فيها دول عربية، وسيطرة العراق على منابع النفط فى الخليج بما يهدد مصير السلام ورفاه أوربا وأمريكا. وعلى هذا الأساس روجت وسائل الإعلام الغربى قصصًا خيالية مدسوسة كان هدفها إثارة مخاوف دول الخليج العربى من الخطر العراقى المزعوم والادعاء بأن العراق يتحكم بأكثر من (٤٠٪) من الاحتياطى النفطى لإثارة الرأى العام

(١) دوكلاس كليز، حرب الخليج التليفزيونية م . س. ذ، ص ٤.

العالمى وفى هذا الصدد يقول (جيمس اكنز) فى مقالته عن (مستقبل الشرق الأوسط فى النظام العالمى الجديد) [1]. إن استعمال مثل هذه الروايات الخراقية جرى بشكل متعمد من أجل تجزئة المنطقة والتوقف عن مساعدة الدول العربية الفقيرة وذلك من خلال تقسيم العرب إلى عرب أغنياء طيبين وعرب فقراء شريرين. ومن الجانب الآخر وصف دخول العراق للكويت بأنه يمثل انقلابًا خطيرًا فى ميزان الاقتصاد العالمى، وأن معدل البطالة فى الولايات المتحدة قد ارتفع بسبب ذلك ووصل إلى أعلى معدل فضلاً عن وضع أسواق الأسهم العالمية والبورصات لتأكيد حالة الضرر التى شملت كل نواحى الحياة وعلى المستويات كافة وللدول كافة، وكان الهدف الأساسى من وراء ذلك تبرير شن العدوان وتهيئة الرأى العام العالمى لتقبل ذلك.

٢ ـ تضخيم حجم القوة العسكرية العراقية، لقد بدأت عملية إعداد الحرب العسكرية ضد العراق بمدة طويلة سبقت أحداث آب من خلال تضخيم القدرات العسكرية العراقية، وتلفيق التقارير الدولية عن هذا الموضوع وكان الهدف من وراء ذلك تخويف دول الخليج المجاورة وتوريطها فى شن الحرب على العراق فيما بعد من جانب آخر. وما أن وقعت الأزمة ثم الحرب حتى بلغت عملية التخويف من القوة العراقية أوجها، إذ عد لهذا الموضوع من خلال:

(أ) التهويل فى حجم القوات العسكرية فى الكويت وأنها قد وصلت إلى مليون مقاتل.

(ب) وأن العراق يمتلك خزينًا هائلاً من الأسلحة التقليدية وأسلحة التدمير الشامل والتى تشكل خطرًا كبيرًا على القوات الأمريكية الموجودة فى السعودية.

(جـ) ثم تضخيم فاعلية الاستراتيجية العسكرية العراقية ومرونتها فى مواجهة القصف الجوى وسهولة التكيف مع التنقل إلى مواقع جديدة وكل ذلك جرى بطريقة توضح أن العراق مازال يرفض التفاوض والانسحاب ومن ثم تبرير استمرار العدوان الشرس والعنيف.

يضاف إلى ذلك كله أنه كان هناك هدف لا يقل أهمية، هو محاولة تضليل القيادة العراقية بحقيقة الوضع العسكرى. واستعمال ذلك لصالح قوى الحرب.

---

(١) نقلاً عن مصطفى الدباغ، م، س. ذ، ص ٥١.

ثانيًا : أسطورة الحرب النظيفة [1]:

أن كـان لكل حرب أساطيرها فإن أسطورة الحرب النظيفة والقصيرة كانت خدعة ماكرة وأن البـضاعة التـى أراد البـيت الأبـيض تـسويقها هـى أسطورة ليست بالجديدة ففى فيتنام قالـوا فـى الـبداية أنهـا سـتكون معـارك قـصيرة وأن القـصف كـان جـراحيًا وسيتقلص عدد الـضحايا إلى الحـد الأدنـى والضرورى، وفى الحرب العدوانية أعيدت الأسطورة الكاذبة من جديـد للدلالـة علـى (إنـسانية) قـوات الـتحالف وكـان ذلـك جـزءًا مـن التقالـيد الأمريكية الـسياسية والعـسكرية فـى الكـذب والهدف من وراء ذلك الرأى العام بأنه يدعم حبًا قصيرة ونظـيفة لأن الإدارة الأمـريكية تعلـم جـيدًا من خلال حرب كوريا وفيتنام أن الرأى العام لن يـساند حـربًا دمـوية طـويلة ولكـن يمكـنه أن يـساند حـربًا نظـيفة وعديمة الرائحة لذا عمد البنـتاغون إلى خلـق جـو مـتفائل اسـتند إلى أن الأمـور تجـرى علـى ما يرام فى الأيام الأولى للحـرب ممـا أدى إلى إحـساس الـرأى العام الأمريكى بنشوة الانتصار ومن ثم تصاعد التأييد للحرب من (٤٧٪) إلى (٨٠٪) فى ليلة ١٧ ـ ١٨ كانون الثانى ١٩٩١ ولا سيما أن ما حدث مـن قـصف جوى مدمر لبغداد قد صور على أنه (العاب نارية رائعة الجمال) بحسب وصف مراسـلى شـبكة (C.N.N) فـى بغداد ولم تكن الثرثرة عن الألعاب النارية الجميلة من باب المـصادفة بـل كـان الهـدف مـنها خـداع الرأى العام وتضليله وإخفاء المعانة وما كان يحدث علـى الأرض مـن تدمير وقتل آلاف المواطنين العراقيين لذا منعت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها عـرض أى فيلم يصور حجم الدمار والضحايا بل ونشر أى صورة عن الموضوع. وعندما قصف ملجـأ العامـرية فـى واحـد من أفظع جرائم الحرب فى القرن العشرين كان التبرير أن هناك خطـاءً أرتكـبه العـراقيون عـندما جلـبوا المواطـنين إلى موقـع قـيادة عـسكرى، واستمرت فى الخـداع والتـضليل بمـنع أى صـوت شـريف أن يقـدم صـورة لما حدث ويفضح كذب أسباب الحرب النظيفة والتى كانت تزكم الأنوف برائحتها القذرة.

---

(١) انظر عن أسطورة الحرب النظيفة، ميشيل كولون، احذروا الإعلام، ترجمة ناصرة السعدون، وزارة الـــثقافة والإعـــلام، مركز أبحاث أم المعارك، بغداد، ١٩٩٤، ص ٥٥ ـــ ١٣٧. وأيضا رامزى كلارك، م . س. ذ، ص ١١١ـــ ١٩٣.

ثالثًا : النظام الدولى الجديد وتبرير شرعية الحرب:

مثلما كانت أسطورة الحرب القصيرة والنظيفة جدًا ! ! قد قادت إلى خداع الرأى العام وتضليله فإن البحث عن مبرر وشرعية لما يحدث من عدوان آثم، قد قاد الرئيس الأمريكى جورج بوش إلى إطلاق كذبة أخرى وهى النظام الدولى الجديد والذى لا يعنى سوى الهيمنة الأمريكية بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتى وقد اتضحت أبعاد هذه الكذبة جليًا بعد وقف العمليات العسكرية واستمرار الحصار ضد العراق.

موضوع النظام الدولى الجديد مثلما أكد جميع علماء السياسة لا وجود له وإذا كان العالم قد عرف نظام تعدد الأقطاب ثم المرحلة الانتقالية ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ثم القطبية الثنائية فإن ما حدث بعد انهيار الاتحاد السوفيتى لا يعنى نظامًا جديدًا بأى حال من الأحوال،ولكن كان المطلوب من ذلك هو :

(أ) تقديم الولايات المتحدة على أنها تمتلك الشرعية طبقًا لذلك.

(ب) وهذه الشرعية تمنح الولايات المتحدة بحسب قول أحد المسؤولين الأمريكان (بما أعطاها الله من ثروات وخبرات، حق إرشاد بقية العالم إلى السلام والاستقرار والعدالة الاجتماعية) [1].

(جـ) وأن ما تقوم به من حرب ضد العراق إنما هو (لخدمة مصالح معظم الدول وليس من أجل النفط فحسب ولكن من أجل السلام العالمى) [2].

(د) ومن أجل تحقيق الشرعية الدولية فى إطار النظام الدولى الجيد فإن من الضرورى إنهاء (الاحتلال العراقى للكويت).

وكان الهدف من وراء ذلك كسب الشرعية الدولية أمام الرأى العام العالمى لتبرير الحرب ضد العراق.

وهكذا كانت حرب الثلاثين دولة ضد العراق حرب الكذابين بحق بحسب وصف أحد المحللين الأمريكيين قامت على أساس الكذب والخداع والتعتيم على الحقائق والفضائح الإعلامية فيما جرى من تضليل مقصود ومتعمد أظهر بشكل واضح صريح لا أخلاقيات

---

(١) إذاعة صوت أمريكا، نشرة الإنصات وكالة الأنباء العراقية ف ١٩٩٠/٨/٥.

(٢) إذاعة صوت أمريكا، نشرة الإنصات، وكالة الأنباء العراقية فى ٢٤/ ٩/ ١٩٩٠.

السياسة الغربية وانهيار أسطورة الإعلام الحر والعالم الحر وأن العالم مطالب بأجمعه احترامًا للحقيقة ولحقوق الإنسان بأن يتوقف مليًا أمام ما حدث فى هذه الحرب العدوانية والذى بات يهدد مصداقية وأخلاقيات العمل الإعلامى فى الصميم بخطوات واضحة تدين ما حدث ويحدث الأن من استمرار الحصار ضد العراق الذى يظل الضمير الإنسانى أمامه فى محنة عسيرة .. وهى محنة صعبة حقًا.

المبحث الثانى

الحرب النفسية الصهيونية ـ (الإسرائيلية)

- التميز بين (اليهودية والصهيونية والإسرائيلية)
- مراحل العمل الدعائى الصهيونى
- مراحل تطور الحرب النفسية (الصهيونية الإسرائيلية)
- مؤسسات وأجهزة تخطيط (الحرب النفسية الإسرائيلية)
- أساليب الحرب النفسية (الإٍسرائيلية)
- مجالات الحرب النفسية (الإٍسرائيلية)

الحرب النفسية (الصهيونية ـ الإسرائيلية)[1]

قبل أى حديث عن الحرب النفسية الصهيونية و(الإسرائيلية) لابد أن نميز بين (اليهودية والصهيونية والإسرائيلية) على الرغم من أننا نلمس الخلط والمزج بين المفاهيم الثلاثة فى تصور واحد إلا أنه لكل مفهوم معناه وحدوده.

اليهودية عقيدة دينية استطاعت أن تحتفظ بنوع من الاستمرارية مع الاندماج المرتبط بوحدات اجتماعية معينة. فاليهودية بهذا المعنى هى عقيدة دينية، ممارسة دينية، استمرارية تاريخية وحدة اجتماعية [2]. هذه هى المفاهيم العامة فى تشكيل المفهوم العام لليهودية.

أما الصهيونية فهى تعميق لليهودية مذهبًا وتصورًا حضاريًا للوجود السياسى، فهى تعبير عن اليهودية فى إحدى مراحلها من جانب وفى أحد تطبيقاتها بالوجود السياسى من جانب آخر، دون أن تفقد التصور الحضارى بل تؤكده وتعلن صراحة أن ما تريده هو نقل اليهودية من مفاهيم حضارة العصور الوسطى التى عرفتها اليهودية فى المجتمعات الأوربية إلى مفاهيم عصر النهضة أى التصور الغربى اللاحق للثورة الفرنسية. بهذا المعنى يتحدد مفهوم الصهيونية على وفق العناصر الآتية: اليهودية، مذهب سياسى، تصور حضارى[3].

---

(١) لقد درسنا الأنموذج (الصهيونى ـــ الإسرائيلى) عن كثب من خلال إشرافنا على دراستين هامتين تناولتا الموضوع وهما دراسة لقاء مكى العزاوى، الحرب النفسية للكيان الصهيونى فى تشرين ١٩٧٣، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام ـــ كلية الآداب، بغداد، ١٩٨٨، ودراسة عبد المنعم كاظم الشمرى، الدعاية الصهيونية فى عملية تهجير اليهود السوفيت، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام ـــ كلية الآداب، بغداد ١٩٨٩، إذ وردت بعض النتائج التى توصلنا إليها فى هذا المبحث.

(٢) د . حامد ربيع، الدعاية الصهيونية، م . س. ذ، ص ١١.

(٣) م . ن .

ويكمـل هـذه المفاهـيم (الإسـرائيلية) التـى هـى إرادة سياسـية تمركـزت حـول الوجـود الحكومـى والتعـبير النظامـى مـن منطلق التصور الصهيونى وبهذا يتحدد مفهومها فهى دولة وأداة سياسـية وإدارة حكومـية وعـضو فـى الأسـرة الدولـية ولكـنها فـى كل ذلك تنطلق من مـنطلق التـصور الـصهيونى [1]. وممـا لاشـك فـيه أن العلاقة بين المفاهيم الثلاثة علاقة ثابتة وتحمـل الاستمرارية الإعلامية أن التميز بين الأبعاد الثلاثة يصير منطلقًا أساسيًا لفهم حقيقة التعامل النفسى فى التقاليد الصهيونية.

إن المعـركة التـى يعيـشها العـالم العربـى فـى صـراعه مع الصهيونية هى ليست معركة حديـثة بـل تـرجع فى أصولها إلى بداية إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية وقد انتبه مخططو المنظمة ومنذ البداية الأولى إلى عملية التوجيه والدعاية والتى جعلت هدفها الأول إنشاء دولة (إسـرائيل) فـى فلـسطين ويكفى بأن أحد خمس قوى للمنظمة الصهيونية والمؤتمر الصهيونى الـذى انعقـد فـى بازل بسويسرا عام ١٨٩٨ كان يسمى (بمكتب التوجيه المركزى) الذى كان بمـثابة مكـتب إعلام مركزى للمنظمة الصهيونية العالمية والذى يرتبط مباشرة برئيس المنظمة الـصهيونية العالمـية[2] . وعلـى هـذا الأساس أولت الحركة الصهيونية عناية فائقة لمخططها الدعائـى المـوجه للـيهود أنفـسهم وللـرأى العـام فـى الدول التى يتواجد فيها اليهود لتبرير مـشروعها فـى إيجـاد وطـن لهـم واسـتعطاف الـدول الكـبرى فى حل هذه المسألة وقد انتبه (هرتـزل) منذ ذلك التاريخ إلى الرأى العام اليهودى فأصدر نشرة عن الدول اليهودية ترجمت إلى اللغـتين الإنكليـزية والفرنـسية فى حين أنصاره كانوا قد شكلوا جمعية (أصدقاء صهيون) والتـى كـان أهـم أهـدافها هـو نـشر اللغـة العبرية كما لو كانت لغة حية تمهيدًا للهجرة إلى فلسطين واستعمار أراضيها وفى الوقت نفسه أعلنت تلك الجمعية (ليس الهدف الذى نسعى إلـيه جمـع شمـل اليهود وكلهم فى وطن واحد بل إيجاد مركز واحد للشعب اليهودى) [3]. ولتحقيق هذا الهدف حدد المؤتمر العمل من أجل تحقيق الخطوات الآتية:

١ ـ تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

---

(١) م . ن وانظر أيضًا هانى الهندى، عن الصهيونية وإسرائيل، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٩.

(٢) د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية م . س. ذ، ص ١٤..

(٣) م . ن .

٢ ـ تنظيم اليهود وربطهم عبر مؤسسات مناسبة على الصعيد المحلى والعالمى كل منها بحسب قوانين البلد المعنى.

٣ ـ تقوية الحس القومى والوعى اليهوديين وتعزيزهما.

٤ ـ اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول إذ يكون ذلك ضروريا لتحقيق هدف الصهيونية.

وقد وقع العبء الأكبر على عاتق الدعاية الصهيونية فى تحقيق تلك الخطوات على أوسع نطاق وعلى الجبهات كافة التى وجب التحرك فى ضمنها. ولهذا السبب أولت الصهيونية عناية. فائقة لمخططها الدعائى الموجه لليهود أنفسهم وللرأى العام فى الدول التى يوجد فيها اليهود لتبرير مشروعها فى إيجاد وطن لهم واستعطاف الدول الكبرى فى حل هذه المسألة.

ولما كان مجال عمل الحركة الصهيونية واسعًا زمانا ومكانا وموضوعًا فإن هذه الحركة (عبرت دائمًا بمرونة واضحة عن طبيعة المرحلة التى تجتازها واستطاعت القيادة الصهيونية أن توظف عملية التعامل النفسى للهدف المرحلى الذى سعت إلى تحقيقه)[1] وللنجاح فى ذلك فإن (دراسة الطابع القومى المحلى كان أحد الأسس التى قام عليها إعداد الدعاية الصهيونية.. فهى تحدث كلا بمنطقه وكلا بلغته وهى تصل فى ذلك إلى حد عملية تخطيط الإستراتيجية المحلية فى هجومها الدعائى) [2]. بالاعتماد على عنصر التخطيط الذى يسيطر على تقاليد التعامل النفسى فى تاريخ الحركة الصهيونية منذ بدايتها حتى اليوم[3].

وتمحورت المرونة أو التكيف المحلى للهجوم النفسى الصهيونى دوما حول الهدف الاستراتيجى العام للحركة الصهيونية وهو إقناع الرأى العام اليهودى وغير اليهودى فى أوروبا بإنشاء وطن قومى لليهود ليغدو هذا الهدف بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ مركزا على كسب الشرعية القانونية والسياسية لهذا الوطن الذى تحددت إقامته فوق أرض فلسطين. ذلك أن (كان نقطة تحول هامة فى تاريخ الحركة الصهيونية أشعر اليهود بإمكان

---

(١) د. حامد ربيع، م . س. ذ، ص ٩٧.

(٢) د. حامد ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية، م. س. ذ، ص ١١٨.

(٣) د. حامد ربيع، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، م . س. ذ، ص ٢٣٣.

وسهولة تحقيق فكرة الوطن القومى وأزال كل اختلاف فى وجهات النظر حول مكان هذه الدولة اليهودية)[1] مما أدى إلى تركيز الجهود الصهيونية نحو هذه الغاية المركزية المدعومة من أكبر قوة استعمارية فى ذلك الوقت.

وقد تعزز هذا الجهد الصهيونى بعد انتقال مقر الحركة الصهيونية من جنيف إلى نيويورك عام ١٩٣٩ فى المدة الزمنية نفسها تقريبا التى انتقل فيها مركز الثقل الاستعمارى من أوربا إلى الولايات المتحدة إذ أضحى الهدف الأساس للدعاية الصهيونية عقب ذلك التاريخ (خلق قوة دافعة شعبية وجماهيرية تساند الحركة الصهيونية سواء بخلق الأنصار المؤيدين لها أو بخلق الرأى العام المساند للاعتراف بالشرعية الدولية)[2]، للدولة اليهودية لا سيما بعد أن تمت الاستفادة الدعائية الضخمة من المجازر النازية ضد اليهود وكما توضحت نتائجه فيما بعد بصدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧.

ويمكننا أن نميز بين مرحلتين هامتين فى تاريخ العمل الدعائى الصهيونى ثم (الإسرائيلى) أى ما بين ولادة المنظمة الصهيونية العالمية وحتى إنشاء الكيان الصيهونى عام ١٩٤٨ وهذه المراحل هى:

١ ـ المدة التى تنتهى بانتهاء الحرب العالمية الثانية إذ جعلت منطلقها التاريخى كتاب (دولة اليهود) لهرتزل واتجهت فى خطابها إلى مراكز القوى فى العالم بقصد الحصول على تقبل شرعية الوجود الصهيونى لا إلى المجتمع الجماهيرى ـ لتحصل على التأييد الدولى، وكانت لغة المصالح هى التى تسود المنطق الدعائى[3]. ونجحت الدعاية فيها فى تدويل المشكلة وجعلها مشكلة عالمية تناقش فى الحلقات الدولية ونشطت لجلب أكبر عدد من المهاجرين وتأمين استيطانهم وتعبئة يهود العالم وتنظيم صفوفهم وتأمين دعمهم كما وضح بجلاء ارتباط الدعاية بالاستراتيجية السياسية الصهيونية [4]. فتوجهها بالحصول على وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين. وفى هذه الفترة استطاع العمل الدعائى أن

---

(١) حامد محمود، الدعاية الصهيونية: وسائلها وأساليبها وطرق مكافحتها، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ نشر، ص ٣٤.

(٢) د . حامد ربيع، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، م . س. ذ، ص ٥٣.

(٣) م . ن .

(٤) غازى السعدى، منير الهور (الإسلام الإسرائيلى) دار الجيل للنشر، عمان، ١٩٨٧، ص ٥٢.

يدفع ما يسمى بـ (لجنة الإعلام العام) التى نشطت فى أمريكا عام ١٩٢٩ إلى الضغط على البيت الأبيض من خلال التجمعات الحاشدة والنشاطات الدعائية الأخرى[١].

٢ ـ المدة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الاعتراف الدولى عام ١٩٤٨ بالكيان الصهيونى، شهدت تركز الحركة فى الولايات المتحدة وسعت الدعاية فيها إلى خلق تيار قوى من الرأى العام الأمريكى بحيث تبنت السياسة الأمريكية مهمة الدفاع عن شرعية إقامة دولة يهودية[٢]. كما دخل عنصر السيادة (الدولية) لمنطق الدعاية الصهيونية[٣]. وتمثلت أيضًا بتهيئة الأجواء العالمية لاستقبال الكيان الجديد، مع استمرار النشاط فى جلب أكبر عدد من المهاجرين اليهود إلى فلسطين، والتصدى إلى مقاومة الشعب الفلسطينى[٤].

ونتيجة لتضافر الدعاية والدبلوماسية استطاعت الصهيونية أن تحقق ما كانت تطمح إليه إذ أظهرت المسألة اليهودية وكأنها قضية شعب مضطهد يكافح من أجل الاستقلال[٥]. وبذلك حصلت على أكبر مكسب فى تاريخها وهو قبول قرار التقسيم وإنشاء دولة يهودية فى فلسطين.

وتميزت الدعاية فى هذه المدة بأنها دفاعية يختلط فيا مفهوم المنطق السياسى بعناصر الدعوة السياسية وتختلط فيها اللغة الموجهة لليهود وغير اليهود.

وقد اتبعت الاستراتيجية الدعائية الصهيونية خلال هذه المدة أربعة أبعاد هى [٦]:

١ ـ اللجوء إلى الإعلام الجماهيرى بجميع أنواعه.

---

(١) د. حامد ربيع، الحرب النفسية فى المنطقة العربية، م. س. ذ، ص ٥٣.

(٢) م . ن.

(٣) حسنى خشبة، (مدخل لدراسة الدعاية الصهيونية) ندوة المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين، نيسان، ١٩٨١، ص ١٠.

(٤) مروان كنفانى (حول وسائل الإعلام الصهيونى) ندوة المركز العرب لبحوث المستمعين والمشاهدين، بغداد، ١٩٨١.

(٥) د. نواف عدوان وآخرون، تحليل مضمون الدعاية الصهيونية الموجهة عبر الإذاعة والتليفزيون باللغة العربية ورقة عمل، مجلة البحوث، بغداد، العدد ٥، أيلول ١٩٨١، ص ٢٤.

(٦) د . حامد ربيع منطق الدعاية الصهيونية، م. س، ذ، ص ٤٤.

٢ ـ جعل الاتصال الشخصى بجميع مسالكه أداة سياسية من أدوات التأثير فى مراكز اتخاذ القرار وفى قادة الرأى.

٣ ـ خلق أدوات الترغيب سواء من خلال المصالح أم تقديم المعونات أم اللجوء إلى أسلوب التلاعب بالجنس (كن واثقًا تستطيع أن تتزوج من فتاة يهودية حسناء)[1] .

٤ ـ استعمال أسلوب الإرهاب.

لقد استطاعت الحركة الصهيونية أن تمتلك خبرة واسعة فى مجال الانتفاع من الخبرات السابقة وأساليبها بل وتطويرها وصولا إلى تحقيق أهدافهم. وفى الوقت نفسه إيجاد قاسم مشترك بين الأساليب السابقة وأساليبهم الحديثة. ومن الجدير بالذكر أن تلك الخبرات كان لها الأثر البالغ فى تطوير عملهم الدعائى لتصير الدعاية أداة مهمة من أدوات حركتهم السياسية ولتعطى الدليل على أنها لم تنطلق من الفراغ. هذا الحديث يفرض علينا متابعة المصادر الأولى لتأصيل العمل الدعائى وكما حددها الدكتور حامد ربيع [2]:

١ـ التقاليد الفرنسية.

٢ـ التقاليد الشيوعية.

٣ ـ الخبرة النازية.

٤ ـ الخبرة الإسلامية.

والتى سنتناولها بالتفصيل نماذج للتعامل النفسى:

١ ـ الأنموذج الإسلامى: القائم على أساس الدعوة وخلق علاقة الولاء بالجماهير.

٢ ـ الأنموذج الفرنسى : يرتبط بالثورة الفرنسية ـ ١٧٨٩ ـ والذى يدور حول محور الكرامة الفردية وتضخيم الإيمان بالذات الإنسانية (تعميق التمايز فى نفس اليهودى) إذ استغل الأنموذج الصهيونى مبادئ الثورة الفرنسية.

٣ ـ الأنموذج النازى : تعميق العقد النفسية وخلق التماسك حول الطبعة الحاكمة (الأداة السياسة فى إسرائيل) وبث الفتنة أى استعمال المنطق الاستفزازى فى الدعاية ومن

---

(١) م . ن.

(٢) الدعاية الصهيونية، ص ٨٣.

ثم تضخيم العقد النازية ونقاء الدم الآرى أخذت اليهودية منه الشيء الكثير لا يحق لليهودى أن يتزوج من غير اليهودية سواء كانت مسيحية أم من طائفة أخرى.

٤ ـ الأنموذج الشيوعى: ويمثل التعامل مع منطق الجماهير واستعمال فكرة الخطاب المباشر مع الشعوب الأجنبية ثم التخطيط والتنفيذ المرحلى فى التعامل النفسى والعمل الدعائى.

مراحل تطور الحرب النفسية الصهيونية ـ (الإسرائيلية)

فى ضوء ما تقدم فإن الحرب النفسية الصهيونية (الإسرائيلية) قد مرت بأربع مراحل هامة فى تطورها وهى:

١ ـ المرحلة الأولى: تمتد هذه المرحلة منذ الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩) وحتى نهاية القرن التاسع عشر(مرحلة الدفاع اليهودى) أخذ تقاليد الثورة الفرنسية (الحرية والإخاء المساواة) وإعادة تشكيل الشخصية اليهودية فيما يتعلق بالمجتمع الأوربى (تنظيف صورة الشخصية اليهودية) أى تلميع الصورة وإسباغ وإعادة كتابة التاريخ اليهودى.

٢ ـ المرحلة الثانية. وتبدأ هذه المرحلة منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى (بازل عام ١٨٩٧) وتمتد حتى بداية الحرب العالمية الثانية فى ١٩٣٩ لتبرير التواجد السياسى ومنطلقاتها تقبل الوجود اليهودى السياسى إذ يظهر للوجود الكيان الصهيونى وتقبل شرعية الوجود اليهودى ضمن الأسرة الدولية وأنها تتجه إلى الرأى العام كله.

٣ ـ المرحلة الثالثة: تمتد من عام ١٩٣٩ وحتى تأسيس الكيان الصهيونى فى عام ١٩٤٨ وفى هذه المرحلة نقل ثقل المنظمة الصهيونية العالمية فى أوروبا فى جنيف إلى أمريكا (لأن أمريكا لم تدخل فى حرب ولم تضعف اقتصاديا وأغلب اليهود الأثرياء انتقلوا هناك لضمان استثمار رؤوس الأموال إلى أمريكا) وتهدف إلى كسب تأييد الرأى العام الأمريكى فى مجلس الطوارئ الصهيونى فى نيويورك ١٩٣٩ والذى أعيد تنظيمه عام ١٩٤٩ اتسمت بتصعيد التآزر بين الحركة الصهيونية والمجتمع الأمريكى للحصول على الولاء المادى والمعنوى المطلق.

٤ ـ المرحلة الرابعة: تمتد هذه المرحلة من تاريخ إعلان الكيان السياسى الصهيونى والاعتراف بشرعية الوجود (الإسرائيلى) حتى حرب ١٩٦٧ وإبراز الحركة وإنشاء الكيان الصهيونى.

الدعايـة توجهت نحو عرب فلسطين للرضوخ والقبول بالوجود الصهيونى ولتقبل العرب هذا الوجود وتشمل أيضًا.

- استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
- توسيع النطاق الإقليمى والاستيلاء على القدس.
- تطوير هذا الكيان ليصبح الدولة الكبرى الأقوى فى المنطقة.
- إيجاد مجال حيوى تستعمل فيه الإمكانات والطاقات كافة.
- فرض وجودها على العرب بوصفهم دولة قائمة لا تقهر ولا تزال (إسرائيل دولة صغيرة محاطة بدول معادية وإنها تتمتع بطاقات هائلة والوصول إلى قبول العرب بالأمر الواقع).

٥ ـ المرحلة الخامسة: وتمتد هذه المرحلة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ حتى حرب رمضان ١٩٧٣ وتتميز دعايتها بالأسلوب الهجومى الاستفزازى والتحدث بلغة الدولة الكبرى المسيطرة وتشتمل هذه المرحلة على :

- التوجه إلى العالم الخارجى ولا سيما أمريكا والتأثير فى صانع القرار السياسى والاستمرار فى إيجاد موجات من الرأى العام تساند صانع القرار من مواقفه.
- التوجه إلى اليهود فى الخارج للمزيد من الدعم والهجرة (إسرائيل الكبرى).
- التوجه إلى العرب فى الداخل لجعلهم القناة المؤيدة مثل الحزب (الشيوعى الإسرائيلى) المؤيد للسياسة الإسرائيلية فى العالم العربى.
- التوجه إلى العرب فى الخارج (إسرائيل القوة التى لا تقهر والجيش الذى لا يدحر).

٦ـ المرحلة السادسة: وتمتد هذه المرحلة من سنة ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٩١ اتسمت هذه المرحلة بالصواريخ العراقية والحد من الهجرة داخل إسرائيل والذعر خوفًا من العرب والتحالف مع إيران.

وقد صبت هذه الخبرات مجتمعة فى صياغة تقاليد الدعاية الصهيونية ثم (الحرب النفسية الإسرائيلية) بعد قيام الكيان الصهيونى إذ شهدت الحرب النفسية تطورا هامًا ومثلما أكدنا فى البداية فإن الفهم الدقيق لطبيعة (الحرب النفسية الإسرائيلية) يتطلب

تأكـيد حقيقة هامة وهى أن (الإسرائيلية) جزء من الصهيونية وأداة سياسية لها. ولذلك فإن خـصائص هـذا الـتعامل لابـد أن تكون فى إطارها العام وفى حصيلتها النهائية منسجمة مع دور الكيان الصيهونى بوصفه أداة سياسية للصهيونية.

ومن هذا المنطلق تميز الكيان الصهيونى من الحركة الصهيونية فى زاوية التعامل النفسى الـذى كـان علـى الكـيان الجديـد أن يكـيفة ويصيغ قواعده على وفق أوضاعه الجديدة. فقد (أصـبح المطلـوب الآن هـو الدعاية لكسب المزيد من تأكيد الشرعية والاعتراف القانونى بهذا الكـيان، كما أصبحت الدعاية تنطلق من أبواق (دولة) وتتحدث فى نطاق رسمى)[١]. بعد أن أصبح لهذا الكيان وجود دولى معترف به وجهاز حكومى متكامل.

وعلـى الـرغم مـن أن تحليل الأصول الحركية (للدعاية الإسرائيلية) لا يمكن إلا أن يتمد إلى المـدة الـسابقة علـى الاعـتراف الـدولى، بـسب عـبث أى محاولـة لفهـم المنطق (الدعائى الإسـرائيلى).. إلى أن هـذه الحقـيقة تـرتبط أيـضًا بواقع أن الحركة الصهيونية سعت خلال نـصف قـرن مـن الـزمان للحـصول علـى الـشرعية القانونية والسياسية.. كذلك أضحى على (إسـرائيل) أن تـسعى بـدورها لاكتـساب شرعيتها القانونية والسياسية فى الانتماء للإقليم.. الـشرعية القانونـية حـصلت علـيها ابتداء من قرار التقسيم وبحكم حق الفتح ولكن شرعيتها الـسياسية أى فى الانتماء إلى إقليم الشرق الأوسط اقتضت منها صراعات متعددة[٢] استعملت فيها الحرب النفسية فى مواجهة القوى العربية ومازالت تستعملها حتى اليوم.

مؤسسات وأجهزة تخطيط الحرب النفسية (الإسرائيلية).

إن أهم المؤسسات التى تتولى النشاطات الدعائية المتنوعة هى[٣] :

١ ـ دائرة الإعلام.

٢ ـ دائرة التعاون الدولى.

٣ ـ دائرة العلاقات الثقافية والعلمية.

٤ ـ المكتب الصحفى بوزارة الخارجية.

---

(١) د. مصطفى الدباغ، الحرب النفسية الإسرائيلية، مكتبة المنار، عمان. ١٩٨٦، ص ٥٧.

(٢) د حامد ربيع، الدعاية الصهيونية، ص ١ وما بعدها.

(٣) غازى السعدى، منير الهور، م . ص. ذ، ص ٢٧ ـــ ٤٨. ط ١، ١٩٨٧.

٥ ـ قسم رعاية الضيوف الرسميين.

تعد (دائرة الإعلام) هى الجهة المسؤولة عن تخطيط وتنسيق نشاطات الإعلام (الإسرائيلى) والصهيونى عامة فى دول العالم كما تقوم بعقد الاتفاقيات مع كل مكاتب خدمات الدعاية فى المنظمات الصحفية خارج حدود الكيان الصهيونى [١].

وهنا لابد أن نذكر بأن نشاطات الحرب النفسية والعمل الدعائى (الإسرائيلى) فى العالم تتمثل بأجهزة الإعلام الدعائى الآتية[٢] :

١ ـ البعثات الدبلوماسية والقنصلية الإسرائيلية.

٢ ـ المراكز الإعلامية (الإسرائيلية) فى (نيويورك وباريس، بوينس إيرس، زيورخ).

٣ ـ جمعيات الصداقة مع (إسرائيل) فى أغلب دول العالم.

٤ ـ المعاهد الثقافية (الإسرائيلية).

٥ ـ الطلاب (الإسرائيليون) فى الخارج.

٦ ـ التنظيمات الصهيونية اليهودية فى الخارج وهى :

- المنظمة الصهيونية العالمية (وتسمى فروعها بالاتحادات الصهيونية).
- الوكالة اليهودية (وتسمى مكاتبها بالجمعيات والمنظمات).

ومن المنظمات اليهودية والجمعيات نذكر مثلا.. منظمة هداسا ومنظمة النساء اليهوديات ومنظمة الشبيبة اليهودية والصندوق القومى اليهودى والنداء (الإسرائيلى) المتحد.

كما تقوم بالعمل الدعائى الإعلامى فى أوروبا ـ أيضًا ـ مجموعة كاملة من المنظمات الصهيونية الأخرى، منها منظمة مجلس الحاخامات الأمريكيين والجمعيات اليهودية ورابطة الدفاع عن اليهود.

ويترافق العمل الدعائى الصهيونية الخارجي جنبًا إلى جنب فى العملية السياسية مع عمل دوائر وزارات أخرى، كوزارة التربية والسياحة والحرب كما تشارك الدوائر المختلفة

---

(١) حسين العودات (الدبلوماسية والدعاية الإسرائيلية) جريدة تشرين السورية ١٩٧٩/١/٢٢، بحث مترجم عن مجلة الحياة الدولية.

(٢) د . مصطفى الدباغ، الحرب النفسية الإسرائيلية م. س. ذ، ص ٣٥ ــ ٣٦.

أجهـزة المخابـرات فـى جمـع المعلـومات للاسـتفادة منها فى الدعاية الخارجية إذ أن رجل الإعـلام الـصهيونى لابـد لـه مـن أجل أداء مهماته الإعلامية كاملة من الاعتماد على أجهزة المخابـرات وجمـع المعلـومات فتـتولى تزويده بالحقائق التى تلزمه لتكون إطارا مقبولا لما يريد تحريـره مـن دعايـة مدسوسـة[1] . كما أنها تقوم بافتعال الأزمات ـ أحيانًا ـ لتكون موضوعًا دعائيًا مناسبًا لتحقيق هدف معين.

أم (وزارة الحـرب) فقـد وضـعت تحـت سـيطرتها (إدارة التعاون والعلاقات الخارجية) بهـدف نـشر تـأثير الأيديولوجـية والـسياسة الـصهيونية فـى الخـارج وقـد نـشطت أعمالها الدعائية ولا سيما فى دول أفريقيا.

---

(١) هارون المحاميد (محتوى برامج الإذاعة والتليفزيون الإسرائيلية ـــ باللغة العربية) بحث ندوة المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين، نيسان ١٩٨١.

أساليب الحرب النفسية (الإسرائيلية)

إن أهم هذه الأساليب هى :

١ـ التركيز على هدف واحد وفى وقت واحد مثل الحملة الكبيرة التى تتحدث عن ظلم اليهود فى الاتحاد السوفيتى فى الدول الاشتراكية [1]. إذ ركزت وسائل الإعلام هذه على هذا الهدف وفى وقت واحد.

٢ ـ أسلوب خلق مصادر مختلفة للأخبار (رسائل كاذبة) أى صحيفة ترى بأن هنالك أخبارًا عن اضطهاد اليهود ووقع الظلم عليهم من أجل استمالة عواطف الرأى العام.

٣ ـ إخفاء الأخبار الملائمة للخصم وتضليله: (إسرائيل) تتفنن دائمًا فى عرض المعلومة.

٤ ـ أسلوب التحويل السريع للأخبار أى أنها لا تعطى تأكيدًا للخبر وإنما تنقل الخبر عن مصادر مطلعة أو أى مصادر يمكن التراجع النهائى عنها فى الوقت نفسه.

٥ ـ إشاعة عدم الثقة بالنفس وإيقاع المستهدف بالتخبط الفكرى والتشكيك بحضارة العرب.

---

(١) د. حميدة سميسم، الإعلام الصهيونى فى الدول الاشتراكية، مجلة المستقبل العربى العدد ٨٤، ١٩٨٦، ص ٧٥.

مجالات الحرب النفسية (الإسرائيلية)

تتنوع مجالات هذه الحرب فى أربعة مجالات أساسية إذ تمارس نشاطها وهى:

أولاً : فى المجال العربى

١ ـ زرع بذور الفرقة بين كل عربى وآخر بوسائل مختلفة.

٢ ـ زرع روح الاستسلام والرضوخ.

٣ ـ محاولة عزل المواطن العربى عن قيادته.

٤ ـ بث روح اليأس والشك بين أفراد الشعب نفسه.

٥ ـ النيل من وحدة الصف العربى.

٦ ـ التشكيك فى مقومات الأمة العربية وتأكيد الروابط الطائفية والعراقية والإقليمية.

٧ ـ إبراز أوجه التخلف الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والعربى.

ثانيًا : فى المجال الفلسطينى

١ ـ التعايش السلمى: و(التطبيع) فى فلسطين أن الفلسطينيين يجب أن يعيشوا بسلام.

٢ ـ تشكيك شعبنا فى فلسطين بقدرة الجيوش العربية على تحرير فلسطين.

٣ ـ تخلى العرب عن الفلسطينيين فى الداخل. التهديد والترغيب والترهيب، إذ لم يستجيبوا للأوامر الإسرائيلية.

ثالثًا : فى المجال (الإسرائيلى)

١ ـ (إسرائيل) فى حالة حرب دائمة مع العرب وستبقى مستمرة إلى أن تتمكن من تحقيق أهدافها فى التوسع.

٢ ـ إن فلسطين هى نقطة الارتكاز ليهود العالم.

٣ ـ الدولة اليهودية: هى الدولة المسؤولة عن كل يهودى فى فلسطين أو خارجها. (أى ربطهم ليس بالأرض فقط وإنما بالنظام والدولة).

٤ ـ استقرار الدولة وازدهارها هي الخطوة الأولى لعودة (ملكوت إسرائيل طبقًا للوعد الإلهى).

رابعًا : فى المجال العالمى

الحصول على مساندة معنوية ومادية من خلال :

١ ـ الاعتماد على الجاليات اليهودية فى العالم بالعمل العلنى والسرى لمساندة الحركة الصهيونية.

٢ ـ إقامة مراكز أو محطات لليهود فى أنحاء العالم (فى فيينا، بولونيا، وإيطاليا).

٣ ـ تحقيق السيطرة على الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى أو التجارة ومواد الطباعة.

٤ ـ تحقيق السيطرة على رؤوس الأموال فى العالم.

٥ ـ محاولة تفتيت الديانات الأخرى كالإسلام والمسيحية عن طريق التخريب الروحى وتدمير القيم والأخلاق، وتركز فى ذلك على الحق التاريخى والاستغلال الدينى فى تحقيق أهدافهم (الحق الإنسانى) فى استغلال ما حدث فى وقت معين واستغلال عطف العالم.

نستدل من كل ما تقدم أن الحرب النفسية من حيث كونها مستوى من مستويات التعامل النفسى وجدت فى أحضان الحركة الصهيونية مجالاً خصبًا للاستخدام المكثف وكانت الخلفيات العقائدية والتاريخية لهذه الحركة التى تستعدى كل من لا يدين لها بالولاء ـ أشخاصا أو منظمات أو دولا ـ تملك الاستعداد لاستعمال جميع الوسائل بغض النظر عن ماهيتها أو درجة أخلاقياتها للوصول إلى أهدافها.

وكان كل ذلك عنصرًا أساسيًا من عناصر تبنيها للحرب النفسية بجميع مستوياتها بوصفها استراتيجية شمولية وعدها أسلوبًا مهما من أساليب تحقيق غايات الحركة الصهيونية المرحلية أو بعيدة المدى.

وكانت هذه النظرة هى نفسها التى اعتمدها الكيان الصهيونى الذى استعمل فى حربة النفسية فى أثناء وبعد إنشائه نفس الأسس التى استعملتها الحركة الصهيونية مثل الخداع والعنف والإرهاب وتسخير الجهد الدبلوماسى والدعاية الهجومية المستندة إلى أسس علمية تدرس الخصم لتحدد الأطر والمحاور الملائمة واستخدام التسميم السياسى والفكرى أسلوبًا للوصول إلى الخصم بغية تحطيمه.

المبحث الثالث

الحرب النفسية الإيرانية

- تقاليد التعامل النفسى الإيرانى.
- مفاهيم الدعوة والدعاية فى فكر (خمينى).
- مفاهيم التعامل النفسى فى فكر (على شريعتى).
- الحرب النفسية الإيرانية .. الخصائص والأساليب

الحرب النفسية الإيرانية

يعد انتصار العراق الحاسم على إيران مرحلة تحول خطير فى تاريخ العرب والمنطقة الإسلامية لأنه أول انتصار يحققه العرب بعد سلسلة من الهزائم المؤلمة أمام هجمات العدو الصهيونى لذلك فإنه حمل منذ البدء ـ كل معانيه ودلالاته الوطنية والقومية معًا.

ولقد كان الانتصار العراقى ـ وهذا هو الأمر المهم ـ ليس مجرد انتصار عسكرى، بل كان انتصارًا شاملاً فى كل شىء فى الحضارة وفى الفكر وفى طريقة الحياة وفى وسائل وطرائق المجابهة كافة وعلى الرغم من ظهور العديد من الدراسات فى السنوات الأخيرة والتى ألقت الضوء على الخبرة العسكرية المضافة التى امتلك ناصيتها طرفا الحرب العراقية ـ الإيرانية، فى واحدة من أطول الحروب التى عرفها القرن العشرون ومع تناول العديد من المحللين العسكريين لجوانبها العسكرية بالتفصيل والتحقيق فإن ظاهرة التعامل النفسى بمستوياتها المتعددة والتى تبث دورها الكبير وراء الكثير من النجاحات والإخفاقات على الصعيدين العسكرى والدبلوماسى على السواء، مازالت فى دائرة العتمة يكتنفها الغموض وقصور المعرفة الواضحة بصفات القتال النفسى من الجانب الإيرانى بشكل خاص. ومرد ذلك فى قناعاتنا إلى أسباب متعددة فى مقدمتها غياب الدراسات النفسية وندرتها فى أغلب الأحوال وعدم توافر أدبيات العمل النفسى بسبب ظروف الحرب وما تتطلبه تلك الظروف من دواعى الكتمان والسرية ما يجعل مهمة الباحث عسيرة بل أقرب إلى المستحيل فى أغلب الأحيان.

وهذه الدراسة محاولة فى هذا الاتجاه فهى تعنى بتحديد المفهوم وبيان مقاصده والغاية منه واستقصاء أدواته وأساليبه على قدر الممكن والمستطاع لعلها تثير بعض الأوجه الخفية من المسألة وتثير لدى الآخرين الرغبة فى اقتحام هذه الدائرة المعقدة من الدراسات النفسية العسكرية.

تقاليد التعامل النفسى الإيرانى

إن ثمة أمرًا يسترعى الانتباه ويدعو إلى التفحص والتأمل فى دراسة أدبيات الاتصال النفسى الإيرانى سواء أكان دعوة أم دعاية أم حربًا نفسية وهو الحديث الذى لا يكاد ينقطع عن نظرية إعلامية تتميز مما هو معروف فى الفكر السياسى عن النظريات الإعلامية المعروفة. وهى ما تسمى بنظرية الإعلام (الإسلامى) ولكثرة الاجتهادات فى محاولة تأصيلها من حيث كونها مفهومًا أيديولوجيًا يرتبط بأيديولوجية (الثورة الإيرانية)[1].

نشير إلى حقيقتين أساسيتين .

١ ـ وفقًا لنظرية (ولاية الفقيه) التى تعنى أن تخطيط وإدامة العمل الدعائى والنفسي يخضع لأراء واجتهادات (الفقيه) فى هذا المجال لذا فإن أية دراسة لتقاليد التعامل النفسى الإيرانى منذ وصول خمينى إلى السلطة عام ١٩٧٩ لابد لها أن تبدأ بدراسة هذه التقاليد فى فكر خمينى ليس بوصفه (نائب الإمام) فقط وإنما لكونه المهيمن على اتجاهات المؤسسة الدينية الإيرانية ولأن أداة السياسة الخارجية الإيرانية تقع فى دائرة إشرافها المباشر.

٢ ـ بقدر كون (أيديولوجية الثورة الإيرانية) تمثل اتجاهات صبغتها (الحركة الخمينية) ووسمتها بطابعها الخاص فإن الدراسة الواعية لهذه (الأيديولوجية) تظهر لنا، أنها بشكل أو بآخر تضم أفكارًا واتجاهات أخرى صحيح أنها تقع فى ضمن الإطار الدينى العام السائد فى إيران إلا أنها تقع من جهة أخرى خارج دائرة هذه المؤسسة وربما تعارضت معها بشكل صريح فى جوانب معينة إلا أن تعارضها هذا لا يشكل تقاطعًا جديًا وإنما يأتى بصورة متوازنة لكونه تعبيرًا عن حالة الاجتهاد، وأفكار وآراء (على شريعتى) تمثل آنموذجًا فى هذا الإطار.

ولابد من الأخذ بالحسبان أن مراكز القوى والمصالح فى إيران تتحرك تحت الغطاء (الأيديولوجى) الذى يتداخل أحيانًا مع اعتباراتها ومصالحها إلا أنه يدخل ـ أحيانًا

---

(١) نستخدم ــ هنا ــ التسميات المجردة، كما هــو وارد فى أدبيات الإعــلام العــالمى، والتحليل السياسى، وبحسب مقتضيات الأمانة الموضوعية للبحث.

أخـرى- فى تناقضات مباشرة أو غير مباشرة تطرح نفسها بشكل أيديولوجى أو سياسى أيضًا فالـسقف الأيديولوجى المشترك يضم تحته سقوفًا عدة ليس بالضرورة من طبيعة أيديولوجية، فالمـصالح الاقتصادية والسياسية قد تتلبس الطرح الأيديولوجية باتجاه أهدافها فى منعطفات كثيرة.

مفاهيم الدعوة والدعاية فى فكر (خمينى)

إن معـرفة أفكـار (خمينـى) ليـست مقصورة على مرحلة بقائه حيًا فقط ذلك لأن خمينى لـيس فـردًا مجـردًا بل هو رمز لظاهرة إيرانية معينة ومحددة تاريخيًا ومن ثم فإن عدم بقائه علـى قيد الحياة لا يعنى النهاية الفورية لأفكاره وانقطاع تأثيراتها نهائيًا علمًا بأن موت رمز الظاهـرة يـضعف إلى حد كبير استمرارية تأثير تلك الأفكار وقد يكون ذلك مدعاة لنشوء أزمة داخلية عميقة سببها الصراع الناجم بين ورثته غير المتشابهين.

مـن دراستنا المتواضعة لأغلب ما كتبه خمينى منذ مرحلة الأربعينيات حتى قيام (الثورة فـى إيـران) وصعوده إلى الـسلطة نجـد أن اهتمام الخمينية بوصفها حركة سياسية بالتعامل النفسى قد مر بمرحلتين مميزتين:

المـرحلة الأولى : تمـتد هـذه المـرحلة من عام ١٩٤١ حتى أواخر الستينيات إذ نجد أنه فى كتاب (كشف الأسرار) تناول مفهوم الدعوة والتحويل العقائدى فى أكثر من موضوع على الـرغم مـن أن خمينـى يـشير إليها بتسمية (دائرة الدعاية الإسلامية) والتى يعدها (من أكبر الدوائـر) فـى الدولـة الإسـلامية أما المهام التى تقوم بها هذه الدوائر فإن خمينى حددها فى ثلاثة جوانب:

١ ـ الدعاية العسكرية: (العسكرى الذى ينشأ على ما تروجه دائرة الدعاية الإسلامية لا يعتبر روحه ملكًا له بل يعتبرها ملكًا للإسلام والإله)[(١)] .

٢ ـ الدعايـة الدينية: وتعد أكثر الدوائر أهمية (ولو أن الدعاية الدينية راجت فى بلادنا لرأيتم ما لم تروه فى الأحلام) [(٢)].

---

(١) روح الله خمينى، كشف الأسرار، المطبعة الإسلامية فى طهران، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد ١٩٨٣، ص ٢١٧.
(٢) م . س. ن، ص ٢١٨.

٣ ـ الدعايـة الاقتـصادية: (إذ لو تمت إقامة دائرة للدعاية الإسلامية فإنه قلما يبقى من يتهـرب مـن دفـع الـضرائب والرسـوم)[١]. إذ أن (هـناك ضرائب إسلامية أخرى لو نظمتها دائرة الدعاية فإن ميزانية البلاد تتضاعف)[٢].

ويـنفذ هـذا العمل الدعائى من خلال إدراك الاتصال الشخصى أولا و(إعلام المنبر) ثانيًا. هـذا الفهـم لـدى خمينـى اسـتمر طـوال عقـد الأربعينـيات والخمـسينيات حتـى منتـصف الستينيات ويبدو أن أحداث عام ١٩٦٣ والتى انتهت إلى أن يبعده الشاه إلى تركيا ثم العراق ومـا رافقهـا مـن اعـتماد أدوات الاتصال الجماهيرى من الدعوة والتحول العقائدى قد غيرت مـن موقـف خمينـى تجـاه اعتماد أدوات الاتصال الجماهيرى فى الدعوة والتحويل العقائدى حـاملا بـوادر مـتقدمة لإعطاء التعامل النفسى أهمية أكبر وقد ظهر ذلك فى كتابه (الحكومة الإسـلامية) إذ توسـع فـى عملـية الإفـتاء مـستعملاً إياهـا فـى أوجـه شـرعية تميزت بكثرة تفاصيلها وتعددها.

المـرحلة الثانية[٣]: تمتد هذه المرحلة من عام ١٩٦٩ إذ صدر كتاب (الحكومة الإسلامية) وحتـى وصـول خمينـى إلى طهـران فـى الأول مـن شـباط ١٩٧٩ وكـذلك مجمـوعة خطاباتـه ونداءاته وقد تميزت هذه المرحلة بـ:

- تقديم خمينى للتعامل النفسى عاملا ممهدا لقيام (الحكومة الإسلامية) وإسقاط الشاه.
- اخـتلاط مفهـوم الـتحول العقائـدى بالدعايـة التـى أخـذت تبرز بشكلها المحدود فى اتـصال دعائـى حـيث لم تعـد تقتـصر دعـوته لإسقاط الشاه على الإيرانيين بوصفهم جمهـورًا محليًا قوميًا وإنما اتسعت الدائرة على النطاق الإسلامى والعالمى متوجهًا إلى جمهـور غـير قومـى محايـد (مـبدأ تصدير الثورة) الذى رفعته الخمينية والتى تعمل

---

(١) م. س. ن، ص ٢٢٢.

(٢) م. س. ن، ص ٢٢٩.

(٣) تتمـثل بالأدبـيات الخاصة بالمرحلة الثانية من تطور الفكر الدعائى الإيرانى لدى خمينى، بثلاثة مـؤلفات أساسـية هى الخمينى، الحكومة الإسلامية المكتبة الإسلامية الكبرى، طهران، من دون تاريخ، والخمينى التناقض الأساسى بين الإسلام والإمبراطورية (خطاب هام ألقاه الخمينى فى جامعة الـنجف) منشورات الحركة الإسلامية فى إيران، العدد رقم (٣)، النجف، الخمينى، جهاد النفس والجهاد الأكبر، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٤.

لاهـثة مـن أجل تحقيقه وتطبيقه حتى ولو أدى إلى إثارة الفتن وإشعال نار الحروب بـين المـسلمين. فالوصـول إلى الأوسـاط الإسلامية من خلال استغلال الآراء السياسية والاقتـصادية لـبلدانها هـو جـزء أسـاس مـن العقـيدة الإيرانية التى تبحث عن وسط (إسـلامى) دولى. يكفـل لها تحقيق أوسع قدر من البلبلة والتشويش لخدمة أغراضها وللدخـول فـى الـساحة الإسـلامية الواسـعة بـصفة المـنقذ ولإخفـاء العقـدة الطائفـية الإيرانية البحتة لها.

وإذا مـا جاز لنا وصف النشاط الإيرانى بعبارة محددة قلنا إنه يهدف ـ عالميا وإسلاميا ـ إلى خلق (التنظيم) من خلال (الفوضى).

مفاهيم التعامل النفسى فى فكر (على شريعتى)

يذكر فاضل رسول فى كتاب (هكذا تكلم شريعتى)[1] أنه لولا جهود شريعتى لما قامت (الثورة الإيرانية) فى تلك المرحلة وبتلك الصورة. أما الدعوة فى (فكر شريعتى فتمتزج بالتحويل العقائدى وفى جميع كتاباته لا يخرج التعامل النفسى لديه عن هذا التوجه والذى يبدو أكثر وضوحًا فى إدارته (حسينية الإرشاد) فى طهران خلال أوائل السبعينيات إذ كانت مهمته تتحدد فى [2]:

١ ـ الوعظ والخطابة.

٢ ـ مراسيم الاحتفالات والتعزيات الدينية وإقامة الشعائر.

٣ ـ الفيلم والمسرح.

٤ ـ معرض لأعمال الرسم والتصوير.

٥ ـ الحج.

٦ ـ المؤتمرات العلمية والندوات وعقد المؤتمرات الإسلامية.

٧ ـ إعادة وطبع أشرطة تسجيل لنصوص المؤتمرات والمحاضرات والنصوص العلمية والدينية والأدبية والإسلامية وتلاوة القرآن والأشعار والأناشيد والكلمات التى لها قيمة إسلامية.

---

(١) فاضل رسول، هكذا تكلم على شريعتى، ط ٢، دار الحكمة للنشر، بيروت ١٩٨٣، ص ٧.

(٢) عن مفاهيم التعامل النفس لدى على شريعتى، انظر بوجه الخصوص على شريعتى، ماذا يجب عمله ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد، بلا تاريخ، ص ١٥٢، وما بعدها.

الحرب النفسية الإيرانية.. الخصائص والأساليب[1]

إن كـان ثمة خصائص تبرز جوانب الحرب النفسية الإيرانية فإنها تتجلى بشكل خاص من خلال مستويات الحرب النفسية، إذ نلاحظ أن هناك سمتين رئيسيتين:

١ ـ الحـرب النفـسية كاستراتيجية: سبقت كل ممهدات الصراع الجسدى ومنذ الأشهر الأولى لـنجاح الـثورة ووصـول خمينـى إلى الحكـم. نجـده يتمـثل بالتـصريحات والتهديدات الإيـرانية لاحـتلال العـراق ومـنطقة الخلـيج العربـى أنمـوذج لتلك التهديدات الإيرانية بشن (هجوم نصف المليون والمليون).

٢ ـ التعـبير الآخـر عـن الحـرب النفـسية الإيـرانية بالاسـتراتيجية يتمـثل فـى الموقـف الإيرانى فى رفض الوساطات والإصرار على استمرار الحرب.

٣ ـ الحـرب النفـسية التكتيكـية: يتمـثل تطبـيقها ولا سيما فى بدء القتال فى استعمال (تكتيكات الفزع) وهى:

ـ القصف المدفعى المركز للمدن والقطاعات العسكرية العراقية.

ـ استعمال أسـلوب الموجات البشرية وذلك من خلال أساليب الدفاع التعرضى وأسلوب الموجات البشرية المتعاقبة لغرض إيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر.

ـ تكنيك الخداع أو التمويه العسكرى.

وهكذا فإن الاتصال النفسى الإيرانى كما أظهرته الحرب العراقية الإيرانية اتصف بكونه دعـوة وبكـل مـا تعنـيه هـذه الكلمـة من مفاهيم ومعالم وحرب نفسية فى الوقت نفسه، فهو دعـوة إلى حـد مـا وحـرب نفـسية إلى الحـد نفسه والذى عاش تناقضه ما بين المستويين من مـستويات الـتعامل النفـسى انعكـس علـى أسـاليب الحرب النفسية الإيرانية إلى حد كبير، ولكـن يظهـر مـن خـلال مـتغير الإرهـاب فـى حالة من التأرجح والتوازن القلق ما بين كونه يهدف إلى تدمير الذات القومية ومحاولة الوصول إلى درجة ما من الإقناع.

---

(١) بـــشأن خصائص الحرب النفسية الإيرانية وأساليبها، انظر د. حميدة سميسم، تحليل منطق الدعاية الإيرانية ١٩٨٨، ص ١٨١ــ ٢١٠.

الخاتمــة

إن كانـت الحـرب النفـسية بوصـفها تعـاملا مـع المجـتمع القومـى إذ تـستخدم جميع الأدوات والمـسالك بقـصد تحقيق هدف واحد هو تحطيم الثقة بالذات القومية فإنها اصطلاح جديـد وظاهـرة حديثة نسبيًا من حيث التأصيل والتنظير والعلمية، فإنها قديمة قدم الإنسان مـن حيث الممارسة ويظهر تأصيل جذورها أن تطورها عبر مراحلها المتعددة ليس إلا انعكاساً للحقـيقة الحـضارية، وامـتدادا لهـا ومثلما قدر لحضارة وادى الرافدين أن تشهد أول حرف للكـتابة وللـنظام السياسى فى تاريخ البشرية، فقد كان لها أيضًا السبق فى وضع أول أصول تطبـيق ظاهـرة الـتعامل النفسى والحرب النفسية بالذات بل إن الكثير من القواعد الأساسية المتـبعة فـى القتال النفسى الآن قد عرفها العراقى القديم ملكًا وقائدًا ومحاربًا. وهو ما نلمسه بوضوح فى تطبيقات أساليب الحرب النفسية المعاصرة.

وقـد أظهـرت دراسـات أسـاليب الحـرب النفـسية وهـى (الدعاية، الإشاعة والإرهاب، غسل الدماغ، الحرب الاقتصادية، التسميم السياسى) إن جميع هذه الأساليب تعمل باتساق وتـشابك لتحقـيق هـدف الحـرب النفـسية الأساسـى وهو تحطيم الثقة بالذات القومية، وقد تـرتبت علـى ذلك مجموعة من النتائج أهمها أن الحرب النفسية هى حرب.. هى قتال ومن ثـم فـإن جمـيع أدوات الحـرب تصبح فى تلك الحالة مشروعة وهى إذ توجه إلى عدو وليس إلى صـديق.. فإنهـا تقتـضى طرفًا مهاجًا وطرفًا مدافعًا، والقاعدة المطلقة التى نعرفها فى هذا القـتال أن خـير وسـيلة للـدفاع هـى الهجوم، ولن تكون ناجحة إلا إذا كانت مهاجمة، أما الاقتـصار علـى رد الفعـل فهـو يعنـى خمسين بالمائة مقدما من الهزيمة. وليس لها أن تحقق النـصر مـن دون خطـة واضحة ومراحل متعددة وتنفيذ فكرى وجسدى من الشخصية الفردية والجماعـية لـه. وهـذا المـنطق فـى جوهـره مـنطق متكامل وكلى وشامل، يعالج مجموعة من المـشكلات والمواقـف بـشكل معـين مخطـط له إذ يأخذ تنفيذ الحرب النفسية تدرجًا تراتيبيًا وعلى وفق ما يأتى:

١ ـ مرحلة بلبلة الأفكار.

٢ ـ مرحلة الإخلال بالأمن.

٣ ـ مرحلة خلق عدم التماسك فى الجسد القومى.

٤ ـ مرحلة تفتيت الوحدة الوطنية.

وقد أظهرت لنا الدراسات التطبيقية للحرب النفسية الأمريكي و(الصهيونية - الإسرائيلية) والإيرانية أن التمايز فى الفلسفات التى تقف خلف هذه النماذج، لا يخرج عن الإطار الفكرى الذى قدمناه بهذا الخصوص، ولا سيما بخصوص القواعد الأساسية على مستويات التحليل والتخطيط والتنفيذ على السواء.

إلا أن أهم ما يميز الحرب النفسية الأمريكية و(الإسرائيلية) كان اتفاقها فى تبنى خلق حالة الرعب الجمعى لدى المواطن العراقى والعربى وهو ما ظهر بوضوح فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، والحرب العدوانية عام ١٩٩١ مع اعتماد مبدأ التميز والتخصص فى التعامل مع المتلقى وقد جاء مفهوم التضليل الإعلامى ليتجاوز دائرة الأساس إلى دائرة أوسع هى التلاعب بمدركات القوى السياسية فى الولايات المتحدة وحلفائها بل والعالم أجمع من أجل تنفيذ مخططاتها العدوانية تجاه العراق والأمة العربية وليدخل مفهوم جديد فى ظاهرة التعامل النفسى ينبع من ظاهرة الحرب النفسية ويتمزج بها إلى حدود التلاشى حينا أو التلون حينًا آخر.

وإن كان الأنموذ ج الأمريكى - (الإسرائيلى) شديد الوضوح فيما يتعلق بتحطيم الثقة بالذات القومية. فإن الأنموذج الإيرانى مازال غير واضح تمام الوضوح فى ذلك مع اختلاط مفاهيم الدعوة بالدعاية والحرب النفسية وهو ما جعل هذا الأنموذج يعانى من التناقض فى التنفيذ فى حين يعبر منطق الحرب النفسية الأمريكية (والإسرائيلية) عن اتساق يعبر عن نفسه وبوضوح ومن دون مواربة فى جميع تطبيقاتها ولعل الفلسفة والأهداف التى ترتبط بكل أنموذج من هذه النماذج تقف وراء هذا التنوع ولكنه يظل تنوعا يعبر عن هدف واحد هو تدمير الثقة بذاتنا وحضارتنا ومستقبلنا.

المصـــــادروالمراجـــع

١- الأحمد، سامى سعيد،العراق القديم، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٠.

٢- كـتابة الـتاريخ عـند الآشوريين فى العصر السرجونى مجلة سومر، ج ١ ، ج٢، المجلد الخامس والعشرون، بغداد ١٩٦٩.

٣- الاختراق الفكرى، منشورات مركز الإعداد والتطوير الثقافى بغداد ١٩٨٩.

٤- أدونـيس، العكـرة، الإرهـاب الـسياسى (بحث فى أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

٥- أسـعد، أسعد على، الاتصال والرأى العام، مبحث فى القوة والأيديولوجية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٩.

٦- الإمام، إبراهيم، الإعلام والاتصال بالجماهير، ط ٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤.

٧- باقـر، طـه مقدمـة فـى تـاريخ الحـضارات القديمة، ، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٨- بـدر، أحمـد، الاتـصال بالجمـاهير بـين الإعـلام والدعايـة والتنمـية وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٢.

٩- دراسات فى الاتصال والدعاية الدولية، مكتبة غرب القاهرة ١٩٧٧.

١٠- البعلبكى، منيرة المورد، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٧.

١١- الـبكوش، الطـيب الخلـيج بـين الهيمـنة والارتـزاق، سلـسلة حـرب الخلـيج ضـمن مختـصرات نـدون الحقـيقة والتـضليل فى أم المعارك والمؤلفات العربية والأجنبية التى عقدت فى بغداد، شباط ١٩٩٤.

١٢- آل بهـيش، رجـاء احمـد، الدعايـة الإيرانية فى حرب الخليج، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية بغداد ١٩٨٨.

١٣- جابر، جابر عبد الحميد، وعماد الدين سلطان، الفرد وسيكولوجية الجماعة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤.

١٤- جاور، عباس، توظيف المتغير الإعلامى والثقافى فى العلاقات الدولية "أنموذج التسميم"، رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٨.

١٥- جبارة، عطية جبارة علم الاجتماع الإعلامى، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٥.

١٦- الجر، خليل وآخرون، لاروس "المعجم العربى الحديث" مطبعة لاروس، باريس ١٩٧٣.

١٧- حاتم محمد عبد القادر، الإعلام والدعاية "نظريات وتجارب" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٢.

١٨- الحديثى، مؤيد عبد الجبار، الأمن (الإسرائيلى) وحرب رمضان عام ١٩٧٣، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٨.

١٩- حزب البعث العربى الاشتراكى، المنهاج المركزى، الكتاب الثانى الكلمة ومخاطر استعمالها فى حياتنا اليومية، القيادة القومية بغداد ١٩٧٤.

٢٠- الحسن، حسن، الإعلام والدولة، مطابع صادر، بيروت ١٩٦٧.

٢١- حسين، سمير محمد، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٤.

٢٢- الإعلان والحرب النفسية، مجلة الفنون الإذاعية، معهد التدريب الإذاعى والتلفزيونى، نيسان، بغداد.

٢٣- الحلى، على، بين الإعلام والدبلوماسية، وزارة الإعلام بغداد ١٩٧٦.

٢٤- الحمدانى، موفق، علم النفس الاجتماعى وصلته بالدعاية المضادة، مجلة الفنون الإذاعية، معهد التدريب الإذاعى والتلفزيونى العدد ٩، كانون الأول، بغداد.

٢٥- حمزة، عبد اللطيف، الإعلام له تاريخه ومذهبه، دار الفكر العربى القاهرة ب ت.

٢٦- الخزرجى، عبد الإله مصطفى، تحليل لغة الدعاية، مطبعة التوجيه السياسى. بغداد ١٩٨٤.

٢٧- خشبة، حسنى، مدخل لدراسة الدعاية الصهيونية وأسلوب مواجهتها ندوة المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين، بغداد نيسان ١٩٨١.

٢٨- الخمينى، روح الله، جهاد النفس والجهاد الأكبر، مطبعة الآداب النجف، ١٩٧٤.

٢٩- دائرة التوجيه السياسى، محاضرات مدرسة دائرة التوجيه السياسى مطبعة التوجيه السياسى، بغداد، ب ت.

٣٠- الدباغ، فخرى، الحرب النفسية، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة الموسوعة الصغيرة، العدد (٣٨)، بغداد ، ١٩٧٩.

٣١- أصول الطب النفسى، ط ٣، دار الطليعة بيروت ، ١٩٨٤.

٣٢- غسل الدماغ، دار الطليعة، بيروت ب ت.

٣٣- الدباغ، مصطفى محمد زكى، الحرب النفسية الإسرائيلية، مكتبة المنار، الأردن ١٠٨٦.

٣٤- الخداع فى حرب الخليج، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٩٣.

٣٥- الدورى، رياض عبد الرحمن، آشور بانيبال: سيرته ومنجزاته، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٦.

٣٦- ربيع، حامد، الإرهاب الدولى ونظرية السياسة الخارجية، مجلة المنار، العدد (٢٢ - ٢٣) تشرين الأول - تشرين الثانى باريس ١٩٨٦.

٣٧- إعادة كتابة التاريخ ونظرية الحرب النفسية، بحث غير منشور مقدم إلى الندوة الدولية الخاصة بإعادة كتابة التاريخ بغداد ١٩٨٧.

٣٨- التخطيط للتحرك الإعلامى فى أداة الصراع، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد (١٤)، بغداد، ١٩٨٥.

٣٩- الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وإرادة التكامل القومى القاهرة ١٩٨٢.

٤٠- الحرب النفسية فى المنطقة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٢.

٤١- الدعاية الصهيونية، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٧٥.
٤٢- العراق فى لعبة الأمم، بحث مطبوع بالرونيو، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٥.
٤٣- فلسفة الدعاية الإسرائيلية، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية سلسلة دراسات فلسطينية، رقم ٧٢ بيروت ١٩٧٠.
٤٤- مقدمة فى العلوم السلوكية، دار الفكر العربى القاهرة ب ت.
٤٥- نظرية الدعاية الخارجية، محاضرات كلية الاقتصاد و العلوم السياسية، مطبوع بالرونيو، القاهرة ١٩٧٢.
٤٦- رسول، فاضل، هكذا تكلم على شريعتى، ط٢ دار الحكمة للنشر بيروت ١٩٨٣.
٤٧- رشتى، جيهان، الدعاية واستخدام الراديو فى الحرب النفسية، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلى، القاهرة ١٩٨٥.
٤٨- زهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعى، القاهرة ١٩٧٧.
٤٩- زيدان محمد مصطفى، السلوك الاجتماعى للفرد وأصل الإرشاد النفسى، القاهرة، ١٩٦٥.
٥٠- السامر، عبد السلام أحمد، الدعاية الأمريكية فى العراق، (١٩٤٥ ـ ١٩٥٨). رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم الإعلام كلية الآداب ـ جامعة بغداد، ١٩٩٨.
٥١- السامر، عبد السلام أحمد، الدعاية البريطانية فى العراق (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)، رسالة ماجستير، قسم الإعلام، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٩.
٥٢- السعدى، غازى، ومنير الهور، الإعلام (الإسرائيلى)، دار الجيل للنشر، عمان ١٩٨٧.
٥٣- سعيد، مصطفى، فن الدعاية بغداد ١٩٦٧.
٥٤- سلوم، باسل محمود، توظيف الأخبار فى الدعاية، رسالة ماجستير قسم الإعلام، كلية الآداب ـ جامعة بغداد ١٩٦٧.
٥٥- سميسم، حميدة، الإرهاب والحرب النفسية الإيرانية، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦.

٥٦- تحليل منطق الدعاية الإيرانية، بغداد ١٩٨٨.

٥٧- الحرب النفسية الإيرانية، فى الحرب، فى الحرب العراقة الإيرانية بغداد ١٩٨٨.

٥٨- الدعاية الصهيونية مجلة المستقبل العربى ١٩٨٦.

٥٩- السيد، جمال، أضواء على الحرب النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢.

٦٠- شفيق، منير، علم الحرب، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠.

٦١- الشمرى، عبد المنعم كاظم، الدعاية الصهيونية فى عملية التهجير اليهود السوفيت، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام كلية الآداب ـ جامعة بغداد، بغداد ١٩٨٩.

٦٢- شميط، وليد، العرب فى العيون الأمريكية (مال وحريم ونفط) مجلة المنار، العدد (٢)، باريس، شباط ١٩٨٥.

٦٣- طاهر، أحمد، الإذاعة والسياسة الدولية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.

٦٤- طاهر، فلاح حسن، التطبيق (الإسرائيلى) لمفهوم الحرب النفسية رسالة دبلوم غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية بغداد ١٩٨٧.

٦٥- صابات، خليل، وسائل الإعلام: نشأتها وتطورها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦.

٦٦- عبد الباقى، زيدان، أساليب الاتصال فى المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية، القاهرة، ١٩٧٤.

٦٧- عبد الحسين، عصام، الاستراتيجية الأمريكية فى الخليج العربى رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٨.

٦٨- عبد الحميد، محمد محى الدين، ومحمد عبد اللطيف السبكى المختار من صحاح اللغة ط ٣، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣١.

٦٩- عبد الرحمن، أسعد، المنظمة الصهيونية العالمية: تنظيمها وأعمالها فى بيروت ١٩٦٧.

٧٠- عبد الرحمن، عواطف، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٤.

٧١- عدوان، نواف، ومصباح الخيرو وهادى نعمان، تحليل مضمون الدعاية الصهيونية الموجهة عبر الإذاعة والتليفزيون باللغة العربية ورقة عمل، مجلة البحوث، العدد (٥)، بغداد أيلول ١٩٨١.

٧٢- العزاوى، لقاء مكى، الحرب النفسية للكيان الصهيونى فى حرب تشرين ١٩٧٣، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد، ١٩٨٨.

٧٣- عطوان، حسين، الدعوة العباسية: تاريخ وتطور، دار الجلل بيروت، ب ت.

٧٤- عطية، أحمد، سيكولوجية الضحك، ط٢، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٤.

٧٥- على، نعمة حسين على، مشكلة الإرهاب الدولى، رسالة ماجستير كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد ١٩٨٤.

٧٦- العويدات، حسين، الدبلوماسية والدعاية الإسرائيلية، جريدة تشرين السورية فى ٢٢ /١٩٧٩/١١.

٧٧- العوينى، محمد على، الإعلام الدولى بين النظرية والتطبيق، ط ٢ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١.

٧٨- العيسوى، عبد الرحمن، عمليات غسل الدماغ كوسيلة من وسائل الحرب الفكرية، الحلقة العلمية السابعة، المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ١٩٨٦.

٧٩- فارس، شمس الدين، وسلمان الخطاط، تاريخ الفن القديم، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، بغداد ١٩٨٠.

٨٠- القطيفى، عبد الحسين، المقاطعة الاقتصادية فى العلاقات الدولية مجلة السياسة الدولية، العدد (٣)، ١٩٨٢.

٨١- كاظم فلاح، الإعلام والرأى العام والدعاية، بغداد ١٩٨٦.

٨٢- الكبيسى، وهيب مجيد وآخرون، الحرب النفسية وأساليب مواجهتها مجلة حوليات الإعلام، العدد (٧)، بغداد ١٩٨٢.

٨٣- الكتاب المقدس "كتاب الحياة" ـ ترجمة تفسيرية ط١، بلا دار نشر، القاهرة ١٩٩٢.

٨٤- كنفاتي، مروان، حول وسائل الإعلام الصهيوني، ندوة المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين، بغداد، نيسان ١٩٨١.

٨٥- مجموعة مؤلفين، الجيش والسلام، ج١، دار الحرية لطباعة بغداد ١٩٨٨.

٨٦- مجموعة مؤلفين، الجيش والسلاح، ج٢، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٨.

٨٧- مجموعة الباحثين، العراق فى التاريخ، دار الحرية لطباعة بغداد ١٩٨٣.

٨٨- المحاميد، هارون، محتوى برامج الإذاعة والتليفزيون (الإسرائيلى) باللغة العربية، بحث المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين بغداد، نيسان ١٩٨١.

٨٩- محمد، حياة إيراهيم، نبوخذ نصر الثانى، المؤسسة العامة للآثار والتراث، بغداد ١٩٨٣.

٩٠- محمود حامد، الدعاية الصهيونية: وسائلها وأساليبها وطرق مكافحتها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ب ت.

٩١- محمود، رياض رحيم، الدعاية فى السياسة الخارجية (الإسرائيلية) رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية بغداد ١٩٨٨.

٩٢- مركز البحوث والمعلومات، نماذج تطبيقية للدعاية والحرب النفسية فى حربنا ضد العدو الإيرانى، بغداد ١٩٨٩.

٩٣- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الحرب النفسية، سلسلة الثقافة التربوية، رقم (٢٩)، بيروت، ب ت.

٩٤- مناتي، عدنان، العوامل الاقتصادية أثرها فى الحرب، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ١٩٨٧.

٩٥- نصر، صلاح، الحرب الاقتصادية فى المجتمع الإنسانى القاهرة ١٩٦٥.

٩٦- الحرب النفسية، ج١ ، ط ٢ دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة.

٩٧- هادى نبيل ، أمراء الإرهاب فى الشرق الأوسط، شركة المطبوعات اللبنانية، دار الفارابى، بيروت ١٩٨٥.

٩٨- الهندى، هانى، حول الصهيونية وإسرائيل، بيروت ١٩٧١.

٩٩- الوادى، محمد خيرى، دليل أجهزة الإعلام فى العالم، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٢.
١٠٠-وزارة الإعلام، بدائع السلك فى طبائع الملك، ج ١، بغداد ١٩٨٣.
١٠١-وزارة الإعلام، بدائع السلك فى طبائع الملك، ج٢ بغداد ١٩٧٣.
١٠٢-يحيى، رياض أحمد، حرب الإشاعة، بغداد ١٩٨٤.

المصـــادر المترجمة

١- أرسطو، الخطابة، ترجمة: عبد الرحمن بدوى، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٠.

٢- أرويل،جورج، ١٩٨٤، ترجمة: أحمد عجيل، المكتبة العالمية بغداد ١٩٩٠.

٣- الأيوبى، الهيثم، الاستيراتيجية وتاريخها فى العالم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٧.

٤- بارت، رولان ، الكتابة فى درجة الصفر، ترجمة: نعيم الحمصى منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٠.

٥- بتروسينكو، فيتا، لعبة خطرة، وكالة المخابرات المركزية ووسائل الإعلام، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، سلسلة كتب مترجمة العدد (١٣)، بغداد ١٩٨٥.

٦- براون، هنكتون وآخرون، فى نقد النثر وأساليبه، ترجمة عصام الخطيب وتوفيق عزيز عبد الله دار الشؤون العامة، سلسلة الموسوعة الصغيرة، العدد (٢١٨)، بغداد ١٩٨٦.

٧- خمينى، روح الله، كشف الأسرار، المطبعة الإسلامية فى طهران ترجمةمركز البحوث والمعلومات، بغداد ١٩٨٢.

٨- دانيال، كلين، موسوعة علم الآثار، ج١، ج٢ن ترجمة: لينا يوسف دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ١٩٩٠.

٩- دورندان، غى، الدعاية والدعاية السياسية، ترجمة: رالف رزق الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

١٠- دوفرجيه، موريس، فى الدكتاتورية، ترجمة: د. هشام متولى، ط٢ منشورات عويدات ، بيروت ١٩٧٧.

١١- دوميناك، جان مارى، الدعاية السياسية، ترجمة: فاروق الشريف، دار الصحافة، دمشق، ١٩٦٥.

١٢- ديـران، جـان مـارى، التخـريب الرمزى للسلطة، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد ١٩٨١.

١٣- رو، جـورج، العـراق القـديم، تـرجمة: حـسن علـوان، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٤.

١٤- سمـيث، جـين ادورد، حـرب جورج بوش، ترجمة: محمود برهوم ونقولا ناصر، دار الفكر، عمان ١٩٩٢.

١٥- شريعتى، على، ماذا يجب عمله؟ ترجمة مركز البحوث والمعلومات بغداد ١٩٨٢.

١٦- مسؤوليتنا، ترجمة مركز البحوث والمعلومات بغداد ١٩٨٢.

١٧- الشريف، فاروق، الدعاية السياسية، دار الصحافة، دمشق، ب ت.

١٨- فريـزر، جـيمس، أدونـيس أو تمـوز، تـرجمة: جـبرا إبـراهيم جـبرا المؤسسة العربية للتأليف والنشر، بيروت ١٩٧٩.

١٩- الغصن الذهبى، احمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر بيروت ١٩٧٩.

٢٠- فليـيح، هـاى غـيب، الحـرب على الدماغ، ترجمة: مديرية الاستخبارات العسكرية العامة، بغداد ١٩٨١.

٢١- فيرزر، لندلى، الدعاية السياسية، ترجمة: عبد السلام شحاته بيروت ١٩٦٠.

٢٢- القاموس السياسى (باللغة الروسية)، موسكو ١٩٨٤.

٢٣- كامو، البير، المتمرد، ترجمة: عبد المنعم الحفنى، مطبعة الدار المصرية، القاهرة.

٢٤- كرتـشو، مارتـا، مدخل تنظيمى لتحليل الإرهاب السياسى، مجلة المنار العدد (٢٢ ـ ٢٣)، تشرين الأول ـ تشرين الثانى، باريس ١٩٨٦.

٢٥- كريمر، صموئيل نوح، السومريون وتاريخهم وحضارتهم وخصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلى، وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣.

٢٦- ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، مطبعة مصر، القاهرة ب ت.

٢٧- كلارك، رامزى، النار هذه المرة، جرائم الحرب الأمريكية فى الخليج، ترجمة: مازن حماد، الشركة الأردنية للطباعة والنشر عمان ١٩٩٣.

٢٨- كلاوزفيتز، كارل فون، الوجيز فى الحرب، ترجمة: أكرم ديرى والهيثم الأيوبى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٤.

٢٩- كولون، ميشيل، أحذروا الإعلام، ترجمة: ناصرة السعدون، وزارة الثقافة والإعلام، مركز أبحاث أم المعارك، بغداد ١٩٩٣.

٣٠- كوليانوفسكى وآخرون، علم النفس الاجتماعى وقضايا الدعاية والإعلام، ترجمة: نزار عيون السود، دار دمشق للطباعة والنشر دمشق ١٩٧٨.

٣١- كويلز، جورج، نشأة الفنون الإنسانية، دراسة فى تاريخ الأشياء ترجمة: عبد الملك الناشف، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٥.

٣٢- كييرا، أدورد، كتبوا على الطين (رقم الطين البابلية تتحدى اليوم) ترجمة: محمود حسين الأمين، مكتبة الجوارى، بغداد ١٩٦٢.

٣٣- لاينبرغر، بول الحرب النفسية، ترجمة: حمير محمد الرشيد مطبعة النجاح، بغداد ١٩٦٢.

٣٤- لينين، التحالف بين العمال والفلاحين، دار التقدم، موسكو ب ت.

٣٥- ضد الجمود العقائدى الانعزالية فى الحركة العمالية، دار التقدم موسكو، ب ت.

٣٦- ما العمل؟، دار التقدم، موسكو ١٩٦٨.

٣٧- مخيمر، صلاح وعبده ميخائيل، سيكولوجية الإشاعة، دار المعارف القاهرة ١٩٦٤.

٣٨- مدلتون، معنى الأسلوب، ترجمة: صالح الحافظ، مجلة الثقافة الأجنبية العدد (١)، السنة الثانية، دار الحافظ للنشر بغداد ربيع ١٩٨٢.

٣٩- مديرية الاستخبارات العسكرية العامة، الإشاعة وسيكولوجية الإشاعة فى الحرب، بغداد ١٩٨٣.

٤٠- مرارى، اريائيل، الحرب النفسية، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، بغداد، مطبوع بالرونيو ب ت.

٤١- المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين، سبل الإقناع،اتحاد إذاعات الدول العربية، مطبوع بالرونيو، بغداد ب ت.

٤٢- مكارثـر، جـون ار، الجـبهة الثانـية (التـضليل الإعلامى فى حرب الخليج) ترجمة: محمود برهوم ونقولا ناصر، دار الفكر، عمان ١٩٩٣.

٤٣- مـيلوش، ماركـو، الحـرب النفـسية، تـرجمة: لبـيب لهـيطة، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٣.

٤٤- مـورتكات، انطـوان، الفـن فـى العـراق القـديم، ترجمة: د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتى، وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٥.

٤٥- الموسوعة السوفيتية (باللغة الروسية)، موسكو ١٩٧٥.

٤٦- هـارت، لـيدل، مذكـرات لـيدل هـارت، تـرجمة: بـسام العـسلى المؤسـسة العـربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٨.

٤٧- هـاف، كـراهام، الأسـلوب والأسـلوبية، تـرجمة: كاظم سعد الدين دار آفاق عربية، بغداد ١٩٨٥.

٤٨- هتلر، ادولف، كفاحى، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت ب ت.

٤٩- يارجوزيـف، أ ـ مـستر م، هانـدل ى. دقيقـتان فـوق بغداد "قصة الغارة على المفاعل الـذرى العراقـى"، تـرجمة: نـديم الجيروى وأحمد غسان سياس، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٨٠.

Refrences

1- Bregsten, C. fred et al. The international monetary system, the next twenty-five years. Basit University, 1988.

2- Cooper, n.r.. Develped country reactions to call for international economic order in rathko chapel colliurn.

3- Dellgado m.r, the neurological basis of violence international, journal of social sciences, vol. XXIII, 1971.

4- Encyclopedia Britannica, Chieago, USA, 1985.

5- Encyclopedia International psychology (Military), USA, 1979.

6- Frank, A.G. Crisis in the world economy, London, Heineman, 1980.

7- Fraser, Gindly, Propoganda, London, Oxford University Press, 1962.

8- Gandner, R., Brttonwoods, N., in essays on J.M. Ueynes, M. leyes (ed), CambridigeUniversity Press, 1975.

9- Gaucher, Roland. Lesterrortaice, Paris Allbin Machel, 1963.

10- Green, R.H. Toward at ransformation of the International economic order. Industrial world respose, in “Arthokochapl colloquium” toward a new strategy for development. New York, pergaman Press, 1979.

11- Hankel, w. The financial crisis between north and south reasons, lessons conclusion, Vol. 29, 1984.

12- Helleiner, G.U.P. International economics, disorders. Essays in north-south relations, London, Macmillan press, 1980.

13- Hermer, S.N. the summerians. Chicago, 1984.

14- Hornby, W.F, the proket Oxford Dictionary, the university press, Oxford, London, 1942.

15- Jenkins, Brain, Statement about terrortism. The press of the American academy of political and social siences, Vol. 463, 1982.

16- Jestin-lepocm R.R.. Enmerkar, revue de religions, Vol. 151. 1957.

17- Smith II. Thomas, terrorism and political asociation, annals, of the American Academy of political and Social Sciences, 463, 1982.

18- Soggs, H. W. F. The nimrud letters, Iraq XVI, part 1, 1952.

19- Stretck M. Assurbanipat und die letzten assyrichen lorigeb is zam unter jange ninevehs leipzig, 1915.

20- Tulistall, Jermey. Media socilogy A reader, London, constable, 1970.

21- Unckenbill, L., P.D. (2). The annals of sennacheib, Chicago, 1924.

22- Vasos, C.V. Radical technological changes and the new or the world economy. The European Journal of Developent Research, Vol. 1. 1989.

23- World Radio, TV Hand book, Bath, Annual, ed. Abiduboard publications, 1985.

محتويات الكتاب

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول	
تأصيل ظاهرة الحرب النفسية	
المبحث الأول : الحرب النفسية المفاهيم	٧
المبحث الثانى : الحرب النفسية فى الحضارات القديمة	٢٣
الفصل الثانى	
أساليب الحرب النفسية	
المبحث الأول : الدعاية	٥٧
المبحث الثانى : الإشاعة	٩١
المبحث الثالث : الإرهاب السياسى	١٠٩
المبحث الرابع : غسل الدماغ والتحويل العقائدى	١٣٩
المبحث الخامس : التسميم السياسى	١٥٥
المبحث السادس : الحرب الاقتصادية	١٦١
الفصل الثالث	
الحرب النفسية المعاصرة (دراسة نماذج)	
المبحث الأول : الحرب النفسية الأمريكية ضد العراق	١٦٩
المبحث الثانى:الحرب النفسية الصهيونية .. و(الإسرائيلية)	٢٠٧
المبحث الثالث:الحرب النفسية الإيرانية	٢٢٣
الخاتمة	٢٣١
المصادر والمراجع	٢٣٣